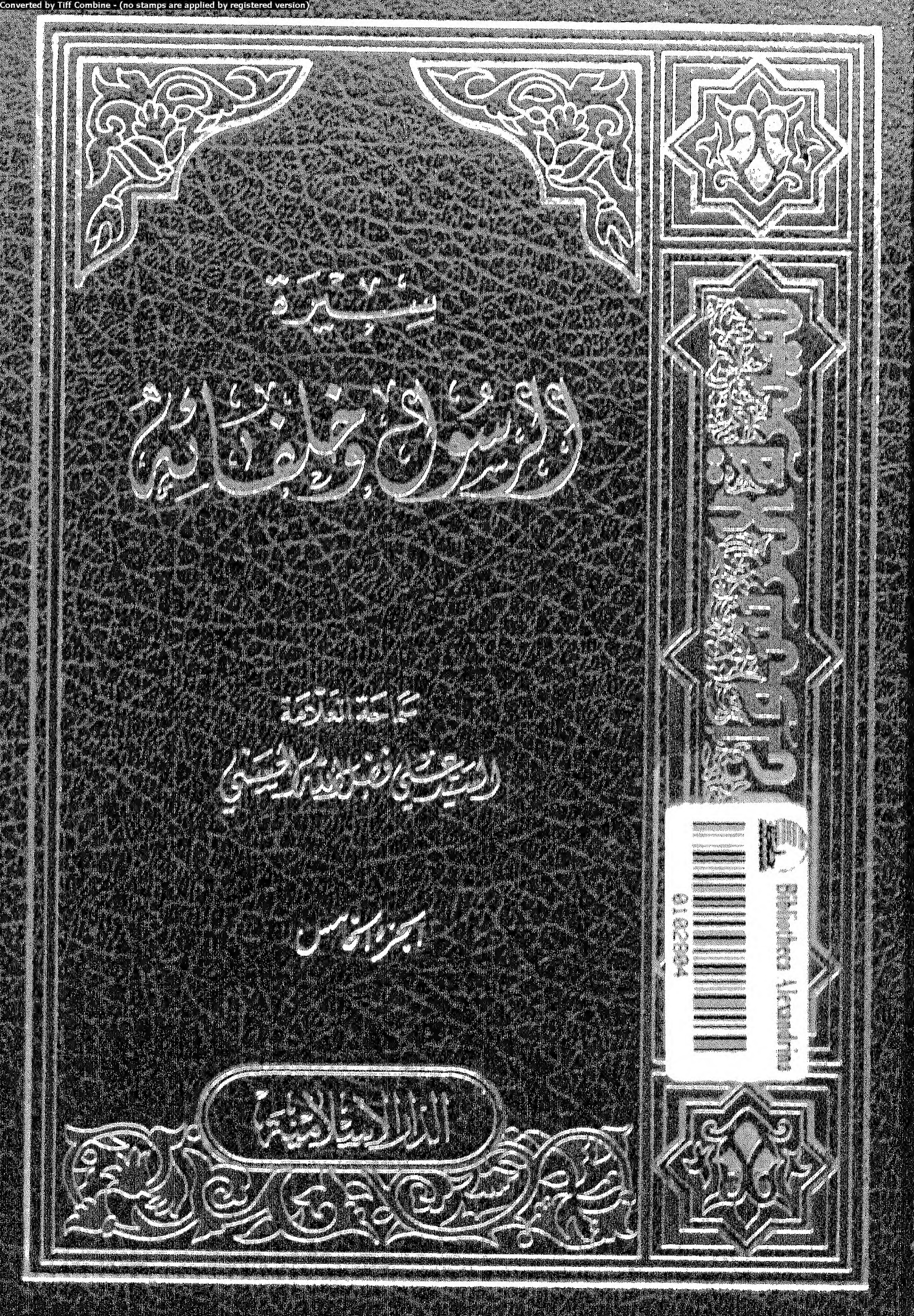
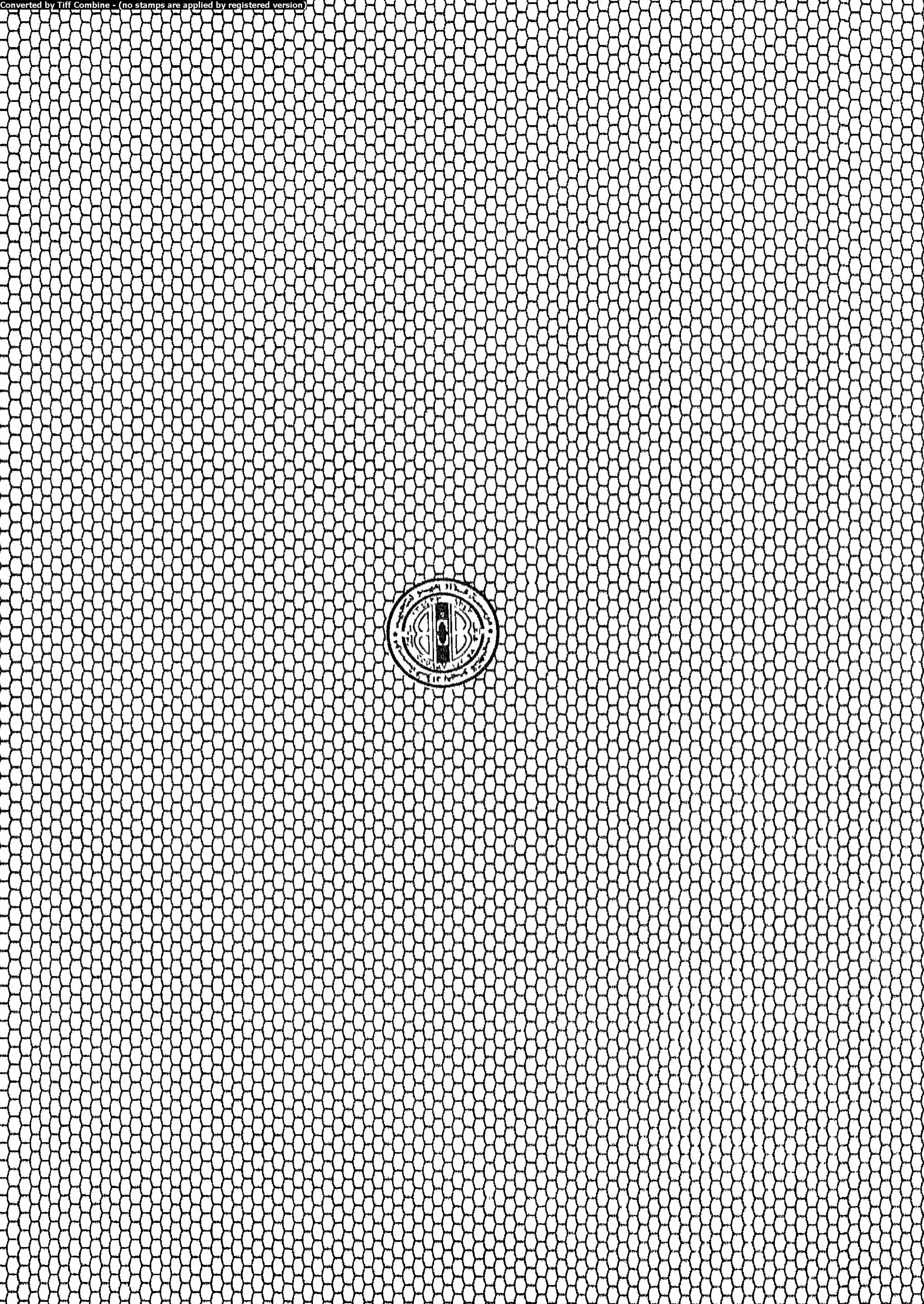
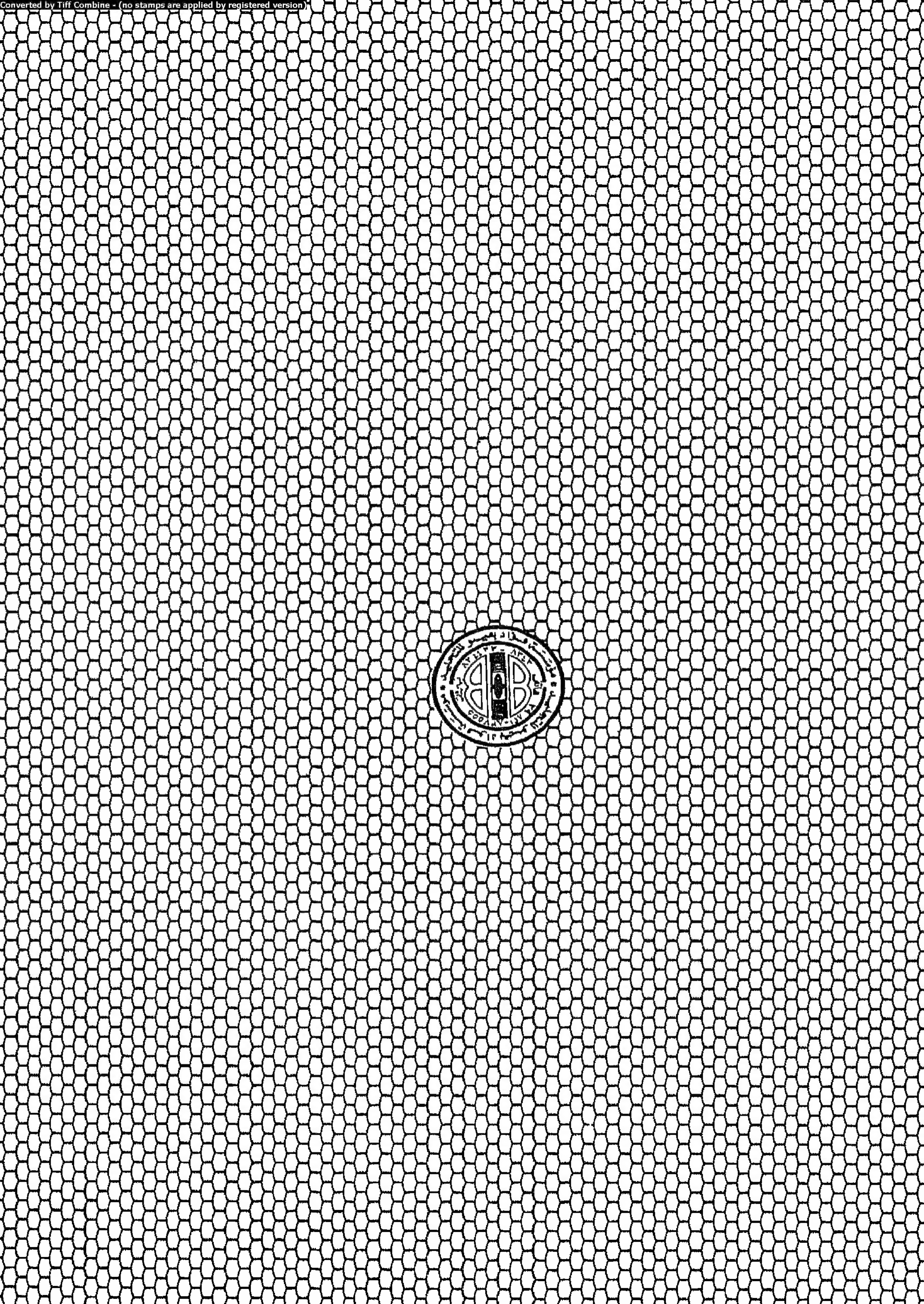

سيرة
الرسول وخلفائه
سماحة العلامة
السيد هاشم معروف الحسني
الجزء الخامس
الدار الإسلامية











سيرة

الرسول وخلفائه

٥



سيرة الرسول وخلفائه

سماحة العلامة

السيد علي فضل الله الحسني

الجزء الخامس

الدار الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



كورنيش المزرعة - بناية الحسن سنتر الطابق الثاني
هاتف: 816627. ص ب: 14/5680
المكاتب والمستودعات - حارة حريك شارع دكاش
هاتف: 820704 - 835670. ص ب: 25/209


الفصل
السابع والأربعون



خلفاء الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

لا يسع أي كاتب أو محقق وهو يتتبع سيرة الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وحياته الشريفة التي قضاها في الدعوة إلى التوحيد ونشر الإسلام وتركيز قواعده.. وسيرة خلفائه وما رافق حياة هؤلاء الخلفاء من أحداث عظام غيرت مجرى التاريخ.. وجعلته يلتوي بأيدي بعضهم ليشوه وجه الحقيقة حتى تنازع الناس في أمر الخلافة ومن هو الخليفة صاحب الحق الشرعي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقد ذكرنا فيما سبق من هذا الكتاب في الجزء الرابع ما حدث بعد وفاة الرسول وما كان من أمر المسلمين وتنازعهم وانشقاق صفوفهم.. والمؤامرات التي حيكت.. ونفذت.. بعد أن دُبرت بليل...

في حين كان النبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يزال مسجى في منزله لم يدفن بعد.. وعلي بن أبي طالب عليه السلام مشغول في تجهيزه.. ودفنه. بمساعدة ثلة من الهاشميين...

ليت شعري لقد تناسى بعض الصحابة وعلى الأخص قريش وصية رسول الله وعهده لعلي بن أبي طالب يوم غدير خم بأمر من الله سبحانه

وتعالى باستخلافه والنص بالإمامة عليه: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ـ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾**[١].

تناسى بعض الصحابة وصية الرسول الأعظم يوم غدير خم وعهده لعلي بالخلافة وراحوا بعد وفاة الرسول بلا فصل ينفذون ما تآمروا عليه وما حاكوه.. من إقصاء علي بن أبي طالب عن الخلافة.. ولو أدى ذلك إلى انشقاق المسلمين وتفرقهم جماعات مختلفة الأهواء والأغراض يضرب بعضهم بعضاً...

ليت شعري.. لو أن هؤلاء الصحابة لم يتنكبوا الطريق وحفظوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بابن عمه علي بن أبي طالب وساروا على الطريق المستقيم جاعلين وصايا رسول الله نصب أعينهم لما حدث بين المسلمين أي انشقاق أو خلاف.. أو خصومات جرت على الجميع نزاعات وحروب دامية بعد ذلك حتى كان من نتيجتها أن تأصلت في نفوس الكثير من المسلمين أشياء أهمها حب الدنيا والأنانية.. والكراهية لبعضهم البعض والجرأة على الحق وأهله..

حصد المسلمون ثمرة نزاعاتهم وخصوماتهم فكانت وقعة الدار.. ومقتل عثمان.. وتبع ذلك حرب الجمل.. وصفين.. والنهروان..

وبعدها مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في مسجد الكوفة.. في محرابه... ومقتل خليفته الإمام الحسن بن علي بالسم بواسطة زوجته جعدة بنت الأشعث لعنها الله ـ بعد أن أغراها معاوية بن أبي سفيان بذلك.

وكذلك مقتل الإمام الحسين بن علي وأهل بيته.. وأصحابه في واقعة كربلاء الشهيرة التي سجلها التاريخ على صفحاته بدماء الشهداء... الخ.

---

(١) سورة المائدة ـ آية ـ ٦٧.

كوارث وويلات.. وأحداث عظام نـزلت بالمسلمين.. وألقت بجـرانها عليهم حتى فـرقت بينهم وجعلتهم أحزاباً وشيعاً.. وحتى أصبحت خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ملكاً عضوضاً.. يتوارثونها واحد بعد واحد.. كسروية.. وقيصرية.

وعلى كل حال لقد ذهبت الأيام عبر القرون بما فيها من مآسي وويلات.. وتوالت الأعوام وما رافقها من حروب ووقائع كان ضحيتها الأئمة الأطهار أهل بيت النبي محمد (صلوات الله عليه وآله) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وذهب ضحيتها أيضاً الكثير من المسلمين والصفوة من المؤمنين.

ولما كنا في صدد الكتابة عن سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلفائه لا بد لنا إتماماً للفائدة من ذكر بعض من سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام التي هي ابنة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).. وزوجة علي بن أبي طالب وصي رسـول الله وخليفته في أمته.. ووالدة الأئمة المعصومين الأطهار.



لمحة موجزة من حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سيدة نساء العالمين. . أمها خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها.

كانت فاطمة أصغر بنات رسول الله وأحبهن إليه، وأشبههن به خَلقاً وخُلقاً. وانقطع نسل رسول الله إلا من فاطمة. فكانت إرادة الله سبحانه أن تكون وحدها الوعاء الطاهر لذرية الرسول من الأئمة الأطهار.

وفي سياق الحديث والكتابة عن فاطمة وسيرتها الشريفة: لا بد لنا من ذكر مولدها، وكنيتها، ولقبها، ونقش خاتمها، وبعض صفاتها وفضائلها، وميراثها من رسول الله أبيها، مع قصة فدك، والعوالي، وسهم ذوي القربى. وكذلك ما جرى لها بعد وفاة أبيها من المصاعب والمتاعب، مع وصيتها ـ ومصحفها، وما أثر عنها من النظم والنثر.

ولدت فاطمة (عليها السلام) بمكة المكرمة يوم الجمعة من جمادى الآخرة. وقد اختلف في زمان ولادتها. قال الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد ولدت فاطمة بعد المبعث بسنتين ـ وفي رواية أخرى سنة خمس من المبعث.

وقال الكليني، وابن شهرا شوب: ولدت بعد المبعث بخمس.

وفي كشف الغمة ولدت بعد المبعث بخمس سنوات.

وأما في مقاتل الطالبين: أنها ولدت قبل النبوة وقريش تبني الكعبة.

وعلى كل حال فمن الرواة من قال ولدت فاطمة بعد البعثة، ومنهم من قال: ولدت قبل البعثة، واقترن مولدها الشريف ببناء الكعبة، فكانت بشارة خير حيث كان أبوها الأمين محمد حكماً بين قريش فوضع الحجر الأسود بيده الشريفة، وانقذ أهله وعشيرته من حرب وإراقة دماء.

كانت طفولة فاطمة سعيدة بين أبويها الكريمين إذ نشأت في أكرم بيت وأفضل أهل. لكن عكر صفو عيشها ومرح طفولتها ما كانت تشاهده من محاربة قريش لأبيها ورسالته، حتى أنه أدى بقريش المطاف إلى حصار بني هاشم وبني المطلب في شعب أبي طالب ثلاث سنوات متتالية.

فكانت فاطمة (عليها السلام) معهم في الشعب، تعاني من شظف العيش والحرمان ومرارة الحصار مع والديها وأعمامها وخيرة المؤمنين.

لذلك نجدها قد تعلقت بأبيها لا ترى إلا وجهه الرحيم تستمد منه العون على اجتياز ما يصادفها من مصاعب وعقبات.

وبعد خروج أهلها من الشعب، توفيت خديجة والدتها ففقدت بفقدها القلب الحنون والصدر الرحب الذي كانت ترتاح إليه. لكن والدها الرسول العظيم أعطاها من العطف والرعاية، وأغدق عليها من الحنان ما يخفف من لوعتها لفراق أمها. فكانت فاطمة دون سواها من الناس لا تفارق أباها...

والذي وعاه التاريخ أنه حينما ألقت قريش سلا الجزور[1] على ظهر النبي وهو ساجد، جاءت فاطمة فطرحته عنه.

---

(١) السلي جمع اسلاء: جلدة يكون ضمنها الولد في بطن أمه. المنجد في اللغة.

وهاجرت إلى المدينة بعد هجرة أبيها بلا فصل، حين أوصى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي (عليه السلام) أن يهاجر بها والفواطم[1] وأراده أبو بكر على دخول المدينة فقال : ما أنا بداخلها حتى يأتي أخي وابنتي ـ يعني بذلك علي بن أبي طالب وفاطمة.

ومن أخبارها (عليها السلام) في المدينة أنها يوم جرح النبي في موقعة أحد جعل علي ينقل له الماء في درقته ـ من المهراس ـ ويغسله فلم ينقطع الدم. فأتت فاطمة فجعلت تعانقه وتبكي، وأحرقت حصيرا وجعلت على الجرح من رماده، فانقطع الدم.

ويوم فتح مكة كانت فاطمة مع أبيها حيث ضُربت للنبي قبة بأعلى الوادي وفاطمة معه ـ وفي رواية كانت قبة فاطمة ملاصقة لقبته (صلى الله عليه وآله وسلم).

تزوجت فاطمة من ابن عمها علي بن أبي طالب (عليهما السلام) وقد ذكرنا فيما سبق من هذا الكتاب ما جرى من أمر زواجها وخطبة الرسول الأعظم وما فعل (صلوات الله عليه وآله) عند تزويجها. وذكرنا صفة جهاز عرسها والبيت الذي سكنت فيه والذي كان ملاصقاً لبيت أبيها وكان غاية في البساطة والزهد.

وقد عاشت فاطمة طيلة أيام حياتها بظل أبيها ملازمة له تنهل من مورده العذب ما شاء لها من العلم والمعرفة، فكان لها الوالد، والمعلم، والمؤدب، والحامي، والكفيل. وكانت هي الساهرة على راحته، القائمة بخدمته، تلبي له جميع ما يطلبه منها بالسمع والطاعة. حتى بعد زواجها وانتقالها إلى بيت علي، وانشغالها بادارة البيت والأطفال. حتى لقبت ـ بأم أبيها ـ.

وكانت فاطمة تلقب بالزهراء... وبالبتول[2] وتكنى بأم أبيها. وأم

---

(١) الفواطم هن: فاطمة بنت رسول الله ـ وفاطمة بنت أسد بن هاشم ـ وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ـ وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب.

(٢) لقبت فاطمة بالبتول، لأنها تبتلت عن النظير. والبتول المنقطعة عن الدنيا إلى الله.

الحسنين. وكان نقش خاتهما.. أمن المتوكلون وكان اسم خادمتها فضة.

روى الحاكم في المستدرك، وابن عبد البر في الاستيعاب: عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً، وحديثاً، وسمتاً، وهدياً، ودلاً برسول الله من ابنته فاطمة. كانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها، وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه.

وكانت إذا دخل عليها البيت، قامت إليه فأخذت بيده، فقبلته، ورحبت به وأجلسته في مجلسها.

وروى الحاكم في المستدرك أيضاً: عن أنس بن مالك أنه قال: سألت أمي عن صفة فاطمة (عليها السلام) فقالت: كانت كأنها القمر ليلة البدر. أو الشمس كفرت غماماً، أو خرجت من السحاب. وكانت بيضاء بضة[1] أشد الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شبهاً.

وعن عطاء بن أبي رباح: كانت فاطمة بنت رسول الله تعجن وأن قصبتها[2] تضرب إلى الجفنة.

وفي كشف الغمة أن بعض الوعاظ ذكر فاطمة بنت رسول الله وما وهبها الله تعالى من المزايا والفضائل فأنشد:

خجلا من نور بهجتها ... تتوارى الشمس بالشفق

وحياء من شمائلها ... يتغطى الغصن بالورق

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحب فاطمة حباً عظيماً كما كان يحب زوجها علي بن أبي طالب وولديها الحسن والحسين (عليهم السلام) الذين هم أولاده وخلفاؤه من بعده.

جاء في الاستيعاب بسنده: سئلت عائشة: أي الناس كان أحب

(١) البضة: الرقيقة الجلد الناعمة مع السمن.

(٢) القصبة: الخصلة الملتوية من الشعر ـ الجديلة ـ الضفيرة.

إلى رسول الله فقالت: من النساء فاطمة، ومن الرجال زوجها. إن كان ما علمته صواماً قواماً.

وروى البخاري في صحيحه بسنده: أن رسول الله قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني ومن سرها سرني... الخ.

وروى الحاكم في المستدرك: كان رسول الله إذا رجع من غزاة... أو سفر أتى المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم ثنى بفاطمة، ثم يأتي بعد ذلك أزواجه. وبسنده عن ابن عمر: أن النبي كان إذا سافر سفراً كان آخر الناس عهداً به فاطمة، وإذا قدم من سفر، كان أول الناس به عهداً فاطمة.

وفي الاستيعاب بسنده عن عائشة: أنها قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها (صلى الله عليه وآله وسلم).

وروى أبو نعيم في الحلية بسنده عن عائشة أيضاً، أنها قالت: ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة غير أبيها.

سارت الحياة بفاطمة عليها السلام مملوءة بالسعادة والهناء بظل أبيها العظيم الذي كان يغدق عليها من فيض عطفه وحنانه ويحبها حباً جماً. وكانت عليها السلام قريرة العين مسرورة بأبيها وقد أيده الله بنصره، وأنار الإسلام جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، وسوف يتعداها إلى الخارج ليعم نوره أرجاء الكرة الأرضية ـ ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾[1].

كانت عليها الصلاة والسلام تمتلىء غبطة وحبوراً وهي ترى والدها العظيم مؤيداً بنصر من الله، وجيش المسلمين يعود دائماً من غزواته وراية النصر ترفرف فوقه وعندها ينطلق لسانها بالحمد والشكر لله على

(١) سورة سبأ ـ آية ـ ٢٨.

نعمه وآلالائه. وهذا أقصى ما تتمناه بضعة المصطفى وتصبو إليه.

بقيت فاطمة بظل أبيها مرتاحة البال، موفورة الكرامة والجاه، مهابة الجانب بعيدة عن كل ما يكدر صفو عيشها حتى التحق الرسول الأعظمْ بالرفيق الأعلى، ورحل عن هذه الدنيا الفانية، وتركها بين الآهات والأحزان والمتاعب والمصائب.

وبعد وفاة الرسول الأعظم وجدت فاطمة نفسها أمام المسؤوليات والمصاعب. تواجه الصدمات العنيفة. تقف في مهب الأعصار الذي أثارته خلافة أبي بكر... وما ابتلي به المسلمون من فتن ومحن.

فاطمة الزهراء (ع) بعد وفاة أبيها (ص)

مضى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للقاء ربه بعد أن عمل جهده، وبذل ما في وسعه، وأفنى عمره الشريف، في إرساء قواعد الإسلام ونشر تعاليمه.

مضى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للقاء ربه بعد أن لاقى من قريش وحلفائها في بدىء الدعوة للدين الإسلامي الحنيف من المتاعب والأذى والإضطهاد الشيء الكثير، حتى قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت.

مضى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن عمل في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله... من لدن نزول الوحي عليه حتى يوم وفاته جاداً في نشر وتبليغ الرسالة أحسن تبليغ.

مضى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن كمل عليه نزول الوحي، وأتم الله سبحانه نعمة الإسلام على المسلمين. حيث يقول عز من قائل: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**[1].

---

(١) سورة المائدة ـ آية ـ ٣.

مضى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن أضفى على العالم بأسره من مكارم الأخلاق ما يدهش بني الإنسان، ويحير الألباب.

مضى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن ترك للمسلمين القرآن الكريم المنزل من الله العلي القدير، الذي حوى بين دفتيه كل ما يصلح البشر لدينهم ودنياهم.

مضى محمد رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يترك من ذريته سوى فاطمة (عليها السلام) التي كان يحبها حباً عظيماً ويوصي دائماً بها وبزوجها وذريتها ويقول: «أني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»..

مضى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وترك فاطمة (عليها السلام) التي سيرتها في الحقيقة هي امتداد لسيرته كما ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه كان يقول: «انظروا كيف تخلفوني في ذريتي»...

نعم إن القوم الذين استولوا على الحكم بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يحفظوه بها، ولم يحفظوا حقها، بل آذوها بعد البيعة في سقيفة بني ساعدة وغصبوها حقها وهمَّ بعضهم باحراق البيت عليها... إذ لم يبايع زوجها علي بن أبي طالب (عليه السلام).

من أجل هذا وغيره عاشت الزهراء بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى توفيت لم تُرى ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين، الاثنين والخميس فتقول: ها هنا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وها هنا كان المشركون.

وفي رواية عن الصادق (عليه السلام): أن الزهراء كانت تصلي هناك وتدعو حتى ماتت.

وروي عن الباقر(عليه السلام): قال: ما رُئِيَت فاطمة ضاحكة قط منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قبضت.

وذكر الأستاذ توفيق أبو علم في كتابه أهل البيت: أن فاطمة عاشت بعد أبيها ستة أشهر، فما ضحكت تلك المدة.

وروي أنها ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة.؟ أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟ ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً، ولا يحملكما على عاتقه كما كان لا يزال يفعل.

وروي أنه لما قُبض الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): امتنع بلال عن الأذان وقال: لا أؤذن لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأن فاطمة (عليها السلام) قالت ذات يوم: أشتهي أن أسمع صوت مؤذن أبي بالأذان. فبلغ ذلك بلالاً. فأخذ في الأذان، فلما قال الله أكبر الله أكبر، ذكرت أباها وأيامه، فلم تتمالك نفسها من البكاء، فلما بلغ إلى قوله: وأشهد أن محمداً رسول الله، شهقت فاطمة (عليها السلام) وسقطت لوجهها، وغشي عليها.

فقيل لبلال: أمسك.. فقد فارقت ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحياة الدنيا، وظنوا أنها ماتت، فلم يتم الأذان فأفاقت، فسألته إتمامه، فلم يفعل وقال لها: يا سيدة النساء إني أخشى عليك مما تنزلينه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته من ذلك.

وعن علي (عليه السلام) أنه قال: غسلت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قميصه، فكانت فاطمة (عليه السلام) تقول: أرني القميص.. فإذا شمته غشي عليها. فلما رأيت ذلك منها غيبته.

وبقيت الزهراء بعد وفاة أبيها يلفها الحزن، صامتة لا تعقّب على شيء، ومضت أيام وهي في عزلة عن النّاس، لا تنشط للنضال عن ميراثها الذي أباه عليها أبو بكر. . . وهل أبقى لها الحزن من قوة تسعفها على نضال؟

وكانت عليها السلام بحيث تظل منطوية على جراحها وحزنها، لو لم يدعها الواجب، أن تؤدي حق زوجها «علي» وولديها عليها، فتسعى جاهدة في رد الأمر إلى أهل بيت الرسول وتنفيذاً لوصية أبيها الراحل. ولأنها كغيرها من المسلمين سمعت أباها ينص على خلافة علي بصراحة لا تقبل التأويل.

ولم تكن فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ولا بقية بني هاشم، والصفوة من الصحابة ينتظرون ما حدث من المفاجأة ـ بإبرام البيعة لأبي بكر ـ والنبي لا يزال مسجى في بيته لم يوارى الثرى، وأهله مشغولون عن كل شيء بتجهيزه ودفنه.

رأت عليها السلام تحولاً خطيراً في سير الأحداث. . . والخلافة، فلم يمكنها السكوت بل رأت من الواجب عليها أن تقف موقفاً متصلباً من حق علي (عليه السلام) بالخلافة لأنه صاحب الحق الشرعي ولأن خلافة علي هي امتداد لرسالة والدها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). . . الرسالة التي كان علي وأبوه أبو طالب من أحرص الناس عليها، وأكثرهم بذلاً وتضحية في سبيل نشرها، وارساء قواعدها.

لقد كانت فاطمة عليها السلام حريصة على تضامن المسلمين، واعلاء كلمة الدين، لهذا نجدها سلام الله عليها تقف ذلك الموقف المتصلب من القوم، وتبين للناس حق علي بن أبي طالب بالخلافة، التي نص عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لتزيل الغشاوة عن أعين بعض المسلمين السابحين في لجج الضوضاء.

تقول بعض الروايات: أن انتزاع ـ فـدك[1] ـ . . . والعوالي[2] وسهم ذوي القربى، من يد فاطمة بنت رسول الله، وحرمانها من ميراث أبيها، لم يكن داخلاً في حساب القوم، لولا موقفها الحازم، المتشدد من الخلافة.

واغلب الظن أن القوم. . إنما حرموها ـ فدك ـ وغيرها من ميراث أبيها حتى لا توفر على علي بن أبي طالب قسطاً من المال، يعينه على المضي في موقفه المناوىء لهم. . ولا سيما هو صاحب الحق الشرعي.

وبعد أن أدركوا ذلك، انتزعوا إرثها من يدها، وأضافوه إلى ميزانية الدولة.

والذي يبدو أن ميراث فاطمة الزهراء من أبيها لم يكن أرضاً قليلة الانتاج، أو مزرعة متواضعة، بل كانت تشكل ثروة واسعة، كما تؤكد ذلك بعض المصادر.

ويمكن تلخيص الروايات في هذا الصدد، بالقول: إنما أصر القوم على حرمان فاطمة الزهراء ميراثها من أبيها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنهم أدركوا أنها حينما طالبت ـ بفدك ـ لم تكن تطالب بتلك البقعة من أرض الحجاز. . . بل كانت ترمز إلى السلطة التي كانت لأبيها. . والتي أوصى بها لعلي بن أبي طالب. . . ليكون خليفة له من بعده على المسلمين.

وعلى هذا لم يكن النزاع بين فاطمة الزهراء ابنة محمد (صلوات الله عليه وآله وسلم) والقوم الذين أبرموا أمر الخلافة وأزاحوها عن علي على أمر مادي خالص كما يحاول بعض الكتاب، أو المؤرخين أن يحصروه في هذا النطاق. . .

---

(١) فدك: قرية من قرى الحجاز بينها وبين المدينة مسيرة يومين ـ أو ثلاثة أيام على أبعد التقادير. وتقع إلى جوار خيبر.

(٢) العوالي: قرية في ضاحية المدينة.

بل كان النزاع لأمر أبعد من هذا بكثير. . . كان النزاع لحفظ مصلحة المسلمين. . . بحفظ حق علي بالخلافة المنصوص عليها من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن حديث للإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) مع المهدي العباسي يتضح لنا مراد فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهدفها من المطالبة بارثها من أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم). . . فدك وغيرها. . . وقد حدد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) للمهدي نقطة الخلاف بين فاطمة الزهراء (عليها السلام) وبين أبي بكر في مطلع خلافته.

ذكر الكليني حديث موسى بن جعفر مع المهدي العباسي وإني أورده بنصه:

«عن علي بن أسباط، قال: لما ورد أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) على المهدي، رآه يرد المظالم فقال: يا أمير المؤمنين. . . ما بال مظلمتنا لا ترد؟

فقال له المهدي: وما ذاك يا أبا الحسن؟!

قال: إن الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ فدك ـ وما والاها مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فانزل الله على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿وآت ذا القربى حقه﴾[1] فلم يدر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من هم، فراجع في ذلك جبرائيل، وراجع جبرائيل(عليه السلام) ربه، فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة (عليها السلام) .

فدعاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لها: يا فاطمة إن الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله، من الله. . ومنك.

(١) سورة الإسراء ـ آية ـ ٢٦.

فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما ولي أبو بكر، أخرج عنها وكلاءها، فأتته فاطمة فسألته أن يردها عليها، فقال لها: ائتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك.

فجاءت بأمير المؤمنين ـ علي (عليه السلام) ـ وأم أيمن، فشهدا لها، فكتب لها بترك التعرض.

فخرجت (عليها السلام) والكتاب معها ، فلقيها عمر ، فقال : ما هذا معك يا بنت محمد ؟ .

قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال: أرنيه... فأبت، فانتزعه من يدها ونظر فيه، ومحاه وخرقه.

فقال لها : هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب .. فضعي الحبال في رقابنا[1] .

فقال له المهدي: يا أبا الحسن حدها لي...؟

فقال: حدّ منها جبل أحد... وحدّ منها عريش مصر... وحدّ منها سيف البحر... وحدّ منها دومة الجندل.

فقال له: كل هذا؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين هذا كله. إن هذا كله مما لم يوجف عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخيل ولا ركاب .

فقال: ـ المهدي ـ : كثير... وانظر فيه»[2].

ولم يكد ينتهي الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) من ذكر فدك

---

(١) في بعض النسخ بالحاء المهملة، أي ضعي الحبال في رقابنا لترفعنا إلى حاكم، قاله تحقيراً وتعجيزاً، وقاله تفريعاً على المحال بزعمه ـ أي إنك إذا أعطيت ذلك وضعت الحبل على رقابنا أو جعلتنا عبيداً لك، أو إنك إذا حكمت على ما لم يوجف عليها أبوك بأنها ملكك فاحكمي على رقابنا أيضاً بالملكية.. راجع حاشية الكافي.

(٢) الأصول من الكافي: الكليني الرازي ـ ج ـ ١ ـ ص ـ ٥٤٣.

وتحديدها بتلك الحدود المترامية الأطراف التي تعدت الحجاز... حتى انتبه المهدي العباسي للأمر، وعلم أن النزاع الذي كان بين فاطمة الزهراء (عليها السلام) وبين الخليفة أبي بكر، هو نزاع على الخلافة وأمرة المؤمنين، وارجاع الحق لأهله الشرعيين... وليس نزاعاً مادياً صرفاً...

أقول.. إن فاطمة الزهراء ابنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي ضحى بكل غال ورخيص، بل تحمل المتاعب والمصاعب في سبيل الإسلام، وكلمة التوحيد لم يكن جل همها الميراث كما ذكرنا.

كما أنها (عليها السلام) هي ابنة أم المؤمنين خديجة المسلمة الأولى التي كانت من أثرى أهل مكة حاضرة الجزيرة العربية... وخديجة (رضوان الله عليها) لم تبال بما أنفقته من مال وذلك لأجل تثبيت الدين الإسلامي ونشر تعاليمه المقدسة. حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): قام الدين بسيف علي ومال خديجة.

خطبة فاطمة الزهراء في المسجد النبوي الشريف

ذكر ابن طيفور في كتابه بلاغات النساء: وكذلك غيره من المؤرخين وأصحاب السير: أنه لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من إرثها ومن تسليمها فدك التي هي نحلة لها من أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن كانت قد تصرفت بها في حياة أبيها، وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، وأقبلت في حشدة من نسائها ولمة من قومها... تطأ ذيولها... ما تخرم من مشية أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً.

حتى دخلت على أبي بكر في المسجد النبوي الشريف وهو في حشد من المهاجرين والأنصار. فنيطت دونها ملاءة، ثم أنّت أنّةً أجهش القوم لها بالبكاء، وارتج المجلس...

فأمهلت عليها السلام حتى سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم...

فافتتحت الكلام بحمد الله، والثناء عليه، والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فعاد القوم في بكائهم...

فلما أمسكوا، عادت في كلامها، فقالت:

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[1].

فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، فبلغ النذارة، صادعاً بالرسالة، مائلاً على مدرجة المشركين، ضارباً لثبجهم[2] آخذاً بكظمهم[3]، يهشم الأصنام، وينكث الهام، حتى هزم الجمع، وولوا الدبر، وتغرى[4] الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين[5]، وطاح وشيظ النفاق[6] وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص[7] في نفر من البيض الخماص[8].

وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب[9]، ونهزة الطامع[10]، وقبسة العجلان[11] وموطىء الأقدام[12] تشربون الطرق[13] وتقتاتون القد[14] أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم. فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد اللتيا

---

(١) سورة التوبة - آية - ١٢٨.

(٢) ثبجهم: الثبج بالتحريك، وسط الشيء ومعظمه.

(٣) الكظم: بالتحريك، مخرج النفس من الحلق.

(٤) تغرى الليل عن صبحه: انشق حتى ظهر وجه الصباح.

(٥) شقاشق الشياطين: الشقاشق: جمع شقشقة بالكسر: شيء كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج.

(٦) طاح: هلك. والوشيظ: السفلة والرذل من الناس.

(٧) كلمة الإخلاص: كلمة التوحيد.

(٨) البيض الخماص: المراد بهم أهل البيت (عليهم السلام).

(٩) مذقة الشاب: شربته.

(١٠) نهزة الطامع: بالضم - الفرصة أي محل نهزته.

(١١) قبسة العجلان: مثل في الاستعجال.

(١٢) موطىء الأقدام: مثل مشهور في المغلوبية والمذلة.

(١٣) الطرق: بالفتح: ماء السماء الذي تبول به الإبل وتبعر.

(١٤) القد: بكسر القاف وتشديد الدال - سير يقد من جلد غير مدبوغ.

والتي. وبعد أن مني ببهم[1] الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب. كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان[2] أو فغرت فاغرة من المشركين[3] قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفىء حتى يطأ صماخها بأخمصه[4] ويخمد لهيبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً، ناصحاً، مجداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم.

وأنتم في رفاهية من العيش وادعون، فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر[5] وتتوكفون الأخبار[6] وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال، فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهرت فيكم خلة النفاق، وسمل جلباب الدين[7] ونطق كاظم الغاوين[8]، ونبغ خامل الأقلين[9]، وهدر فنيق المبطلين[10] فخطر في عرصاتكم، واطلع الشيطان من مغرزه هاتفاً بكم، فالفاكم خفافاً، وأحشمكم فالفاكم غضاباً[11] فوسمتم غير أبلكم[12]، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب[13]، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتداراً.

---

(١) بهم الرجال: شجعانهم.

(٢) نجم قرن الشيطان: نجم، ظهر: وقرن الشيطان أمته وتابعوه.

(٣) فغر فاه: أي فتحه، والفاغرة من المشركين: الطائفة منهم.

(٤) قذف: رمى، واللهوات: جمع لهات ـ وهي اللحمة في أقصى الفم. وينكفىء: يرجع، والأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم.

(٥) الدوائر: صروف الزمان، أي كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا.

(٦) تتوكفون: تتوقعون أخبار المصائب والفتن النازلة بنا.

(٧) سمل جلباب الدين: سمل صار خلقاً والجلباب الإزار.

(٨) الكظوم: السكوت.

(٩) الخامل: من خفي ذكره وكان ساقطاً لا نباهة له.

(١٠) الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته، والفنيق: الفحل المكرم من الإبل.

(١١) احشمكم: أي حملكم على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه.

(١٢) الوسم: أثر الكي.

(١٣) الكلم: بالضم، الجرح، الرحب بالضم: السعة.

زعمتم خوف الفتنة . . .! ألا في الفتنة سقطوا، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين.

فهيهات منكم. . . وكيف بكم، وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم. . أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟! أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلاً، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها[1] ويسلس قيادها[2] ثم أخذتم تورون وقدتها[3]، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، واطفاء أنوار الدين الجلي، واهمال سنن النبي الصفي، تشربون حسواً في ارتغاء[4] وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء[5]، ونصبر منكم على مثل حز المدى[6] ووخز السنان في الحشاء.

وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟!! أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية. . . أني ابنته.

أيها المسلمون . . . ويا معشر المهاجرين أأغلب على إرثي . . . ؟!

يا ابن أبي قحافة: أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً!

---

(١) نفرتها : نفرت الدابة، جزعت وتباعدت.

(٢) يسلس : يسهل.

(٣) تورون وقدتها: تضرمون لهبها.

(٤) الحسو: هو الشرب شيئاً فشيئاً، والارتغاء: هو شرب الرغوة، وهي اللبن المشوب بالماء وحسوا في ارتغاء: مثل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره.

(٥) الخمر : ما وراك من شجر وغيره . والضراء بالفتح : الشجر الملتف بالوادي .

(٦) الحز: القطع، والمدى: السكاكين.

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ حيث يقول: ﴿وورث سليمان داود﴾[1] وقال: فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[2] وقال: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾[3] وقال ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[4] وقال: ﴿إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾[5] وزعمتم: أن لا حظوة[6] لي ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا...

أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟! أم هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟!..

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي... وابن عمي؟

فدونكها مخطومة مرحولة[7] تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله... والزعيم محمد... والموعد القيامة. وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون... الخ.

ثم عطفت على قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
وكل أهل له قربى ومنزلة ... عند الإله على الأدنين مقترب

---

(١) سورة النمل ـ آية ـ ١٦.
(٢) سورة مريم ـ آية ـ ٥ ـ ٦.
(٣) سورة الأنفال ـ آية ـ ٧٥.
(٤) سورة النساء ـ آية ـ ١١.
(٥) سورة البقرة ـ آية ـ ١٨٠.
(٦) الحظوة: المكانة.
(٧) مخطومة: من الخطام بالكسر وهو: كل ما يدخل في أنف البعير ليقاد به. والرحل بالفتح: هو للناقة كالسرج للفرس.

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم[1] لما مضيت وحالت دونك الترب
تهجمتنـا رجـال واستخف بنـا لما فقدت وكل الأرث مغتصب
وكنت بـدراً ونـوراً يستضـاء بـه عليك ينزل من ذي العزة الكتـب
وكـان جبريـل بـالآيـات يؤنسنـا فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا لما مضيت وحالت دونك الكثب[2]

وفي كشف الغمة:

إنـا فقدنـاك فقد الأرض وإبلهـا واختل قومك لما غبت وانقلبـوا

---

(١) النجوى: السر.
(٢) الكثب: الكثب بضمتين: جمع الكثيب وهو الرمل.

حوار فاطمة الزهراء مع أبي بكر في شأن الميراث

كان لخطاب فاطمة الزهراء (عليها السلام) في المسجد النبوي الشريف، الموجه إلى الخليفة أبي بكر على ملأ من المسلمين وقع عظيم. حيث نطقت بـالحجة... وأوضحت السبيـل، وأقامت على استحقاقها ميراثها من آيات الله المحكمات، حججاً لا ترد، وأدلة لا تنكر.

وما أن توقفت (عليها السلام) عن الكلام بعد أن ارتج المجلس بالبكاء، وعلى نشيج القوم حتى أجابها أبو بكر بقوله: «يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وعقاباً عظيماً، إن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخا ابن عمك دون الرجال، آثره على كل حميم، وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا سعيد، ولا يبغضكم إلا شقي[1] بعيد.

فانتم عترة رسول الله الطيبون، الخيرة المنتجبون، على الخير

---

(١) اشارة إلى الحديث النبوي الشريف كما جاء في ذخائر العقبى: - لمحب الدين الطبري حيث قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلا منافق شقي». أخرجه الملا. راجع حاشية الاحتجاج للطبرسي: ج - ١ - ص - ١٤١ .

أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا..

وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك... والله ما عدوت رأي رسول الله، ولا عملت إلا بإذنه، والرائد لا يكذب أهله.

وأني أشهد الله وكفى به شهيداً، أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة، ولا داراً، ولا عقاراً، وإنما نورث الكتاب، والحكمة، والعلم، والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه».

ثم قال أبو بكر للزهراء:

قد جعلنا ما حاولته في الكراع، والسلاح، يقاتل به المسلمون، ويجاهدون الكفار، ويجالدون المردة الفجار، وذلك باجماع من المسلمين، لم انفرد به وحدي، ولم استبد بما كان الرأي عندي، وهذه حالي ومالي، هي لك، وبين يديك، لا تزوى عنك، ولا تدخر دونك...

وانك وأنت سيدة أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك لا ندفع مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك؟

فقالت الزهراء (عليها السلام): سبحان الله، ما كان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كتاب الله صادفاً[1] ولا لأحكامه مخالفاً! بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره.

أفتجمعون اعتلالاً عليه بالزور، وهذا بعد وفاته تشبيه بما بغي له من الغوائل[2] في حياته، هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً،

---

(١) صادفاً: معرضاً.

(٢) الغوائل: المهالك.

يقول: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[١] ويقول: ﴿وورث سليمان داود﴾[٢] وبين عز وجل فيما وزع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث، ما أزال به علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين، كلا بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفتت فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى الناس وقالت:

معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل[٣] المفضية على الفعل القبيح الخاسر... أفلا تتدبرون القرآن... أم على قلوب اقفالها؟!!

كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم. وشر ما منه اغتصبتم، لتجدن والله محمله ثقيلاً، وغبه وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء، وبان بأن وراءه[٤] الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون»[٥].

---

(١) سورة مريم - آية - ٦.
(٢) سورة النمل - آية - ١٦.
(٣) وفي بعض النسخ: قبول الباطل.
(٤) هكذا وردت في الأصل: والظاهر: بأن من ورائه الضراء.
(٥) الإحتجاج: للطبرسي - ج - ١ - ص - ٤٢ - ٤٣.



خطاب فاطمة الزهراء بالأنصار

كان لكلام فاطمة الزهراء مع أبي بكر في المسجد النبوي الشريف أثر بالغ في نفوس المسلمين حيث ارتج المسجد بالبكاء، وعلا نشيج القوم. وأجمع المؤرخون أنه لم يشاهد أكثر باك ولا باكية بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك اليوم. لأن فاطمة (عليها السلام) كانت تنفث عن لسان أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم).

لكنها (سلام الله عليها) لم تغادر المسجد حتى رمت بطرفها نحو الأنصار ، لتلقي الحجة عليهم ، فقالت لهم :

يا معشر النقيبة وأعضاد الملة. وحضنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقي[1] والسنة عن ظلامتي[2]؟ أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده»؟

سرعان ما أحدثتم، وعجلان ما أتيتم، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فخطب جليل استوسع وهنه، واستنهر فتقه[3] وانفتق رتقه،

(١) الغميزة بفتح الغين: ضعف في العقل أو العمل. يقال: ما فيه غميزة: أي نقيصة.
(٢) السنة بالكسر: النوم الخفيف.
(٣) الوهن: الخرق، واستنهر: اتسع.

وأظلمت الأرض لغيبته، وانتشرت النجوم لمصيبته، وخشعت الجبال، واضيع الحريم، وازيلت الحرمة عند مماته فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة[1] عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم، وفي ممساكم، ومصبحكم، يهتف في أفنيتكم هتافاً، وصراخاً تلاوة وألحاناً، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم: **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾**[2].

أيها بني قيلة[3] أأهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى[4] ومجمع تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة[5] توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت.

قاتلتم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودر حلب الأيام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الافك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين[6] فأنّى حزتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان..؟ ونكصتم بعد الإقدام..؟ وأشركتم بعد الإيمان..؟

---

(١) بائقة: داهية ـ راجع حاشية الاحتجاج: للطبرسي ـ ص ـ ١٣٩.

(٢) سورة آل عمران ـ آية ـ ١٤٤.

(٣) بنو قيلة: قبيلتا الأنصار: الأوس ـ والخزرج وقيلة نسبة إلى الجدة الأولى للأنصار.

(٤) المنتدى: المجلس.

(٥) الجنة بالضم: الدروع أو ما يستتر به من السلاح.

(٦) استوسق نظام الدين: اجتمع.

بؤساً لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وهموا باخراج الرسول، وهم بدؤكم أول مرة، أتخشونهم..؟! فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض[1] وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة[2]، ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسغتم الذي تسوغتم[3]، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد.

ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجذلة التي خامرتكم[4] والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ وخور القناة[5] وبثة الصدر، وتقدمة الحجة.

فدنكموها.. فاحتقبوها دبرة[6] الظهر، نقبة الخف[7] باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة.

فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون[8].

---

(١) أخلدتم: ملتم. والخفض: السعة والخصب واللين.

(٢) الدعة: الراحة والسكون.

(٣) الدسغ: القيء: تسوغتم: تسوغ الشراب شربه بسهولة.

(٤) الجذلة: ترك النصر. خامرتكم: خالطتكم.

(٥) الخور: الضعف. والقناة: الرمح والمراد من ضعف القناة هنا: ضعف النفس عن الصبر على الشدة.

(٦) فاحتقبوها: أي أحملوها على ظهوركم، ودبر البعير: أصابته الدبره بالتحريك وهي جراحة تحدث من الرحل.

(٧) نقبة الخف: نقب خف البعير: رق وتثقب.

(٨) الإحتجاج للطبرسي: جزء - ١ - ص - ١٤٠ - ١٤١ وقد ذكر هذه الخطبة جميع المؤرخين والكتاب لكن باختلاف بسيط في بعض الألفاظ.

يروي بعض المؤرخين أن علي بن أبي طالب كان يحمل فاطمة الزهراء على دابة، ويخرج بها ليلاً يطوف بيوت الأنصار، لتطالب له بحقه، وتذكرهم بمواقف علي في سبيل الإسلام، وبالنصوص التي نص بها أبوها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على استخلاف علي من بعده. وأنها كانت تستجديهم النصرة للمطالبة بحق علي بالخلافة وارجاع الأمر إليه.

فكان جواب الأنصار: لقد مضت بيعتنا لأبي بكر، ولو أن زوجك سبق إلينا لما عدلنا به أحداً.

فكان علي يرد عليهم: أفكنت أدع رسول الله في بيته مسجى بين أهله ونسائه، بدون تغسيل ودفن... وأخرج لأنازع القوم سلطانه؟!..

ومن المؤسف أنه أتى بعض الشيعة فأخذوا بهذه الرواية على ضعف سندها، ومن غير روية أو التفات لما يهدف إليه واضعو هذا النوع من الروايات التي تقلل من شأن علي وفاطمة... والتي تشعر أيضاً أن علياً وفاطمة (عليهما السلام) لما عجزا عن اقناع القوم بالحجة والمنطق خرجا ليلاً يعملان سراً... يستجديان نصرة الأنصار، لعلهم يوافقانهما على العصيان على النظام الجديد الذي يودي إلى الثورة على أبي بكر واتباعه.

حاشا لعلي وفاطمة من هذا الاستجداء والتستر تحت جنح الظلام، فهما أكبر من هذا وذلك إذ كان جل همهما هو إعلاء كلمة الدين وتركيز دعائمه ومد سلطان المسلمين.

ومما يدل على ضعف هذه الرواية أن فاطمة الزهراء ألقت خطبتها المشهورة في المسجد النبوي الشريف، وخاطبت الأنصار بما خاطبتهم به علانية بدون خوف أو وجل وهم جلة الأنصار وأعيانهم.

وعلى هذا لم تكن فاطمة بحاجة لأن تكلف علياً بأن يحملها على

دابة ويطوف بها ليلاً على بيوت الأنصار تحت جنح الظلام لتطالب له بحقـه فعل الأذلاء الجبناء. وهذا العمل تأباه نفس علي فارس الإسلام وحامي حماه بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).




الفصل
الثامن والأربعون



موقف أبي بكر بعد خطبة فاطمة الزهراء

خطبت فاطمة الزهراء عليها السلام في المسجد النبوي الشريف خطبتها المشهورة كما أسلفنا، موجهة كلامها لأبي بكر أولاً... وللأنصار ثانياً.. وما كان يتضمن خطابها من جميل المعاني، وحسن البيان، وعظيم الحجة...

كان جدير بكلامها أن تستجيب له القلوب، وتصحوا من سكرتها النفوس.. فقد ضج المجلس... وارتج المسجد حينذاك... تأثرا بكلام فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذكر الناس ما لعلي بن أبي طالب من الفضل، والسابقة.. والجهاد.. والحق الذي اغتصب.. وما للزهراء من ميراث قد ابتز.. واهتضم.

علت علامات الاستنكار... والاستفهام... وارتسمت على وجوه القوم، وأفصحت عنها تساؤلاتهم.

خشي الخليفة أبو بكر وأعوانه من صحوة الناس، ويقظتهم... وضياع الخلافة التي عملوا لها طويلاً... وكلفتهم كثيراً.

عندها صعد أبو بكر المنبر ليتدارك الأمر كما جاء في شرح النهج، فقال:

«أيها الناس.. ما هذه الرعة إلى كل قالة؟! أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)...

ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة، شهيده ذنبه مرب لكل فتنة، هو الذي يقول: كروها جذعة بعدما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، كأم طحال أحب أهلها إليها البغي.

ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إني ساكت ما تركت.

ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، وأحق من لزم عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنتم. فقد جاءكم فآويتم، ونصرتم.

ألا إني لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا» ثم نزل[1].

وجاء في شرح النهج أيضاً: «قلت: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري، وقلت له: بمن يعرض ـ أبو بكر ـ؟

فقال: بل يصرح.

قلت: لو صرح لم أسألك!

فضحك وقال: بعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

قلت: هذا الكلام كله لعلي.. يقوله..؟!

قال: نعم.. أنه الملك يا بني.

قلت: فما مقالة الأنصار؟

قال: هتفوا بذكر علي (عليه السلام) فخاف ـ أبو بكر ـ من

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن الحديد: ج ـ ١٦ ـ ص ـ ٢١٥.

اضطراب الأمر عليهم... فنهاهم»[1].

لقد وقف أبو بكر هذا الموقف، وتكلم بهذا الكلام... ليرجع الغشاوة التي أزالتها خطبة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عن أعين الناس حتى كاد أن يضطرب الأمر عليه... وتذهب الخلافة من يديه كما أسلفنا.

ولا يمكنه أن يهيمن على الناس... إلا بالعنف، والقسوة... شأن أمثاله من السلاطين والحكام. فالملك عقيم. وعند الله تجتمع الخصوم.

وفي شرح النهج عن أبي الطفيل قال: «أرسلت فاطمة إلى أبي بكر:

أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أم أهله؟
قال: بل أهله..
قالت: فما بال سهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!

قال: إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «إن الله أطعم نبيه طعمة» ثم قبضه، وجعله للذي يقوم بعده، فوليت أنا بعده» أن أرده على المسلمين..

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج- ١٦ - ص- ٢١٥.
ويذكر صاحب شرح النهج أيضاً عن النقيب جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري عندما سأله السائل عن تفسير غريب كلام أبي بكر، فقال: أما الرعة، بـالتخفيف، أي الاستماع، والاصغاء، والقالة: القول. وثعالة: اسم الثعلب، علم غير مصروف، مثل ذؤلة للذئب. وشهيره ذنبه، أي لا شاهد له على ما يدعي إلا بعضه، وجزء منه، وأصله مثل: قالوا: إن الثعلب أراد أن يغري الأسد بالذئب، فقال: أنه قد أكل الشاة التي كنت قد أعددتها لنفسك، وكنت حاضراً. قال: - الأسد - فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه وعليه دم، وكان الأسد قد افتقد الشاة فقبل شهادة الثعلب وقتل الذئب.
ومرب: ملازم، أرب بالمكان. وكروها جذعة: أعيدوها إلى الحال الأولى. يعني الفتنة والهرج. وأم طحال: امرأة بغي في الجاهلية، ويضرب بها المثل، فقال: أزنى من أم طحال. أقول: كان هذا الكلام من أبي بكر حنقاً وخوفاً من خروج الأمر من يده.

قلت: في هذا الحديث عجب... لأنها قالت له: أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... أم أهله؟ قال: بل أهله...

وهذا تصريح بأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) موروث يرثه أهله، وهو خلاف قوله: «لا نورث»[1].

وفي شرح النهج أيضاً: عن هشام بن محمد، عن عوانة بن الحكم قال: « لما كلمت فاطمة (عليها السلام) أبا بكر بما كلمته به حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال: يا خيرة النساء، وابنة خير الآباء، والله ما عدوت رأي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما عملت إلا بأمره، وأن الرائد لا يكذب أهله، وقد قلتِ فأبلغتِ، وأغلظتِ فأهجرتِ، فغفر الله لنا ولك.

أما بعد، فقد دفعت آلة رسول الله ـ أي سلاحه ـ ودابته، وحذاءه إلى علي (عليه السلام)، وأما ما سوى ذلك فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضةً، ولا أرضاً ولا عقاراً ولا داراً، ولكنا نورث الإيمان والحكمة والعلم والسنة».

أقول : **أولاً** : إنّا ما دفعه أبو بكر من سلاح رسول الله ، ودابته وحذاءه إلى علي وفاطمة لا يخلو من أمور... أما أن يكون تبرعاً منه، وهو لا يحق له ذلك، لأنه ليس ملكه لأنه مال موروث باعترافه، والإنسان يعطي أو يهب ما يملك وعلي بن أبي طالب إذا لم تكن هذه الأمور من إرث الزهراء فلا يعقل أن يقبضها من أبي بكر وهو يعلم أنها ليست ملكه.

ثانياً: أن أبا بكر بعد أن قال أن النبي لا يورث... فكيف يدفع مخلفات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من سلاح وغيره لفاطمة وزوجها علي (عليه السلام)!

---

(١) شرح النهج: ج ١٦ ـ ص ـ ٢١٨.

وهذا دليل واضح على أن أبا بكر دفع هذه الأمور الجزئية لفاطمة وزوجها على سبيل الإرث والاختصاص، لأنها الوارثة الوحيدة. لا على سبيل الهبة.

ثالثاً: على أن رواية أبي بكر التي جاء بها عن الرسول الأعظم: «ولكنا نورث الإيمان والحكمة، والعلم والسنة». تنافي فعله من تسليم سلاح الرسول ودابته وحذاءه إلى علي وفاطمة كما أسلفنا.

وأقول أيضاً: أن إبا بكر ليس بالرجل الذي لم يقدر الأمور حق قدرها بل هو من بعد النظر بمكان. . .

لقد أعطى فاطمة هذه الجزئيات البسيطة لأنها لا تشكل بالحقيقة خطراً على توجيه دفة السياسة التي انتهجها. . . ولم يكن لها تلك القيمة المادية. أو الوزن المعنوي على تقوية جانب علي وفاطمة سياسياً فأحب أن يرضيها بها. وأما ما سوى ذلك من الميراث الذي له الأهمية وفيه تقوية. . فقد وضع يده عليه. . . وأتى عن الرسول الأعظم برواية: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث».

لم يكترث أبو بكر بما أوردته السيدة فاطمة الزهراء في خطبتها المشهورة البليغة التي خاطبته بها في المسجد وهو بين المهاجرين والأنصار والتي أوردت بها من الآيات البينات في إثبات حقها ما فيه الكفاية.



ميراث فاطمة الزهراء (عليها السلام)

لما كنا في صدد إرث فاطمة من أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وحرمانها من حقها الشرعي من ذلك الميراث.

لا بد لنا من وقفة تأمل في البحث والتدقيق في الروايات الواردة حول منع فاطمة (عليها السلام) من إرثها ليتضح لنا مدى ما تحتويه هذه المرويات من المتناقضات التي وضعها الوضاعون كل حسب ميله وهواه لإزالة الحق عن أهله. من جملتها:

روى صاحب شرح نهج البلاغة عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أم المؤمنين: «أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهما حينئذٍ يطلبان أرضه بفدك، وسهمه بخيبر، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «لا نورث، ما تركناه صدقة»، إنما يأكل آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذا المال، وإني والله لا أغير أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته، فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت»[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد -ج- ١٦ - ص- ٢١٨.

وفي شرح النهج أيضاً، عن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): قال: «لا يقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومـؤنة عيالي فهو صدقة».

ويعلق صاحب شرح النهج بقولـه: هذا حـديث غريب، لأن المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلا أبو بكر وحده»[1] .

وجاء في شرح النهج عن مالك بن أوس بن الحدثان، أن عمر بن الخطاب دعاه يوماً، فدخل عليه وهو جالس على سرير رمال، فبينا هو عنده إذ دخل يرفأ ـ فقال لعمر: هل لك في عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير يستأذنون عليك؟ قال ـ عمر ـ نعم، فأذن لهم.

قال مالك: ثم لبث قليلاً، ثم جاء فقال: هل لك في علي والعباس يستأذنان عليك؟ قال: ائذن لهما.

فلما دخلا قال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا ـ يعني علياً ـ وهما يختصمان في الصوافي[2] التي أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير.

قال: فاستب علي والعباس عند عمر، فقال عبد الرحمن يا أمير المؤمنين، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر، فقال عمر: أنشدكم الله الذي تقوم بإذنه السماوات والأرض، هل تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا نورث ما تركناه صدقة»، يعني نفسه؟

قالوا: قد قال ذلك، فأقبل على العباس وعلي فقال: أنشدكما الله هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم. قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله تبارك وتعالى خص رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الفيء بشيء لم يعطه غيره، قال تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله منهم

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ـ ج ـ ١٦ ـ ص ـ ٢٢٠ ـ ٢٢١.
(٢) الصوافي: الأملاك الواسعة. والخبر في اللسان: مادة صفا.

فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير﴾[1]، وكانت هذه خاصة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فما اختارها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، لقد أعطاكموها وثبتها فيكم حتى بقي منها هذا المال، وكان ينفق منه على أهله سنتهم، ثم يأخذ ما بقي فيجعله فيما يجعل مال الله عز وجل، فعل ذلك في حياته، ثم توفي، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقبضه الله، وقد عمل فيها بما عمل به رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وانتما حينئذٍ، والتفت إلى علي والعباس، تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر فاجر، والله يعلم إنه فيها لصادق بار راشد، تابع للحق. ثم توفى الله أبا بكر، فقلت: أنا أولى الناس بأبي بكر وبرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقبضتها سنتين ـ أو قال سنين من إمارتي ـ أعمل فيها مثل ما عمل به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبو بكر، ثم قال: وأنتما ـ وأقبل على العباس وعلي ـ تزعمان أني فيها ظالم فاجر، والله يعلم أني فيها بار راشد، تابع للحق، ثم جئتماني وكلمتكما واحدة، وأمركما جميع، فجئتني ـ يعني العباس ـ تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا ـ يعني علياً ـ يسألني نصيب إمرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا نورث، ما تركناه صدقة»، فلما بدا لي أن أدفعها إليكما قلت: ادفعها على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبو بكر، وبما عملت به فيها، وإلا فلا تكلماني فقلتما: ادفعها إلينا بذلك، فدفعتها إليكما بذلك، أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك والله الذي تقوم بإذنه السماوات والأرض لا أقضي بينكما بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي فأنا أكفيكماها»[2].

---

(١) سورة الحشر ـ آية ـ ٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ـ ج ـ ١٦ ـ ص ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٣.



عرض وتحليل

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: عن عائشة أنها قالت: أرسل أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسأل لهن ميراثهن من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مما أفاء الله عليه حتى كنت أردهن عن ذلك فقلت: ألا تتقين الله، ألم تعلمن أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «لا نورث ما تركناه صدقة»، يريد بذلك نفسه إنما يأكل محمد من هذا المال، فانتهى أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ما أمرتهن به.

يقول صاحب الشرح: هذا مشكل، لأن الحديث الأول يتضمن أن عمر أقسم على جماعة فيهم عثمان، فقال: نشدتكم الله، ألستم تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا نورث ما تركناه صدقة» يعني نفسه فقالوا: نعم، ومن جملتهم عثمان، فكيف يعلم بذلك فيكون مترسِّلاً ورسولاً لأزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يسأله أن يعطيهن الميراث! اللهم إلا أن يكون عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير صدَّقوا عمر على سبيل التقليد لأبي بكر فيما رواه وحسن الظن، وسمَّـوا ذلك علماً... فهلا حسن ظن عثمان برواية أبي بكر في مبدأ

الأمر فلم يكن رسولاً لزوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في طلب الميراث.

ويتابع صاحب شرح النهج قوله: وها هنا إشكال آخر، وهو أن عمر ناشد علياً والعباس: هل تعلمان ذلك؟ فقالا: نعم.

فإذا كانا يعلمانه فكيف جاء العباس وفاطمة إلى أبي بكر يطلبان الميراث على ما ذكر في خبر سابق... وهل يجوز أن يقال: كان العباس يعلم ذلك ثم يطلب الإرث الذي لا يستحقه؟

وهل يجوز أن يقال: أن علياً كان يعلم ذلك ويمكن زوجته أن تطلب ما لا تستحقه، خرجت من دارها إلى المسجد، ونازعت أبا بكر، وكلمته بما كلمته إلا بقوله وإذنه ورأيه.

وأيضاً: إذا كان (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يورث، فقد أشكل دفع آلته ودابته وحذائه إلى علي (عليه السلام)، لأنه غير وارث في الأصل، وإن كان أعطاه ذلك لأنّ زوجته ترث، لولا الخبر، فهو أيضاً غير جائز، لأن الخبر قد منع من أن يرث منه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً.

ويتابع صاحب شرح النهج إشكاله فيقول: وها هنا إشكال آخر، وهو قول عمر لعلي (عليه السلام) والعباس: وأنتما حينئذٍ تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر، ثم قال لما ذكر نفسه: وأنتما تزعمان أني فيها ظالم فاجر.

فإذا كانا يزعمان ذلك فكيف يزعم هذا الزعم مع كونهما يعلمان أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا أورث»! إن هذا لمن أعجب العجائب! ولولا أن هذا الحديث ـ أعني حديث خصومة العباس وعلي عند عمر ـ مذكور في الصحاح المجمع عليها لما أطلت العجب من مضمونه، إذ لو كان غير مذكور في الصحاح لكان بعض ما ذكرناه يطعن في صحته؛ وإنما الحديث في الصحاح لا ريب في ذلك.

أقول: ذكرنا بعض الروايات التي وردت حول ميراث فاطمة (عليها السلام) ومنعها منه، وما ذكر في بعضها من طلب العباس عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفاطمة ميراثهما من النبي عندما تسلم أبو بكر زمام الحكم. . .

فإذا كان العباس وفاطمة يعلمان أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال على حسبما ادعى أبو بكر « نحن معاشر الأنبياء لا نورث» فكيف يطلب العباس (رض) ميراثه من ابن أخيه ـ في قول بعض الفئات التي تورث العصبة ـ؟!

وكيف تطلب فاطمة عليها السلام ميراثها من أبيها وهي تعلم ذلك؟!

وفاطمة تلك الصديقة الطاهرة التي نزل القرآن بحقها وحق زوجها وبنيها فهي منزهة عن الرجس.

فإذا كانت بضعة المصطفى منزهة في القرآن الكريم. . فهل يمكن أن تطلب ما ليس لها من الميراث . . .؟!

مضافاً إلى أن العباس عم النبي الكريم، لم يكن ذلك الرجل الجشع الذي يعلم أنه ليس له من الإرث شيء ويطلب ما ليس له. .

وأيضاً: إذا كان علي (عليه السلام)، والعباس رضي الله عنه يعلمان أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا نورث» على ما جاء في رواية مالك بن أوس بن الحدثان ـ الرجل المغمور المجهول الذكر. . الذي هو لا من الصحابة المعروفين. . ولا من الرواة الموثوقين ـ عما قاله عمر لعلي والعباس: أنشدكما الله هل تعلمان أن رسول الله قال: «لا نورث ما تركناه صدقة». . الخ فقالا: نعم. . .

فكيف يأتي العباس وعلي بن أبي طالب بعد هذا يطلب كل واحد منهما ما ليس له؟! وكيف يصدر هذا الطلب عنهما؟!

مع العلم أن علي بن أبي طالب الذي هو نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما جاء في آية المباهلة: (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)[1].

أقول: أن رواية شرح النهج المنسوبة إلى مالك بن أوس بن الحدثان هي رواية لا صحة لها مطلقاً.. ولا شك أنها من المرويات الموضوعة للنيل من كرامة علي بن أبي طالب (عليه السلام).. وعلي أجل من أن يطلب ما ليس له، أو ينازعه عمه العباس بن عبد المطلب كما سيأتي إنْ شاء الله..

وليت شعري... إذا كان علي بن أبي طالب وهو نفس النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من حيث الطهارة، والصدق، والنزاهة.. والنبي لا ينطق عن الهوى.. فكيف يطلب علي ميراث زوجته فاطمة الزهراء وهو يعلم أنه ليس لها حق..

وفضائل علي وفاطمة عليهما السلام، وما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقهما كثيرة لا تحصى، ولسنا بصدد ذكرها الآن.

على أن التاريخ يشهد أن علي بن أبي طالب هو ذلك الرجل الزاهد، العابد، المتقشف الذي هو نفس النبي لو كان يريد المال، أو عرض الدنيا الزائل، لكان ادخر المال الوفير أيام خلافته والدنيا مستوسقة بيده...

أليس علي بن أبي طالب هو الرجل الوحيد الذي كان يكنس بيت المال وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غرِّي غيري.

وليت شعري كيف يكون عثمان بن عفان رسولاً لأزواج النبي

---

(١) سورة آل عمران ـ آية ـ ٦١.

(صلى الله عليه وآله وسلم) ومطالباً لهن بإرثهن وقد سمع الرسول يقول «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» كما في رواية عروة عن السيدة عائشة. إلى آخر ما هنالك من الروايات الموضوعة الواهية التي هي أوهى من بيت العنكبوت والطاعنة في حق علي والعباس، والمجحفة في حق فاطمة.

ومن أعجب الأعاجيب أن ابن أبي الحديد المعتزلي.. السني المذهب.. نجده بعد أن ذكر روايات كثيرة، أكثرها متضاربة، متنافرة، متباينة، حول ميراث فاطمة من أبيها الرسول الأعظم ذهب يلتمس الأعذار عن مخرج لاثبات رواية مالك بن أوس بن الحدثان، عن مخاصمة علي والعباس واستبابهما عند عمر، وطلبهما من عمر أن يقضي بينهما في قصة ميراث الرسول الأكرم... الخ فلم يجد ما يؤيده.

نعم.. عندما لم يجد صاحب شرح النهج في مجال التاريخ، وبطون الكتب ما يدعم رواياته المبررة لمواقف الخليفتين، أبي بكر، وعمر، الظالمة لعلي والعباس وفاطمة.. خرج علينا بقوله: «ولولا أن هذا الحديث أعني خصومة العباس وعلي عند عمر مذكور في الصحاح المجمع عليها لما أطلت العجب من مضمونه، إذ لو كان غير مذكور في الصحاح لكان بعض ما ذكرناه يطعن في صحته، وإنما الحديث في الصحاح لا ريب في ذلك».

أقول: تعالى معي أيها القارىء المنصف، والباحث المحقق لنرى هل أن الصحاح التي اعتمد عليها صاحب شرح النهج عندما قال: ـ إن الحديث مذكور في الصحاح لا ريب في ذلك.

ولسائل يسأله: هل أصبح الحديث إذا ذكر في الصحاح كان صحيحاً لا ريب فيه؟!

وهل أصبح الحديث إذا ذكر في الصحاح يناهض القرآن بالنسبة للميراث؟!

وهل أصبحت الصحاح أيضاً بمثابة كتاب سماوي صادق عادل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى يعارض الحديث الموجود في القرآن الكريم.. كلام الله عز وجل حيث نزَّه علياً وفاطمة من كل شائبة وطهرهما بقوله عزَّ من قائل: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**[1].

والمعروف عند كل صاحب عقل وفكر وعلم أن الصحاح كغيرها من الكتب التي بين أيدينا، تضم بين دفتيها الغث والسمين، من الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة.. وكذلك تضم الأحاديث الموضوعة إرضاء لرغبات السلاطين والحكام في عصر أصحاب الروايات.. بأجر وبغير أجر.. تقرباً إليهم.. وعلى من أراد التحقيق فليراجع كتب التاريخ والحديث بتأمل.

(١) سورة الأحزاب ـ آية ـ ٣٣ .

نظرة... وتأمل حول ميراث فاطمة الزهراء (عليها السلام)

لقد امتلأت كتب التاريخ والسير بالكتابة عن موضوع إرث الزهراء (عليها السلام)من أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكثر التحقيق والبحث والتدقيق، فذهب الباحثون مذاهب شتى كل يكتب حسب ميله وهواه، وما تجمع لديه من معلومات أو مرويات، صحيحة أو غير صحيحة.

وكثر الجدل وكل واحد يرغب أن يحقق رأيه، ويصر على أن رأيه الذي يراه هو الصواب ورأي غيره خطأ وقد ذهب بعض المؤرخين وأصحاب السير من المتقدمين والمتأخرين في رأيهم شططاً... فقالوا إن حرمان فاطمة من ميراثها من أبيها له ما يبرره استناداً إلى رواية أبي بكر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سمعت رسول الله يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث».

وخلاصة القول في موضوع إرث الزهراء (عليها السلام) من أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحرمانها منه. ليس له مبرر. لأن القرآن الكريم أبان موضوع الإرث في الإسلام، وأوضحه بشكل لا يقبل التفسير والتأويل، حسب الاجتهاد والاستنباط، على ما يريد المجتهدون أو المستنبطون.

والقرآن الكريم اشتمل على الآيات البينات الدالة على أن ميراث الإنسان لأبنائه كما في قوله تعالى: ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وورث سليمان داود**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب**﴾[3] إلى آخر ما هنالك من الآيات النازلة من لدن عزيز حكيم.

وهنا لا بد لنا من وقفة تأمل وتحقيق في السؤال الذي يفرض نفسه في مثل هذا المقام، وهو أنه هل يجوز على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يشرع حكماً يخالف نصوص القرآن التي تنص على ميراث الأبناء من الآباء؟.. ويخفي هذا التشريع عن جميع المسلمين من قريب أو بعيد حتى الذين كانوا أقرب الناس إليه وألصقهم به كعلي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي اصطفاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من بين جميع صحابته وأقاربه للأخوة، والمصاهرة، والولاية، فعلمه من علمه، وأدبه بأدبه حتى قال عنه: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

وهل يخفي الرسول الأعظم تشريع منع فاطمة من إرثها المخالف لنصوص القرآن عن الصحابة الأبرار؟ أمثال عمه العباس رضي الله عنه، وسلمان الفارسي ـ الذي قال عنه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «**سلمان منا أهل البيت**» أو على أبي ذر الغفاري رضي الله عنه الذي رُوي عن النبي قوله: «**ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر**».

وهل يُخفي الرسول هذا التشريع أيضا على المقداد بن الأسود وعمار بن ياسر رضي الله عنهما وهما اللذان تشتاق لهما الجنة كما رُوي عن الرسول أيضاً في حقهما. إلى غير هؤلاء من اجلاء الصحابة والمسلمين.

---

(١) سورة النساء ـ آية ـ ١١.

(٢) سورة النمل ـ آية ـ ١٦.

(٣) سورة مريم ـ آية ـ ٥ ـ ٦ .

وهل يجوز أن يخفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا التشريع بالذات عن الصحابة الأبرار جميعاً وهو يمسهم مباشرة، ولا يبلغه إلا لأبي بكر وحده ويختصه من دونهم؟!

مع العلم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان من عادته فيما يعود للتشريع الإسلامي عند نزول الوحي عليه يجمع المسلمين ويبلغهم ما أنزل عليه من الآيات من رب العالمين. لأن التشريع النازل عليه يعم الجميع ولو كان المخاطب به النبي.

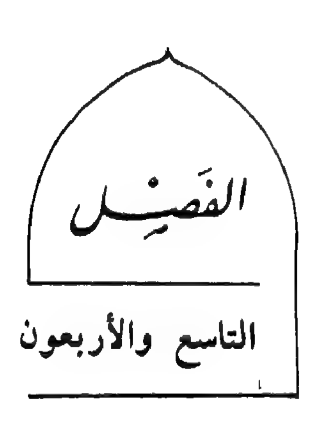
وأيضـاً: كيف يُخفي النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) هذا التشريع عن ابنته فاطمة (عليها السلام) وهو يعلم حق العلم أن ذلك سيعرضها للخلاف مع من يلي أمر المسلمين، بل ويعرضها إلى المطالبة بما لا تستحق من الإرث.

وإن مطالبة ابنته فاطمة بإرثها سوف يحدث لها المشاكل ويؤدي بالتالي إلى ايذائها وغضبها، وقد كان (صلوات الله عليه وآله) يكرر المرة تلو المرة على مسامع المسلمين: «أن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها... وأنها بضعة منه يؤذيه ما يؤذيها».

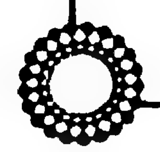
وهل يجوز للرسول الأعظم أيضاً: أن يُخفي هذا التشريع عن ابن عمه علي باب مدينة العلم... ومن عنده علم الكتاب. وعلى المسلمين أجمع وهو يعلم أن ذلك سيؤدي إلى الاختلاف فيما بينهم.

ونهاية المطاف نخلص إلى القول: لا أظن أن كل كاتب.. أو عاقل.. أو مفكر لا تأخذه في الله لومة لائم يبعد عن القول بأن مطالبة فاطمة بإرثها من أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) هو حق شرعي لها، وليس لأحد منعها إياه.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الفصل
التاسع والأربعون





من قصة فدك

تقدم بعض الكلام في قصة فدك، وذلك عندما فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حصون خيبر في السنة السابعة من الهجرة النبوية، وبقي للكلام بقية من عرض وتحليل وتساؤل.

ما الذي دعا أبا بكر لأن ينتزع فدك من فاطمة عليها السلام بعد أن أنحلها إياها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!

وقد كان تسليم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدك لابنته فاطمة (عليها السلام) عن أمر الله تعالى حيث نزل الأمين جبرائيل بالوحي عليه من السماء ﴿ **وآت ذا القربى حقه** ﴾[1] عند ذلك أعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدك لفاطمة امتثالاً لأمر الله تعالى كما في الدر المنثور للسيوطي حيث قال:

«أخرج البزاز وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري (رض) قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة فاعطاها فدك[2].

(١) سورة الإسراء ـ آية ـ ٢٦.

(٢) فدك هي قرية من قرى الحجاز بينها وبين المدينة مسيرة يومين أو ثلاثة أيام كما في معجم البلدان لياقوت الحموي.

=

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس (رض) قال: لما نزلت **﴿وآت ذا القربى حقه﴾** اقطع رسول الله فاطمة فدك... الخ[1].

وبقيت فدك بيد فاطمة طيلة أيام أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) من السنة السابعة للهجرة حتى وفاته لم ينازعها فيها أحد.

على أن فاطمة (سلام الله عليها) كانت قد تركت فدك بيد أبيها الرسول (صلوات الله عليه وآله) يتصرف بناتجها كما تريد. وتأخذ ما يكفيها وولدها كما ذكرت المصادر الشيعية وبعض المصادر السنية.

أقول: لما كان ما كان من أمر الخلافة ووليها أبو بكر لم يرق له أن تبقى فدك بيد فاطمة حيث أنه رأى أن لها غلات كثيرة وتعطي نتاجاً وافراً خشي أن يستعين علي بن أبي طالب زوج فاطمة بمحصول فدك ويتقوى بنتاجها وتتحسن اقتصادياته وينازعه سلطانه.

عند ذلك عمد أبوبكر إلى انتزاع فدك من فاطمة مهما كلف الأمر.

وحينما انتزعها منها جاءته وطالبته بها مستفسرة عن سبب انتزاعها منها، مع أنها كانت واضعة يدها عليها تتصرف بها كيف تشاء. وقد أعطاها إياها أبوها النبي العظيم بلا معارض أو منازع لأنها حق من حقوقه (عليه الصلاة والسلام) ولأنها مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كما أسلفنا.

وتقول المرويات بأن فاطمة (سلام الله عليها) عندما جاءت أبا بكر

= وكانت فدك لليهود سلمها أهلها لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن رأوا حصون خيبر تتساقط بأيدي المسلمين الواحدة تلو الأخرى. وفدك هذه مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله خاصة وقد صالحه أهلها على أن يتركهم يعملون فيها بنصف الناتج فوافق رسول الله على ذلك. وفدك شأنها غير شأن بقية حصون خيبر لأن حصون خيبر فتحت بالحرب فكانت ملكاً للمسلمين. وفدك للنبي خاصة لأنها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

(١) الدر المنثور: للسيوطي: ج ـ ٤ ـ ص ـ ١٧٧.

تطالبه بفدك أجابها قائلاً: إني سمعت رسول الله يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث».

قالت فاطمة: انحلنيها أبي وأنا واضعة يدي عليها.
قال لها أبو بكر: هل لك بينة على ذلك؟
قالت له: نعم... فشهد لها علي (عليه السلام) بذلك، وأم أيمن...

ولما جاءت أم أيمن لتشهد قالت لأبي بكر وعمر: ألستما تشهدان أني من أهل الجنة[1].

قالا: بلى.

قالت أم أيمن: فأنا أشهد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطاها فدك.

فقال أبو بكر: فرجل آخر أو امرأة أخرى لتستحقي بها القضية[2].

وهنا يقع القول: أنه من المفروض أن لا يطلب أبو بكر البينة من فاطمة الزهراء لأنها واضعة يدها عليها. ووضع اليد دلالة على الملكية.

ومع هذا كله لو سلمنا جدلاً أن البينة على فاطمة فقد أحضرت علي بن أبي طالب وأم أيمن...

ومن المعلوم أنه في مثل هذه الحال كفاية شهادة علي بن أبي طالب، وتحليف فاطمة اليمين...

ولأنه في مثل هذه القضية وما شاكلها أن يُكتفى بشاهدين عدلين، أو شاهد ويمين المدعي... فلماذا انتزعها منها وخالف؟!

---

(١) ذكر ابن سعد في طبقاته أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة، فليتزوج أم أيمن» فتزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد - ج - ١٦ - ص - ٢٢٠.

على أنه لو أمعنا النظر في سياسة أبي بكر السلبية من إرث فاطمة الزهراء لاتضح لنا أنه لو جاءته بجلة الصحابة الموثوقين كأبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والمقداد، والعباس بن عِبد المطلب الذين هم مستعدون للشهادة لو دعتهم فاطمة إليها.. لشهدوا لها مهما كلف الأمر.

على أن فاطمة (صلوات الله عليها) تعلم حق العلم ما يريده أبو بكر من سلبيته.

ويدلنا على هذا ما رواه صاحب شرح النهج[١]: أنه لما أراد أبو بكر أن ينتزع من فاطمة فدك، وطالبته، وشهد لها علي بن أبي طالب وأم أيمن.. أحضر أبو بكر عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف، فشهدا أن رسول الله كان يقسمها.

ويتضح لنا أيضاً من موقف فاطمة في قصة فدك، من أن فدك لم تكن تهمها، ولو كان همها الاستيلاء عليها أو الناحية المادية، لأحضرت خمسين شاهداً...

ولأنها تعلم كما أسلفنا أن أبا بكر غير مستعد أن يحكم لها بما تريد بل هو على استعداد لأن يعارض بينتها باحضار بينة أخرى، ممن هم على رأيه في سلب فاطمة حقها ومجابهتها. وأدل دليل على ما نقول احضاره عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف ليشهدا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقسمها كما أسلفنا.

على أن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف لم يشهدا أنهما سمعا من رسول الله أنه قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» أو أنه قال كما في رواية ثانية: «لا نورث ما تركناه صدقة».

على أنه من المتسالم عليه عند الجميع أنه لم يرو قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» إلا أبو بكر خاصة.

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد -ج- ١٦ - ص ٢١٦ .

وأما موقف فاطمة الزهراء من موضوع فدك وتصلبها في مطالبتها بها لم يكن همها الوحيد هو الاستيلاء عليها أو استغلالها من الناحية المادية فحسب، بل كان هدفها عندما أحضرت علياً وأم أيمن والحسنين للشهادة فما ذاك إلا لكي تسجل على القوم رداً صريحاً لنصوص الرسول الأعظم في حق علي وولديه الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

جاء في رواية سليم بن قيس العامري، أنه حين أراد ـ أبو بكر ـ انتزاع فدك من فاطمة وهي في يدها، فقالت له: أليست فدك في يدي وفيها وكيلي، وقد أكلت غلتها ورسول الله حي؟!

وقالا: ـ أبو بكر وعمر ـ: بلى.

قالت فاطمة: فلم تسألاني البينة على ما في يدي؟!

قالا: لأنها فيء للمسلمين، فإن قامت بينة وإلا لم نمضها.

قالت لهما: والناس حولهما يسمعون: أفتريدان أن تردا ما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحكما فينا خاصة بما لم تحكما في سائر المسلمين...

إلى أن قالت: أرأيتما إن أدعيت ما في أيد المسلمين من أموالهم.. تسألوني البينة أم تسألونهم؟

قالا: بل نسألك...

قالت: فإن ادعى جميع المسلمين ما في يدي، تسألونهم البينة... أم تسألونني؟

فغضب عمر وقال: إنّ هذا فيء للمسلمين، وأرضهم، وهي في يد فاطمة تأكل غلتها، فإن أقامت بينة على ما أدعت أن رسول الله وهبها لها من بين المسلمين وهي فيئهم وحقهم نظرنا في ذلك.

فقالت (عليها السلام): حسبي أنشدكم الله أيها الناس.. أما سمعتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إن ابنتي فاطمة سيدة نساء أهل الجنة؟

قالوا: اللهم نعم.

قالت: أفسيدة نساء أهل الجنة تدعي الباطل وتأخذ ما ليس لها بحق؟!.. الخ[1].

وفي رواية لسليم بن قيس أيضاً: أن أبا بكر أراد أن يكتب لها كتاباً في فدك، ولكن عمر بن الخطاب، قد حال بينه وبين ما يريد، وقال له: ان علياً يجر النار إلى قرصه.. وأم أيمن امرأة أعجمية لا تفصح عما تريد - وأنه لما عرضت على أبي بكر شهادة الحسنين (عليهما السلام) قال له عمر: إنهما صغيران لا تجوز شهادتهما... الخ.

نعود فنقول: إذا كان أبو بكر لا يعطي لأحد ما كان للمسلمين لأنه لم يكن سعة في أموال الفيء، فلماذا أعطى جابر بن عبدالله في أيام وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما جاءه مال البحرين فإنه أعطاه ألف وخمسمائة درهم كما رواه البخاري في باب ما اقطع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مال البحرين - ومسلم أيضاً - ورواه أحمد في مسنده.

وكذا أعطى غيره نحو ذلك، ففي كنز العمال عن ابن سعد: سمعت منادي أبي بكر ينادي بالمدينة حين قدم عليه مال البحرين: من كانت له عدة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فليأت فيأتيه رجال فيعطيهم.

فجاءه أبو بشر المازني، فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لي: إذا جاءنا شيء فائتنا فأعطاه أبو بكر حفنتين أو ثلاثاً. فوجدها ألفاً وأربعمائة.

أقول: ليت شعري لماذا لم يطلب أبو بكر البينة من أبي بشر المازني، وأعطاه من فيء المسلمين بمجرد دعواه...

---

(١) راجع كتاب سليم بن قيس العامري: ص- ١٣٦.

هل كان أبو بشر المازني أصدق من علي وفاطمة والحسنين (عليهم السلام) وأصدق من أم أيمن التي قال عنها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أنها من أهل الجنة؟

وكذلك ما وهبه أبو بكر لمعاذ بن جبل كما في الاستيعاب بترجمة معاذ: أنه مكث باليمن أميراً، وكان أول من أتجر بمال الله فمكث حتى أصاب، وحتى قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فلما قدم ـ معاذ ـ قال عمر لأبي بكر: ارسل إلى هذا الرجل فدع له ما يعيشه وخذ سائره منه، إلى أن قال: فلما اجتمع معاذ بأبي بكر قال له أبو بكر: لا آخذ منك شيئاً قد وهبته لك.

وفي شرح النهج عن الجوهري في كتاب السقيفة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث أبا سفيان ساعياً فرجع من سعايته وقد مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فقال ـ أبو سفيان ـ من ولي بعده؟ قيل: أبو بكر. قال: أبو فصيل!.. قالوا: نعم...

فكلم عمر أبا بكر فقال: أن أبا سفيان قد قدم، وإنا لا نأمن شره، فادفع له ما في يده. فدفع أبوبكر لأبي سفيان ما في يده، فتركه فرضي[1].

ولا يخفى على كل منصف أن المال الذي ارتشى به أبو سفيان حتى سكت عن خلافة أبي بكر ليس لأبي سفيان فيه حق. ولكن لا بأس.. فالربح الذي سيجنيه من سكوت أبي سفيان هو أهم من الأموال التي أعطاها إياه. على أن أبا بكر يعلم حق العلم أن أبا سفيان كان يزدريه ويستصغره ولا يراه أهلا للخلافة فكان شراء سكوته أفضل الطرق.

---

(١) راجع دلائل الصدق ـ للشيخ محمد حسن المظفر.



وقفة تأمل وتساؤل حول قصة فدك

السؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو: لماذا لم يعط أبو بكر فدك لفاطمة، وهي حق لها تستعين بها على نفقتها ونفقة أولادها؟..

مع العلم أنه كان يعطي ويمنح حسب رأيه وما يراه مناسباً وموافقاً لمصلحته، ولا يطلب البينة من أحد كما طلبها من فاطمة عندما أراد أن ينتزع منها فدك كما أسلفنا من ذكر بعض الروايات كمثل شاهد.

على أنه لو أمعنا النظر في سياسة أبي بكر السلبية من إرث فاطمة ونحلتها، لاتضح لنا أنه لو جاءته بخمسين من الشهود وبالصحابة الموثوقين كأبي ذر الغفاري ـ وسلمان الفارسي ـ وعمار بن ياسر ـ والمقداد بن الأسود ـ والعباس بن عبد المطلب (رضوان الله عليهم) الذين هم مستعدون للشهادة لو دعتهم فاطمة إليها... وشهدوا لها.. لبقي أبو بكر على موقفه السلبي منها.

بالاضافة إلى أن فاطمة (عليها السلام) تعرف حق المعرفة ما يريده أبو بكر من سلبيته وتصلبه في منعها حقها. وهو مستعد لأن يعارض بينتها باحضار بينة أخرى ممن هم على رأيه...

ويدلنا على هذا أنه لما أراد أبو بكر أن ينتزع منها فدك أحضر

عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقسمها[1] معارضاً لشهادة علي وأم أيمن من أن رسول الله أعطى فدك لفاطمة ـ نحله ـ.

على أنه سبق منا القول أن فاطمة حينما كانت في حياة أبيها كانت تأخذ من فدك ما يكفيها وولدها وتترك الباقي لرسول الله يتصرف حسب رأيها.

على أنه أيضاً: أن عمر وعبد الرحمن لم يشهدا أن فدك ليست لفاطمة وكل ما شهدا أن النبي كان يقسمها على حسب منطوق رواية صاحب شرح النهج.

وفي نهاية المطاف يستنتج من جميع الروايات الواردة في إرث فاطمة من أبيها... ومن قصة فدك وتصلبها في مطالبتها بحقها لم يكن همها الوحيد هو الإستيلاء على تلك البقعة من الأرض واستغلالها من الناحية المادية فحسب.. بل كان هدفها عندما أحضرت علياً وأم أيمن والحسنين للشهادة... فما ذاك إلا لكي تسجل على القوم رداً صريحاً لنصوص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المستفيضة في حق ابنته فاطمة، وعلي وولده المعصومين اللذين هم خلفاؤه الحقيقيون.

على أن أبا بكر وعمر وقفا من بضعة المصطفى موقفاً متصلباً، ولم يلتفتا إلى نص القرآن ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ ولا إلى شهادة علي وأم أيمن والحسنين ولا إلى الأحاديث الشريفة التي كانت تتردد على أسماعهما من الرسول التي من جملتها ـ فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ـ... الخ ومضيا في موقفهما المتصلب حتى ذهبت فاطمة (صلوات الله عليها) من هذه الدنيا الفانية مغصوبة الحق مهيضة الجناح، غاضبة ساخطة ورحم الله القائل:

ولكان الجميل أن يقطعاها فدكا لا الجميل أن يقطعاها

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ـ ج ـ ١٦ ـ ص ـ ٢١٦.

ذكر المؤرخون وأصحاب السير: أن فدك بقيت طيلة أيام أبي بكر ـ وعمر ـ وعثمان في أيديهم يتصرفون بها كما يشاؤون.

ولما انتقلت الخلافة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) تصرف بها لصالح المسلمين كما كان يتصرف بأمواله الخاصة في سبيلهم.

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم أيام سلطته، فوهبها لعبد العزيز ابنه، فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز. فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة. كانت أول ظلامة ردها ـ دعا حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ـ وقيل: بل دعا علي بن الحسين (عليهما السلام) فردها عليه.

وكانت ـ فدك ـ بيد أولاد فاطمة (عليها السلام) مدة ولاية عمر بن عبد العزيز. فلما ولي يزيد بن عاتكة قبضها منهم، فصارت في أيدي بني مروان كما كانت ـ يتداولونها. حتى انتقلت منهم السلطة وزالت دولتهم. وأراح الله منهم البلاد والعباد.

ولما استولى أبو العباس ـ المعروف بالسفاح ـ على الدولة الإسلامية ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن.

وبعد ثورة الحسنيين على الدولة العباسية انتزعها منهم أبو جعفر المنصور ثم ردها المهدي على ولد فاطمة (عليها السلام). ثم قبضها موسى بن المهدي ـ الملقب بالهادي ـ انتزعها من العلويين، وكذلك فعل هارون أخوه فلم تزل في أيديهم حتى ولي المأمون، فردها على الفاطميين.

ويروي صاحب شرح النهج: أنه جلس المأمون للمظالم، فأول رقعة وقعت في يده نظر فيها وبكى، وقال للذي على رأسه: ناد أين وكيل فاطمة بنت محمد؟

فقام شيخ عليه دراعة وعمامة وخف تعزّي فتقدم فجعل يناظره في فدك والمأمون يحتج عليه، وهو يحتج على المأمون، ثم أمر أن يسجل لهم بها، فكتب السجل وقرىء عليه، فأنفذه.

عندها قام دعبل إلى المأمون فأنشده الأبيات التي أولها:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا   برد مأمون هاشم فدكا

فلم تزل في أيدي العلويين يستغلونها حتى كان في أيام المتوكل. فاقطعها عبد الله بن عمر البازيار، وكان فيها احدى عشرة نخلة غرسها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده الشريفة.

ومما يروى أن بني فاطمة عندما كانت في أيديهم كانوا يأخذون تمر تلك النخلات ويحتفظون به لموسم الحاج فإذا قدم الحجاج على المدينة أهدوا إليهم من ذلك التمر - فيصلونهم فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل.

فلما استولى عليها البازيار أرسل رجلاً يقال له بشران بن أبي أُمية الثقفي إلى المدينة وأمره بقطع النخيلات التي غرسها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده حتى لا يعود ريعها لأولاد فاطمة .

ولما قطع بشران تلك النخيلات ورجع إلى البصرة أصابه فالج مباشرة[1] .

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة - لابن أبي الحديد - ج - ١٦ - ص - ٢١٦ - ٢١٧.

حزن فاطمة الزهراء على أبيها الرسول الأعظم

بقيت فاطمة (عليها السلام) بعد وفاة أبيها محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حزينة القلب باكية العين لم تجف لها عبرة ولم يستقر لها حال، خصوصاً بعد الذي لاقته من الخليفتين أبي بكر وعمر من الجفوة والانتقام بانتزاع فدك منها وقد كان رسول الله أنحلها إياها، وحرمانها أيضاً من ميراثها ومن سهم ذوي القربى وانحرافهما عن وصية رسول الله بابعاد علي بن أبي طالب زوجها عن الخلافة حقه الشرعي.

بقيت فاطمة الزهراء تندب أباها ليلاً ونهاراً لا ترقأ لها عبرة، لأن رسول الله صاحب القلب الكبير كان يشملها بعطفه، ويحوطها برعايته حيث كانت في ظله تكتنفها السعادة وبفقده اكفهرت وجوه رجال وبدا ما كانت تنطوي عليه صدورهم من الضغينة والبغضاء ولفها من بعد أبيها الحزن والكرب والعناء.

كانت فاطمة (صلوات الله عليها) لا تُرى بعد أبيها إلا باكية وهي تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

وتقول: بعد أن تنثني نحو قبر أبيها.

قل للمغيب تحت أطباق الثرى ... إن كنت تسمع صرختي وندائيا

صُبت علي مصائب لو أنها صُبت على الأيام عدن لياليا
فإذا بكت قمرية في ليلها شجناً على غصن بكيت صباحيا
فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا
قد كنت ذات حمى بظل محمدٍ لا أختشي ضيما وكان جماليا
فاليوم أخشع[1] للذليل واتقي ضيمي وادفع ظالمي بردائيا

لم يكن لفاطمة ملجأ بعد أن عزَّ عليها الصبر بفقد أبيها ـ فكل مصاب بعده جلل. . . ـ لذلك كانت تلجأ للبكاء لعلها تطفىء بدموعها نيران حزنها المتأججة بين أضلعها حتى عُدت من البكائين.

جاء في كتاب الأمالي للصدوق عن الإمام الصادق (عليه السلام)[2] أنه قال: «البكاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام).

فأما آدم: فإنه بكى خوفاً من ربه لما خرج من الجنة.

وأما يعقوب: فإنه بكى على ولده يوسف حتى ذهب بصره، وقيل له: ﴿تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين﴾[3].

وأما يوسف: فإنه بكى على أبيه حتى تأذى منه من كان معه في السجن.

وأما فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد بكت على أبيها حتى تأذى منها أهل المدينة، وقالوا لها: لقد آذيتنا بكثرة بكائك.

---

(١) وفي رواية: اخضع للذليل.
(٢) الإمام الصادق (عليه السلام) هو جعفر بن محمد الباقر: سادس الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) وسنأتي على ذكره عند الكتابة عن سيرته (عليه السلام).
(٣) سورة يوسف ـ آية ـ ٨٥.

فكانت تخرج إلى المقابر فتبكي حتى تقضي حاجتها، ثم تعود إلى بيتها.

وأما علي بن الحسين (عليه السلام): فقد بكى على أبيه عشرين عاماً ـ وقيل: أربعين عاماً ـ وما قدم له من طعام وشراب، إلا اشتد بكاؤه، فيقال له: ألا تأكل؟!

فيقول: كيف آكل وأبو عبدالله مات جائعاً، وكيف أشرب وأبو عبدالله مات عطشاناً... الخ.

وروى الكليني بسنده عن الصادق (عليه السلام) قال: عاشت فاطمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وسبعين يوماً لم تر كاشرة، ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين الاثنين والخميس فتقول: ها هنا كان رسول الله، (صلى الله عليه وآله وسلم) وها هنا كان المشركون. وفي رواية عن الصادق أيضاً: أنها كانت تصلي هنالك وتدعو حتى ماتت.

وفي السيرة النبوية لأحمد بن زيني دحلان: عاشت فاطمة بعد أبيها ستة أشهر فما ضحكت تلك المدة.

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء بسنده عن أبي جعفر ـ هو الباقر (عليه السلام) ـ قال: ما رُئيت فاطمة ضاحكة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا يوماً افترت بطرف نابها، قال: ومكثت بعده ستة أشهر.

وفي المناقب لابن شهراشوب: رُوي أن فاطمة ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، تقول لولديها أين أبوكما الذي كان يكرمكما، ويحملكما مرة بعد مرة..؟ أين أبوكما[1] الذي كان أشد

---

(١) أين أبوكما: المراد هو جدهما رسول الله لأنه (صلوات الله وسلامه عليه وآله) كان =

الناس شفقة عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض، ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً ، ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما . . . ؟!

ورُوي أنه لما قبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) امتنع بلال من الاذان وقال: لا أُؤذن لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنّ فاطمة قالت ذات يوم : أشتهي أن أسمع صوت مؤذن أبي بـآذان . فبلغ ذلك بـلالاً . . فـأخـذ بـلال في الآذان ، فلما قـال : الله أكبر . . الله أكبر ذكرت فاطمة أباها وأيامه ، فلم تتمالك من البكاء .

فلما بلغ إلى قوله: أشهد أن محمداً رسول الله . . . شهقت فاطمة وسقطت لوجهها وغشي عليها، فقال الناس لبلال: امسك . . . فقد فارقت ابنة رسول الله الدنيا. وظنوا أنها قد ماتت. فلم يتم بلال الاذان.

وعندما أفاقت فاطمة سألته إتمامه فلم يفعل، وقال لها: يا سيدة النسوان أني أخشى عليك ممـا تنزلينـه بنفسك إذا سمعت صـوتي بالاذان . . . فاعفته من ذلك كما أسلفنا .

ورُوي عن علي (عليه السلام) أنه قال: غسلت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قميصه فكانت فاطمة تقول: أرني القميص، فإذا شمته غشي عليها فلما رأيت ذلك غيبته.

ولما بلغ الحزن بفاطمة منتهاه إذ تقضي أيامها ولياليها بالبكاء تضايق أهل المـدينة من كـثرة بكائهـا جاؤوا إلى عـلي (عليه السـلام) فبنى لها بيتاً في البقيع، كانت تأوي إليه في ساعات من الليل والنهار، تبكي أباها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما شاء لها وسُمي هذا البيت ببيت الأحزان .

وفي كتاب أهل البيت للأستاذ توفيق أبو علم: ان بيت الأحزان،

= يقول في حقهما ولداي هذان إمامان قاما أو قعدا . . . ويقول للزهـراء أين ابني الحسن ـ أو أين ابني الحسين كما هو المعروف عنه في سيرته . . الخ .

هو الموضع المعروف بمسجد فاطمة، من جهة قبة مشهد الحسن، والعباس. إلى أن يقول: وإليه أشار ابن جبير بقوله:

«ويلي القبة العباسية بيت فاطمة الزهراء بنت الرسول، ويعرف ببيت الأحزان، ويقال أنه هو البيت الذي آوت إليه والتزمت الحزن فيه، منذ وفاة أبيها إلى أن لحقت به».



مرض فاطمة الزهراء.. وخطبتها في نساء المهاجرين والأنصار

جاء في كثير من الروايات أن فاطمة (عليها السلام) بعدما رجعت من المسجد النبوي الشريف إلى منزلها مهضومة الحق، كسيرة القلب، مسلوبة الميراث، حيث جار عليها الظالمون. لم يعد يقوى جسمها النحيل على تحمل ما لاقته من الأذى وما تجرعته من المصائب وهي ترى أن الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه.

وبعدما ألقت خطبتها المشهورة وخاطبت المسلمين من المهاجرين والأنصار بما خاطبتهم به، ولم تجد تجاوباً يعتد به كما أسلفنا عادت أدراجها إلى بيتها وقد شعرت بالمرض ينتابها، لزمت فراشها واستقرت، بعد أن أدت ما عليها من الواجب نحو زوجها وولديها (عليهم السلام) من ارجاع الحق إلى أهله.

وحينما شاع خبر مرضها في أنحاء المدينة، بادرت عند ذلك نساء المسلمين لعيادتها والاطمئنان عن صحتها.

جاء في أعيان الشيعة وفي احتجاج الطبرسي، وفي معان الأخيار، وشرح النهج لابن أبي الحديد وفي أمالي الشيخ، وفي كشف الغمة عن صاحب كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن رجاله عن عبدالله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين أنها قالت: «لما مرضت

فاطمة الزهراء (عليها السلام) المرضة التي توفيت فيها، واشتدت علتها، اجتمعت إليها نساء المهاجرين والأنصار ليعدنها، فسلمن عليها وقلن لها: كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله؟

فحمدت الله تعالى وصلت على أبيها ثم قالت: أصبحت والله عائفة لدنياكن، قالية لرجالكن، لفظتهم بعد أن عجمتهم[١] وشنأتهم[٢] بعد أن سبرتهم[٣]، فقبحا لفلول الحد، واللعب بعد الجد، وقرع الصفاة[٤]. وصدع القناة، وخطل الآراء، وزلل الأهواء. **﴿ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾**.

لا جرم والله لقد قلدتهم ربقتها، وحملتهم أوقتها[٥] ثقلها، وشننت عليهم غارتها، فجدعا وعقرا، وبعداً للقوم الظالمين.

ويحهم أنى زعزعوها[٦] عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين[٧] بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين.

وما الذي نقموا من أبي الحسن؟! نقموا منه والله نكير سيفه، وقلة مبالاته بحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله عز وجل. وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردهم إليها، وحملهم عليها..

وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله

---

(١) عجمتهم: بلوتهم وخبرتهم.
(٢) شنأتهم: ابغضتهم.
(٣) سبرتهم: علمت أمورهم.
(٤) الصفاة: كناية عن النيل بسوء.
(٥) أوقتها: أي ثقلها.
(٦) وفي روايةشرح النهج: أنى زحزحوها.
(٧) الطبين: الفطن ـ الحاذق.

وسلم) لاعتلقه ولسار بهم سجحا، لا يكلم خشاشه[1] ولا يكل سائره، ولا يمل راكبه. ولا وردهم منهلا نميرا، صافياً روياً فضفاضاً تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه، ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سراً وإعلاناً. ولم يكن يتحلى من الغنى بطائل، ولا يحظى من الدنيا بنائل، غير ري الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب **﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾**.

ألا هلم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجباً،! «وإن تعجب فعجب قولهم».

ليت شعري.. إلى أي لجأ لجؤوا، وإلى أي اسناد استندوا؟! وعلى أي عماد اعتمدوا، وبأي عروة تمسكوا..؟ وعلى أي ذرية قدموا واحتنكوا. «لبئس المولى ولبئس العشير وبئس للظالمين بدلاً».

استبدلوا والله الذنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. **﴿إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾**.

ويحهم: **﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾** أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملىء القعب دماً عبيطاً، وزعافاً، واطمئنوا للفتنة، جأشاً، وابشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج دائم شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً... فيا حسرة لكم.. وأنى بكم وقد عميت عليكم، أتلزمكموها وأنتم لها كارهون.

---

(١) الخشاش: بكسر الخاء المعجمة ما يجعل في انف البعير من خشب، ويشد به الزمام ليكون أسرع لانقياده. وفي رواية شرح النهج: لا تكلم حشاشته.

فاعادت النساء ـ نساء المهاجرين والأنصار ـ قولها على رجالهن، فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين وقالوا: يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن يبرم العهد، ويحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره.

فقالت (عليها السلام): إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تِقصيركم[1].

---

(١) أعيان الشيعة السيد محسن الأمين. ج ـ ١ ـ ط. دار التعارف للمطبوعات بيروت. ص ـ ٣٢٠.

وصية فاطمة الزهراء عليها السلام

ذكر المؤرخون وأصحاب السير أن فاطمة الزهراء استسلمت للحزن بعد وفاة أبيها فلم ترى إلا باكية العين، كسيرة الفؤاد، نحيلة الجسم، وأخيراً مرضت وساء حالها. فلما أحست بدنو أجلها، استدعت زوجها علياً (عليه السلام)، فأوصته وصيتها، وطلبت منه بل ألحت عليه أن يواري جثمانها في غسق الليل. حتى لا يحضر جنازتها أحد ممن ظلموها، وجحدوا حقها، وسلبوها إرثها، وتناسوا قول أبيها - «فاطمة بضعة مني» وقوله: إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك... الخ.

ذكر السيد الأمين في أعيان الشيعة: لما مرضت فاطمة الزهراء (عليها السلام) مرضها الذي توفيت فيه جعلت توصي علياً (عليه السلام) وتعهد إليه عهودها.

فمما جاء في وصيتها ما روي أن علياً (عليه السلام) وجده عند رأسها بعدما توفيت، وهي رقعة فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده

ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

يا علي حنطني، وغسلني، وكفني، وصل علي، وادفني بالليل، ولا تعلم أحداً... واستودعك الله، واقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيامة.

وجاء في كتاب روضة الواعظين: إن فاطمة (عليها السلام) لم تزل بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) مهمومة، مغمومة، محزونة مكروبة، كئيبة باكية. ثم مرضت مرضاً شديداً، ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفيت (صلوات الله عليها).

فلما نعيت إليها نفسها دعت أم أيمن، وأسماء بنت عميس، ووجهت خلف علي فاحضرته، فقالت له: يا ابن عم.. أنه قد نعيت إلي نفسي، وانني لا أرى ما بي إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك باشياء في قلبي.

قال لها علي (عليه السلام): أوصيني بما أحببت يا ابنة رسول الله. فجلس عند رأسها واخرج من كان في البيت.

قالت له يا ابن عم: ما عهدتني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني.

فقال (عليه السلام): معاذ الله.. أنت أعلم بالله، وأبر وأتقى، وأكرم وأشد خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتي، وقد عز علي مفارقتك، وفقدك، إلا أنه أمر لا بد منه والله لقد جددت علي مصيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها، وآلمها، وأمضها، وأحزنها. هذه والله مصيبة لا عزاء عنها، ورزية لا خلف لها. ثم بكيا جميعاً ساعة، وأخذ علي رأسها وضمها إلى صدره ثم قال: أوصيني بما شئت فإنك تجديني وفياً أمضي كل ما أمرتني به، واختار أمرك على أمري.

قالت: جزاك الله عني خير الجزاء، يا ابن عم... ثم أوصته بما أرادت.

فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) بجميع ما أوصته به.

وذكر المؤرخون وأصحاب السير: لما مرضت فاطمة دعت أم أيمن، وأسماء بنت عميس، وعلياً (عليه السلام)، وأوصت إلى علي بثلاث وصايا.

الوصية الأولى: أن يتزوج بامامة بنت أختها زينب[1] لحبها أولادها. وقالت إنها تكون لولدي مثلي. وفي رواية أنها قالت: بنت أختي وتحني على ولدي.

الوصية الثانية: أن يتخذ لها نعشاً ووصفته له. وفي رواية: أن أسماء بنت عُميس قالت لها: إني إذ كنت بأرض الحبشة رأيتهم يضعون شيئاً فإن أعجبك أصنعه لك. فدعت بسرير فاكبته لوجهه، ثم دعت بجرائد، فشدتها على قوائمه، وجعلت عليه نعشاً، ثم جللته ثوباً. فقالت فاطمة: اصنعي لي مثله. استريني سترك الله من النار.

الوصية الثالثة: أن لا يُشهد أحداً جنازتها ممن كانت غاضبة عليهم، وأن لا يترك أن يصلي عليها أحد منهم. وأن يدفنها ليلاً إذا هدأت العيون ونامت الأبصار، وأن يعفي قبرها.

وكان أيضاً مما أوصت فاطمة الزهراء زوجها علياً: أن تحنط بفاضل حنوط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان أربعين

---

(١) ذكر الأستاذ توفيق أبو علم في كتابه أهل البيت: أوصت الزهراء علياً أن يتزوج بأمامة بنت أختها زينب (رض) وهي بنت أبي العاص بن الربيع. وهي التي كان رسول الله يحملها في الصلاة فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي قتادة أن النبي كان يحمل أمامة بنت زينب على عاتقه، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها. وعن عائشة أن رسول الله أهديت له هدية فيها قلادة من جزع فقال: لأدفعها إلى أحب أهلي فقالت النساء ذهبت بها ابنة أبي قحافة فدعا أمامة بنت زينب فاعلقها في عنقها. واهدى النجاشي إليه حلية فيها خاتم من ذهب فصه حبشي فأعطاه أمامة.

درهماً، فقسمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أثلاثاً، ثلثا لنفسه، وثلثا لعلي، وثلثا لفاطمة.

وأوصته أيضاً : أن يغسلها في قميصها ، ولا يكشفه عنها لأنها كانت قد اغتسلت قبل وفاتها بيسير ، وتنظفت ، ولبست ثيابها الجدد .

وجاء في الأخبار: أن فاطمة عليها السلام أوصت لأزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لكل واحدة منهم باثنتي عشرة أوقية ـ والأوقية أربعون درهماً ـ .

وأوصت (عليها السلام) لنساء بني هاشم مثل ذلك. وأوصت لأمامة بنت أختها زينب بشيء.

وفي كتاب بحار الأنوار للمجلسي: عن أبي بصير أنه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ألا أقرئك وصية فاطمة؟

قال: قلت: بلى، فاخرج حقاً ـ أو صفطاً ـ فاخرج منه كتاباً فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أوصت بحوائطها[1] السبعة، العواف، والذلال، والبرقة، والمبيت، والحسني، والصافية، وما لأم ابراهيم إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فإن مضى علي فإلى الحسن، فإن مضى الحسن فإلى الحسين، فإن مضى الحسين، فإلى الأكبر من ولدي. شهد الله على ذلك، والمقداد بن الأسود، والزبير بن العوام، وكتب علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعن أبي بصير أيضاً: قال:

قال أبو عبدالله (عليه السلام): ألا أقرئك وصية فاطمة؟ قلت: بلى:

---

(١) الحوائط: البساتين.

قال: فاخرج إلي صحيفة فيها:

هذا ما عهدت فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في أموالها إلى علي بن أبي طالب، فإن مات فإلى الحسن، فإن مات فإلى الحسين، فإن مات فإلى الأكبر من ولدي دون ولدك: - الدلال - والعواف - والمبيت - والبرقة - والحسني - والصافية - وما لأم ابراهيم شهد الله عز وجل على ذلك. والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام.

وعن أبي عبد الله قال: المبيت: هو الذي كاتب عليه سلمان - فافاءه الله على رسوله فهو في صدقتها.

عن أحمد بن محمد، عن أبي الحسن الثاني (عليه السلام) قال: سألته عن الحيطان السبعة، التي كانت ميراث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة (عليها السلام).

فقال: إنما كانت وقفا... فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأخذ إليه منها ما ينفق على أضيافه، والتابعة تلزمه فيها[1].

فلما قبض النبي جاء العباس يخاصم فاطمة فيها، فشهد علي وغيره أنها وقف على فاطمة (عليها السلام)[2].

وفي الاستيعاب بسنده: أن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت لأسماء بنت عميس:

إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء، أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها.

فقالت لها أسماء: يا بنت رسول الله، ألا أريك شيئاً رأيته بارض الحبشة؟..

قالت: نعم.

(١) هكذا وردت في الأصل.
(٢) بحار الأنوار للمجلسي - ج - ٤٣ - ص - ٢٣٥.

فدعت أسماء بجرائد رطبة، فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً.

فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله..! تعرف به المرأة من الرجل.

ثم قال ـ صاحب الاستيعاب ـ: فاطمة أول من غُطي نعشها في الإسلام، على الصفة المذكورة. ثم بعدها زينب بنت جحش... الخ.

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن علي بن الحسين عن ابن عباس، قال: مرضت فاطمة مرضاً شديداً، فقالت لأسماء بنت عميس: ألا ترين يا أسماء إلى ما بلغت؟!

أحمل على السرير ظاهراً...

فقالت أسماء: لا.. لعمري، ولكن أصنع لك نعشاً كما رأيت يصنع بأرض الحبشة.

قالت فاطمة: فارينيه.؟

فأرسلت أسماء إلى جرائد من نخيل رطبة، وجعلت على السرير نعشاً، وهو ما كان النعش.

قالت أسماء: فتبسمت فاطمة، وما رأيتها مبتسمة بعد أبيها إلا يومئذ.

وفي الطبقات لابن سعد: أن فاطمة أحبت أن يصنع لها نعشاً يواري جثمانها، لأن الناس كانوا يومذاك يضعون الميت على سرير مكشوف لا يستر.

فكرهت فاطمة ذلك، وأحبت أن لا ينظر جثمانها أحد، وهي محمولة على أكتاف الرجال.

فاستدعت أسماء بنت عميس، وشكت إليها نحول جسمها وقالت لها: اتستطيعين أن تواريني بشي؟

قالت أسماء: أني رأيت الحبشة يعملون السرير للمرأة، ويشدون النعش بقوائم السرير.

فأمرتهم بذلك ـ وأوصتهم أن يعمل لها نعش ـ وعمل لها نعش قبل وفاتها، فلما نظرت إليه قالت: سترتموني ستركم الله.



لمحة عن بعض ما ورد في نضال فاطمة الزهراء (عليها السلام)

ذكر أهل التاريخ وأصحاب السير أن فاطمة الزهراء قضت المدة الوجيزة من حياتها بعد وفاة أبيها (صلوات الله وسلامه عليه وآله) في جهاد مستمر، ونضال شاق مع اخصامها ـ الذين انكشفت نواياهم وظهرت مكائدهم بعد وفاة الرسول ـ والذين استطاعوا السيطرة على زمام الحكم واخضاع المسلمين لسلطانهم بعد المؤامرة التي حاكوها في شأن الخلافة والاستيلاء عليها وذلك بسلبها من أصحابها الشرعيين. فلم يراعوا لرسول الله حقاً في حفظ ذريته ولا حفظوا وصيته. بل سلبوا الزهراء نحلتها وميراثها وجدُّوا في ملاحقة علي لإكراهه على البيعة .

تقول الروايات أن علي بن أبي طالب كان قد أبى البيعة، واعتصم هو وجماعة من خيرة الصحابة في بيته، فارسل أبو بكر عمر بن الخطاب على رأس جماعة من أنصاره لمداهمة علي ومن كان معه والاتيان بهم إلى المسجد مهما كلف الأمر.

أقبل عمر بن الخطاب بمن معه يحملون الحطب لإحراق البيت على أهله إذا تعذّر عليهم إخراج من فيه بقوة السلاح . وصاح ابن الخطاب بأعلى صوته يدعوهم إلى الخروج من الدار طائعين قبل أن يخرجوا منها مكرهين ومضى يقول والذي نفس ابن الخطاب بيده لتخرجن من الدار

أو لأحرقنها عليكم أجمعين. وإلى هذا أشار شاعر النيل حافظ ابراهيم بقوله:

وقولة لعلي قالها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقي عليك بها إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص بقائلها أمام فارس عدنان وحاميها

ففي تاريخ أبي الفداء من المجلد الثاني صفحة ٦٤: أن عمر بن الخطاب أقبل ومعه النار ليحرق عليهم البيت، فخرجت فاطمة وقالت له:

إلى أين يا ابن الخطاب... جئت لتحرق دارنا؟!

قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه المسلمون...

وذكر ذلك المسعودي أيضاً في مروج الذهب، والطبري ـ وابن أبي الحديد في شرح النهج، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة، وغير هؤلاء من الكتاب والمؤرخين. مع اختلاف بسيط في بعض العبارات.

ورُوي أن عمر بن الخطاب وجماعته لما أراد الدخول إلى بيت فاطمة واخراج علياً منه للبيعة، أرادت الزهراء (عليها السلام) أن تحول بينهم وبين ذلك، فضربها قنفذ على وجهها وأصاب عينها.

وفي رواية: أن عمر بن الخطاب ضربها بالسوط فأثر ذلك في عضدها كالدملج على حد تعبير الراوي.

وفي رواية أن الزهراء (عليها السلام) وقفت خلف الباب لتمنع القوم من دخول الدار فاندفعوا نحو الباب، ودفعوه نحوها، وكانت حاملاً فاسقطت ولداً وكان رسول الله قد سماه محسناً.

وجاء في كتاب الكافي للكليني عن عبدالله بن محمد الجعفي عن أبي جعفر الباقر وأبي عبدالله الصادق (عليهما السلام) قالا: إن فاطمة الزهراء (عليها السلام) لما كان من أمر القوم ما كان ـ أخذت

بتلابيب عمر بن الخطاب فجذبته إليها ثم قالت: أما والله يا ابن الخطاب لولا أني أكره أن يصيب البلاء من لا ذنب له لعلمت أني سأقسم على الله، ثم أجده سريع الإجابة.

وفي بعض الروايات أن فاطمة (عليها السلام) خرجت خلف علي عندما أخرجوه من منزله واقتادوه مكرهاً إلى المسجد للبيعة، ومعها نسوة من مخدرات بني هاشم، وأقبلت نحو المسجد وقالت لهم: خلوا عن ابن عمي، والذي بعث محمداً بالحق إن لم تخلوا عنه لأنشرن شعري، ولأضعن قميص رسول الله على رأسي... فما ناقة صالح بأكرم على الله مني... ولا فصيلها بأكرم عليه من ولدي.

وكان سلمان الفارسي قريباً منها وهي تخاطب القوم فقال: لقد رأيت حيطان المسجد تقلعت من أسفلها حتى لو أراد الرجل أن يخرج من تحتها لخرج. فجئت إليها وقلت لها: يا بنت رسول الله... لقد بُعث أبوك رحمة.. فلا تكوني أنت السبب في هلاك هذه الأمة.

ولما رأى القوم ما حل بهم تركوه ورجع معها إلى بيته.

إلى ما هنالك من الروايات الكثيرة الواردة في هذا الموضوع. والتي لا تثبت أسانيدها في مقابل النقد العلمي.

لكننا نقول: ليس على الله ببعيد... من باب الاعجاز والكرامة... أن يستجيب الله لدعاء الزهراء إذا سألته سبحانه أن يأخذ لها بحقها ممن ظلموها... ودعوة المظلوم تخترق حجب السماء... فكيف ببضعة المصطفى؟!

وما أحسن ما قيل:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم آخره يأتيك بالندم
تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

على أنه من المعلوم أن فاطمة الزهراء وأباها وزوجها وابناءها

الكرام على كثرة ما مر بهم من ظلم واضطهاد، وما لا قوه من تهديد وترويع من أعدائهم لم يكونوا ليسألوا الله تعالى أن ينتقم لهم من أعدائهم في دار الدنيا. بل قابلوا كل أنواع البلاء والمحن بالصبر الجميل والرضا بقضاء الله وقدره لأن الله سبحانه وتعالى وعدهم بالثواب الجزيل والأجر العظيم في الدار الآخرة ﴿والآخرة خير وأبقى﴾[1].

تقول بعض الروايات: أظهر أبو بكر وعمر الندم على سوء معاملتهم لبضعة المصطفى فاطمة. وخاصة بعد أن اشتد عليها المرض ولزمت الفراش، وشاع ذلك بين المهاجرين والأنصار. فأقبلا إلى بيتها مظهرين الندم على ما صنعا معها. فأبت أن تأذن لهما وأصرت على موقفها.

فاستجارا بأمير المؤمنين علي، ورغبا إليه أن يدخلا إليها عائدين. فدخل علي وأخبرها بالأمر فلم ترد طلبه وقالت بما معناه: يا ابن عم إن البيت بيتك والحرة زوجتك... الخ.

فدخلا وسلما عليها، فلم ترد عليهما وأشاحت بوجهها عنهما ولم تسمح لهما بالحديث معها. وبعد طلبهما سمحت لهما بذلك.

فقال أبو بكر: يا حبيبة رسول الله أن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي، وأنك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت قبله. ومضى يقول:

أفتراني أعرفك، وأعرف فضلك وشرفك، وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله إلا أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.

ولكن الزهراء تجاهلت إرثها وحديثه الذي نسبه لأبيها، بعد أن أبطلت جميع مزاعمه في خطابها الذي ألقته على مسامع المسلمين في المسجد النبوي الشريف قبل أيام معدودات.

---

(١) سورة الأعلى - آية - ١٧.

والتفتت إليهما وقالت:

نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخطها من سخطي، ومن أحب فاطمة إبنتي فقد أحبني، ومن أسخطها فقد أسخطني...؟

فقالا: أجل.. لقد سمعناه يقول ذلك...

فرفعت عند ذلك فاطمة الزهراء كفيها نحو السماء وقالت: إني أشهد الله وملائكته ورسله أنكما اسخطماني... ولئن لقيت رسول الله لأشكونكما إليه.

والتفتت إلى أبي بكر وقالت له: لأدعون الله عليك في كل صلاة اصليها ما دمت بين الأحياء. ثم سكتت.

كانت كلماتها هذه أشد وقعاً عليهما من الصواعق، وأحسا كأن الأرض مادت بهما وغادرا دارها يتعثران بالخيبة.



وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

جاء في كشف الغمة: أن فاطمة (عليها السلام) بقيت بعد أبيها أربعين صباحاً، ولما حضرتها الوفاة قالت لأسماء بنت عميس: إن جبرائيل أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما حضرته الوفاة بكافور من الجنة، فقسمه أثلاثاً، ثلث لنفسه، وثلث لعلي، وثلث لي، وكان أربعين درهماً.

ثم قالت عليها السلام: يا أسماء ائتني ببقية حنوط والدي من موضع كذا وكذا، فضعيه عند رأسي، فوضعته ـ أسماء ـ عند رأسها.

ثم تسجت بثوبها وقالت: انتظريني هنيهة ثم ادعيني، فإن أجبتك. . . وإلا فاعلمي أني قد قدمت على أبي. فانتظرتها أسماء هنيهة ثم نادتها فلم تجبها. فنادت ـ أسماء ـ: يا بنت محمد المصطفى، يا بنت أكرم من حملته النساء، يا بنت خير من وطأ الحصى، يا بنت من كان من ربه قاب قوسين أو أدنى، فلم تجبها. فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا. . . فوقعت عليها تقبلها وهي تقول:

فاطمة إذا قدمت على أبيك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام.

فبينما هي كذلك دخل الحسن والحسين فقالا: يا أسماء ما ينيم

أمنا في هذه الساعة؟

قالت: يا بني رسول الله، ليست أمكما نائمة.. قد فارقت الدنيا.

فوقع عليها الحسن يقبلها مرة ويقول: يا أماه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني...

وأقبل الحسين يقبل رجلها ويقول: يا أماه أنا ابنك الحسين كلميني قبل أن ينصدع قلبي فأموت.

قالت لهما أسماء: يا بني رسول الله انطلقا إلى أبيكما علي فأخبراه بموت أمكما.

فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء... فابتدرهم جميع الصحابة فقالوا: ما يبكيكما يا بني رسول الله لا أبكى الله أعينكما؟ لعلكما نظرتما إلى موقف جدكما (صلى الله عليه وآله وسلم) فبكيتما شوقاً إليه..؟

فقالا: لا أو ليس قد ماتت أمنا فاطمة (صلوات الله عليها).

فوقع علي على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد..؟ كنت بك اتعزى ففيم العزاء من بعدك؟ ثم قال:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

ثم قال علي: يا أسماء غسليها وحنطيها، وكفنيها. فغسلوها، وحنطوها، وكفنوها وصلوا عليها ليلاً ودفنوها بالبقيع[1].

وجاء في الإصابة: نقل أبو عمر في قصة وفاتها أن فاطمة أوصت علياً أن يغسلها هو وأسماء بنت عميس[2].

---

(١) كشف الغمة للأربلي -ج- ٢ - ص- ١٢٥.
(٢) الإصابة لابن حجر: -ج- ٤ - ص- ٣٧٨.

وفي الاستيعاب: أن فاطمة قالت لأسماء بنت عميس: إذا أنا مت فاغسليني أنت وعلي ولا تدخلي علي أحداً.

وفي الاستيعاب أيضاً: قال أبو عمر: فاطمة رضي الله عنها أول من غُطي نعشها من النساء في الإسلام، ثم بعدها زينب بنت جحش. وماتت فاطمة بنت رسول الله وكانت أول أهله لحوقاً به، وصلى عليها علي بن أبي طالب وهو الذي غسلها مع أسماء بنت عميس[1].

وفي طبقات ابن سعد أن علي بن أبي طالب غسل فاطمة.

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء: لما توفيت فاطمة غسلها علي وأسماء.

وفي أعيان الشيعة: روى ابن سعد في الطبقات بسنده عن أبي رافع عن سلمى، وفي الإصابة أخرج ابن سعد وأحمد بن حنبل من حديث أم رافع قالت:

مرضت فاطمة، فلما كان اليوم الذي توفيت فيه، خرج علي، فقالت لي: يا أمة اسكبي لي غسلا فسكبت لها فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ثم قالت: ائتني بثيابي الجدد فأتيتها بها، فلبستها ثم قالت: اجعلي فراشي وسط البيت، فجعلته فاضطجعت عليه واستقبلت القبلة ثم قالت لي: يا أمة، إني مقبوضة الساعة وقد اغتسلت فلا يكشفن لي أحد كتفا فماتت... الخ.

وروى أبو نعيم في الحلية أنها لما حضرتها الوفاة أمرت علياً فوضع لها غسلا، فاغتسلت وتطهرت، ودعت بثياب أكفانها، فأتيت بثياب غلاظ خشن فلبستها، ومست من الحنوط. ثم أمرت علياً أن لا تكشف إذا قبضت وأن تدرج كما هي في ثيابها.

ومن ذلك توهم بعضهم أن المراد أن تدفن بذلك الغسل وهو غير

---

(١) الإستيعاب لابن عبد البر -ج- ٤ - ص- ١٧٩.

صحيح. والظاهر أن هذا الغسل الذي اغتسلته (صلوات الله عليها) كان لأجل التنظيف والتطهر، لتغسل بعد وفاتها في ثيابها طاهرة نظيفة، ولا تكشف لأنه أبلغ في الستر، وأقل كلفة على من يغسلها، لا أنه كان غسل الأموات لعدم جواز تقديمه على الموت في مثل المقام. وتوهم بعضهم أنه غسل الأموات ليس بصواب.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أسماء بنت عميس قالت: غسلت أنا وعلي فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... الخ.

وكان علي هو الذي يباشر غسلها وأسماء تعينه على ذلك، وبهذا يرتفع استبعاد بعضهم أن تغسلها أسماء مع علي وهي حينذاك أجنبية عنه، لأنها كانت يومئذٍ زوجة أبي بكر.

وفي بعض الأخبار أنه أمر الحسن والحسين (عليهما السلام) يدخلان الماء، ولم يحضرها غيره وغير الحسنين وزينب وأم كلثوم وفضة جاريتها وأسماء بنت عميس.

الصلاة على فاطمة الزهراء (عليها السلام) ودفنها

ذكر المؤرخون أنه عندما توفيت فاطمة الزهراء (عليها السلام)، قام علي (عليه السلام) بتنفيذ وصيتها فغسلها كما أسلفنا وكفنها في سبعة أثواب، وحنطها بفاضل حنوط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم صلى عليها، وكبر خمساً، ودفنها في جوف الليل وعفى قبرها، ولم يحضر دفنها والصلاة عليها إلا علي والحسنان (عليهم السلام)، وعمار، والمقداد، وعقيل، والزبير، وأبو ذر، وسلمان، وبريدة، ونفر من بني هاشم وخواص علي (عليه السلام).

واختلف في موضع دفنها فقيل دُفنت في بيتها وهو الأصح الذي يقتضيه الاعتبار. وقيل: دُفنت في البقيع وسوى علي (عليه السلام) حول قبرها قبوراً وهمية حتى لا يعرف أحد موضعه.

وروى ابن سعد في الطبقات أنه نزل في حفرة فاطمة العباس وعلي، والفضل. وروى عدة روايات بعدة أسانيد أن علياً (عليه السلام) هو الذي صلى عليها.

وروى الحاكم بسنده عن عائشة قالت: دُفنت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلاً ولم يشعر بها أبو بكر حتى دفنت. وصلى عليها علي بن أبي طالب.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: صلى عليها علي بن أبي طالب وهو الذي كان قد غسلها مع أسماء بنت عميس، وكانت أشارت عليه أن يدفنها ليلاً.

وروى ابن سعد عدة روايات عن موسى بن علي عن بعض أصحابه وعن عائشة وعن يحيى بن سعيد أن فاطمة دُفنت ليلاً، بسنده عن علي بن الحسين قال: سألت ابن عباس: متى دَفنتم فاطمة؟ فقال: دفناها بليل بعد هدأة. قلت: فمن صلى عليها؟ قال: علي. إلى آخر ما هنالك من الروايات.

روي أنه لما توفيت فاطمة (عليها السلام) صاح أهل المدينة صيحة واحدة واجتمعت نساء بني هاشم في دارها فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع من صراخهن، وهن يقلن: يا سيدتاه... يا بنت رسول الله...

وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى علي (عليه السلام) وهو جالس، والحسن والحسين (عليهما السلام) بين يديه يبكيان، فبكى الناس لبكائهما.

وخرجت أم كلثوم وعليها برقعها تجر ذيلها متجللة برداء وهي تبكي وتقول: يا أبتاه يا رسول الله... الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعدْه أبداً.

واجتمع الناس فجلسوا وهم يرجون وينتظرون أن تخرج الجنازة فيصلوا عليها.

فخرج أبو ذر وقال: انصرفوا، فإن ابنة رسول الله قد أخر إخراجها هذه العشية، فقام الناس وانصرفوا.

وفي الاستيعاب لابن عبد البر: «لما توفيت فاطمة جاءت عائشة تريد الدخول عليها، فقالت أسماء بنت عميس: لا تدخلي.

فشكت عائشة إلى أبي بكر فقالت: أن هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. وقد جعلت لها مثل هودج العروس. فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال: يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يدخلن على بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... وجعلت لها مثل هودج العروس؟!

فقالت ـ أسماء ـ: أمرتني ـ فاطمة ـ أن لا يدخل عليها أحد، وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية، فأمرتني أن أصنع ذلك لها.

فقال أبو بكر: فاصنعي ما أمرتك، ثم انصرف فغسلها علي وأسماء[1].

جاء في دلائل الإمامة للطبري: عن محمد بن همام أن المّسلمين لما علموا وفاة فاطمة ـ ودفنها ـ جاؤوا إلى البقيع، فوجدوا فيه اربعين قبراً فاشكل عليهم موضع قبرها من سائر القبور. فضج الناس ولام بعضهم بعضاً. وقالوا: لم يخلف نبيكم فيكم إلا بنتاً واحدة تموت وتدفن، ولم تحضروا وفاتها، والصلاة عليها، ولا تعرفوا قبرها...؟!

ثم قال ولاة الأمر منهم: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نجدها، فنصلي عليها، ونزور قبرها.

فبلغ ذلك علي أمير المؤمنين (عليه السلام) فخرج مغضباً قد أحمرت عيناه، ودرت أوداجه، وعليه قباؤه الأصفر، الذي كان يلبسه في كل كريهة وهو متكىء على سيفه ذي الفقار، حتى ورد البقيع.

فسار إلى الناس النذير وقالوا: هذا علي بن أبي طالب، قد أقبل كما ترونه، يقسم بالله لئن حُول من هذه القبور حجر ليضعن السيف على غابر الآخر.

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر: ج ـ ٤ ـ ص ـ ٣٧٩ ـ حاشية كتاب الإصابة.

فتلقاه بعضهم فقال له: ما لك يا أبا الحسن... والله لـننبشن قبرها ولنصلين عليها.

فضرب علي (عليه السلام) بيده إلى جوامع ثوبه، فهزه، ثم ضرب به الأرض وقال: أما حقي فقد تركته، مخافة أن يرتد الناس... وأما قبر فاطمة فوالله الذي نفس علي بيده لئن رمت وأصحابك شيئاً من ذلك لأسقين الأرض من دمائكم.. فإن شئت فاعرض...

فتلقاه آخر فقال: يا أبا الحسن بحق رسول الله، وبحق من فوق العرش ألا خليت عنه، فإنا غير فاعلين شيئاً تكرهه...

فخلى عنه وتفرق الناس ولم يعودوا إلى ذلك.

قال سلامة الموصلي:

لما قضت فاطم الزهراء غسلهـا عن أمرها بعلها الهادي وسبطاها
وقام حتى أتى بطن البقيع بها ليـلاً فصلى عليهـا ثم واراهـا

ورحم الله القائل:

ولاي الأمـور تـدفـن لـيـلاً بضعـة المصطفى ويعفى ثـراهـا

وروي أن أمـير المؤمنين (عليـه السلام): قـام بعد دفنهـا فحول وجهه إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال:

السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك، وزائرتك النازلة في جوارك، والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك. قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلدي. ألا أن في التأسي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك، موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، بلى... وفي كتاب الله لي نعم القبول، إنا لله وإنا إليه راجعون.

قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء، والغبراء يا رسول الله...

أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم... كمد مقيح، وهم مهيج، سرعان ما فرق بيننا، وإلى الله أشكو... وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها، فاحفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً، وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

والسلام عليكما سلام مودع.. لا قالٍ.. ولا سئمٍ، فإن انصرف فلا عن ملالة، وإن أقم، فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين.

واها واها والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين، لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً، ولأعولت أعوال الثكلى على جليل الرزية فبعين الله تدفن ابنتك سراً، وتهضم حقها، وتمنع إرثها، ولم يطل العهد، ولم يخلق منك الذكر... إلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء، (صلى الله عليك)، و(عليك وعليها السلام والرضوان).

ولما دفنها علي (عليه السلام) وقف على شفير القبر وأنشأ يقول :

أرى علل الدنيا علي كثيرة　　وصاحبها حتى الممات عليل

وخشع الإمام عليه السلام، ولم يتمالك من البكاء وهو يسوي التراب، ففاضت عبراته، وأخذ ينفض يديه بحركة يائسة، وكأنه قد فرغ من الدنيا بعدما وارى تحت الثرى، زوجته الحبيبة، وشريكة حياته التي ملأت عليه دنياه، ووقفت بجانبه تشده وتؤازره في السراء والضراء. كما كانت أمها خديجة تناضل وتكافح وتضحي بكل غال ورخيص مجاهدة مع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفي رواية كان علي (عليه السلام) يزور قبر زوجته الزهراء في كل حين، فأقبل ذات يوم فانكب على القبر، وبكى بكاء مراً وأنشأ يقول:

ما لي مررت على القبور مسلما　　قبر الحبيب فلم يرد جوابي

أحبيب مالك لا تجيب مناديا　　أنسيت بعدي خلة الأحباب؟

ومنه: مجيباً لنفسه من قبلها (عليها السلام)[1]:

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنـا رهيـن جنـادل وتـراب
أكل التراب محاسني فنسيتكم وحجبت عن أهلي وعن أترابي
فعليكم مني السـلام تقـطعـت مني ومنكـم خلة الأحبـاب

اختلف في تاريخ وفاة فاطمة (عليها السلام): قيل توفيت في الثالث من جمادى الآخرة سنة احدى عشرة من الهجرة على المشهور بين أصحابنا وهو المروي عن الصادق عليه السلام.

وروي أنها توفيت لعشر بقين من جمادى الآخرة. وقيل لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر ليلة الأحد. وعن ابن عباس في الحادي والعشرين من رجب. وقال المدائني والواقدي وابن عبد البر في الاستيعاب: توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان. وروى الحاكم في المستدرك أنها توفيت لثلاث خلون من شهر رمضان.

واختلف في تاريخ وفاتها: بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) ففي الطبقات أنها بعد أبيها بثلاثة أشهر، عن عشرين عاماً. وفي المستدرك للحاكم أنها عاشت بعد أبيها ثمانية أشهر. وقيل أنها توفيت بعده بشهرين، وكان عمرها احدى وعشرين عاماً. وقيل أنها عاشت بعده خمساً وسبعين يوماً . وقيل ستة أشهر وتوفيت اليوم الثالث من رمضان . وقيل غير ذلك والله العالم .

والخلاصة: كان عمر فاطمة (عليها السلام) عند وفاتها ثماني عشرة سنة. وقيل ثماني عشرة سنة وشهرين. وقيل وسبعة أشهر، هذا على القول بأنها ولدت بعد المبعث بخمس سنين، وعلى القول أنها ولدت بعده بسنتين يكون عمرها إحدى وعشرين سنة. وعلى القول بأنها

(١) وفي شرح الديوان المنسوب إلى علي (عليه السلام): روي أن الأبيات الأخيرة سمعت من هاتف.

ولدت قبل المبعث بخمس سنين يكون عمرها ثماني وعشرين سنة إلى غير ذلك من الروايات.

وضم ثرى المدينة المنورة جثمان الصديقة الطاهرة، فاطمة الزهراء (عليها السلام)، كما ضم من قبل جثمان أبيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأوحشت ديار بني هاشم بعد النبي المصطفى وابنته الزهراء، وافتقد أهلها النور الذي كانوا به يهتدون، والركن القويم الذي كانوا إليه يستندون ويلجؤون .

وقبل أن اختم كلامي عن فاطمة (عليها السلام) اكتفي بالقول: أن قلمي عاجز. . ويحق لي أن أعترف بالعجز عن الاحاطة بما كتب عن حياتها التي قضتها في الجهاد والكفاح. مع أبيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . . وزوجها علي (عليه السلام) وفارقت الدنيا تاركة أحسن صورة للأنوثة الكاملة المقدسة .

وأختم كلامي بما قاله الأستاذ العقاد:

«ان في كل دين صورة للأنوثة الكاملة المقدسة، يتخشع بتقديسها المؤمنون، كانما هي آية الله من ذكر وأنثى. فإذا تقدست في المسيحية صورة مريم العذراء . . . ففي الإسلام لا جرم أن تتقدس صورة فاطمة الزهراء . . البتول » .

وسيظل ذكر فاطمة الزهراء على لسان المؤمنين، يخلدونه، ومركزها ومكانتها وجلال قدرها الرفيع بين أعلام النساء، وعباد الله المكرمين. ما دامت الدنيا.



بعض الادعية المأثورة عن فاطمة الزهراء (عليها السلام)

في كتاب مهج الدعوات عن فاطمة الزهراء ما ورد عنها من دعاء علمها إياه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

اللهم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء. وأنت الظاهر فليس فوقك شيء. وأنت الباطن فليس دونك شيء، وصلِ على محمد وعلى أهل بيته وعليهم السلام. واقض عني الدين، واغنني من الفقر، ويسر لي كل أمر يا أرحم الراحمين.

وفي مهج الدعوات أيضاً عنها عليها السلام:

اللهم قنعني بما رزقتني، واسترني وعافني أبدا ما أبقيتني، واغفر لي وارحمني إذا توفيتني. اللهم لا تعنني في طلبي ما لم تقدر لي، وما قدرته علي فاجعله ميسراً سهلاً.

اللهم كاف عني والدي، وكل من له نعمة علي خير مكافاتك.

اللهم فرغني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما تكفلت لي به، ولا تعذبني وأنا استغفرك، ولا تحرمني وأنا أسألك.

اللهم ذلل نفسي في نفسي، وعظم شأنك في نفسي، والهمني طاعتك والعمل بما يرضيك، والتجنب لما يسخطك يا أرحم الراحمين.

وفي الأحياء: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي:

يا حي يا قيوم، برحمتك استغيث، اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، واصلح لي شأني كله.

وفي ضياء الصالحين عن مهج الدعوات مروي عن الزهراء (عليها السلام): يستحب المواظبة على هذا الدعاء في الصباح والمساء، وهو نافع للحمى.

بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذي هو مدبر الأمور، بسم الله الذي خلق النور من النور.

الحمد لله الذي خلق النور من النور، وأنزل النور على الطور، في كتاب مسطور، في رق منشور، بقدر مقدور، على نبي محبور.

الحمد لله الذي هو بالعز مذكور، وبالفخر مشهور، وعلى السراء والضراء مشكور، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين.

وفي روض الأفكار: جاءت فاطمة (عليها السلام) تطلب شيئاً من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لها: ألا أعلمك خمس كلمات علمنيهن جبريل.

قالت: نعم.

قال: قولي: «يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا أرحم الراحمين، أغننا واقض حاجتنا».

الجفر.. والجامعة.. ومصحف فاطمة

إن من خواص النفوس البشرية، التشوق لاكتشاف عواقب الأمور ومعرفة ما يحدث لها في مستقبلها من حوادث مصيرية واستجلاء ما سيحصل في غدها من سعادة أو شقاء.

ولهذا عكف الناس في جميع الأزمنة والأمكنة، وعلى اختلاف طبقاتهم وأجناسهم على تدوين ما يحصل لهم من الأمور الطارئة ليسألوا بها أهل الفهم والبصيرة من ذوي الفراسة والذكاء. فكانوا يرجعون إلى الكاهن مثلاً عند الاقتضاء لحل مشاكلهم.

ولما جاء الإسلام نقض ما كانوا عليه من الرجوع إلى الكهان، وأتاهم بالحقائق الواضحة والعلوم النافعة وزود البشرية بما تحتاج إليه في معاشها ومعادها .

والرسول الأعظم الذي عنده علم الأولين والآخرين علم ابنته فاطمة جميع ما يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم وكذلك علم علي بن أبي طالب من العلوم التي آثره بها حيث قال: علمني رسول الله ألف باب من العلم ينفتح لي من كل باب ألف باب وقال الرسول الأعظم أنا مدينة العلم وعلي بابها.

ومن جملة التراث العلمي الذي خلفه رسول الله (صلى الله عليه

وآله وسلم) لابنته فاطمة وزوجها علي والأئمة الأطهار من ذريتها (عليهم السلام) ـ الجفر ـ والجامعة ـ ومصحف فاطمة على ما روي.

روى الكليني عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) فقلت له: جعلت فداك اني أسألك عن مسألة، ههنا أحد يسمع كلامي؟

قال: فرفع أبو عبدالله (عليه السلام) ستراً بينه وبين بيت آخر، فاطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك، ان شيعتك يتحدثون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علم علياً (عليه السلام) باباً يفتح له منه ألف باب؟

فقال: يا أبا محمد علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) ألف باب، يفتح من كل باب ألف باب.

قال: قلت: هذا والله العلم.

قال: فنكت ساعة في الأرض ثم قال: أنه لعلم وما هو بذاك.

قال: ثم قال: يا أبا محمد.. وإن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟

قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟

قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه، حتى الأرش في الخدش، وضرب بيده إلي فقال: تأذن لي يا أبا محمد؟

قال: قلت: جعلت فداك، إنما أنا لك فاصنع ما شئت.

قال: فغمزني بيده وقال: حتى ارش هذا[1] ـ كأنه مغضب ـ

قال: قلت هذا والله العلم.

---

(١) الأرش: الدية. ومراده تأذن لي في غمز اياك بيدي حتى تجد الوجع في بدنك. وهذا الوجع له دية.

قال: أنه لعلم وليس بذاك[1].

ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر؟

قال: قلت: وما الجفر؟

قال: وعاء من أدم فيه علم النبيين، والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل.

قال: قلت: أن هذا هو العلم.

قال: أنه لعلم وليس بذاك.

ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة (عليها السلام)، وما يدريهم ما مصحف فاطمة (عليها السلام)؟

قال: قلت: وما مصحف فاطمة (عليها السلام)؟

قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.

قال: قلت: هذا والله العلم.

قال: أنه لعلم وما هو بذاك.

ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان، وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

قال: قلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم.

قال: أنه لعلم وليس بذاك.

قال: قلت: جعلت فداك، فأي شيء العلم؟

قال: ما يحدث بالليل والنهار... الأمر من بعد الأمر... والشيء بعد الشيء، إلى يوم القيامة[2].

---

(١) وليس بذاك: أي ليس بالعلم الخاص الذي هو أشرف علومنا.

(٢) الكافي: للكليني: ج - ١ - ص - ٢٣٩.

وفي الارشاد للشيخ المفيد أن جعفر بن محمد ـ الصادق ـ (عليهما السلام) كان يقول: علمنا غابر.. ومزبور.. ونكت في القلوب.. ونقر في الاسماع...

وأن عندنا الجفر الأحمر.. والجفر الأبيض.. ومصحف فاطمة (عليها السلام).

وأن عندنا الجامعة، فيها جميع ما يحتاج الناس إليه.

فسئل (عليه السلام) عن تفسير هذا الكلام فقال :

أما الغابر: فالعلم بما يكون.

وأما المزبور: فالعلم بما كان.

وأما النكت في القلوب: فهو الإلهام.

وأما النقر في الأسماع: حديث الملائكة نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم.

وأما الجفر الأحمر :فوعاء فيه سلاح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ولن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت.

وأما الجفر الأبيض: فوعاء فيه توراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وكتب الله الأولى.

وأما مصحف فاطمة (عليها السلام): ففيه ما يكون من حادث، وأسماء كل من يملك إلى أن تقوم الساعة.

وأما الجامعة: فهي كتاب طوله سبعون ذراعاً، أملاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من فلق فيه[1] وخط علي بن أبي طالب (عليه السلام) بيده، فيه والله جميع ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة. حتى أن فيه ارش الخدش، والجلدة، ونصف الجلدة.

وكان الصادق (عليه السلام) يقول: إن حديثي حديث أبي،

(١) من فلق فيه: أي من شق فمه.

وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وحديث علي أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحديث رسول الله قول الله عز وجل[1].

وفي بحار الأنوار للمجلسي عن أبي عبيدة قال: سأل أبا عبد الله (عليه السلام) بعض أصحابنا، عن الجفر.

فقال (عليه السلام): هو جلد ثور مملوء علماً.

فقال له: ما الجامعة؟

قال: تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم، مثل فخذ الفالج[2] فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وفيها، حتى ارش الخدش.

قال له: فمصحف فاطمة:؟ فسكت طويلاً ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون، وعما لا تريدون.

إن فاطمة مكثت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وسبعين يوماً، وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرائيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي (عليه السلام) يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة[3].

أقول: إن فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت محدَّثة على حسب الروايات ولم تكن نبية ولا مرسلة مثلها مثل سارة زوجة نبي الله ابراهيم (عليه السلام) وأم موسى بن عمران (عليها السلام) ومريم أم عيسى (عليها السلام). وسيأتي شرح ذلك في باب لاحق.

---

(١) الارشاد: للشيخ المفيد - ص- ٢٧٤.
(٢) فخذ الفالج: الجمل العظيم ذو السنامين.
(٣) بحار الأنوار: للمجلسي ج- ٤٣ - ص- ٧٨.

جاء في مقدمة ابن خلدون: «واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي، وهو رأس الزيدية. كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق: وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص.

وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف، الذي يقع لمثلهم من الأولياء.

وكان مكتوباً عند جعفر في جلد ثور صغير، فرواه عنه هارون العجلي، وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب فيه. لأن الجفر في اللغة هو الصغير.

وصار هذا الاسم علما على هذا الكتاب عندهم.

وكان فيه تفسير القرآن. وما في باطنه من غرائب المعاني، مروية عن جعفر الصادق.

ولو صح السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند، من نفسه، أو من رجال قومه. فهم أهل الكرامات، وقد صح عنه أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم وتصح كما يقول.

وقد حذر يحيى ابن عمه زيدا من مصرعه. وعصاه، فخرج، وقتل بالجوزجان كما هو معروف.

وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنك بهم علماً، وديناً، وآثاراً، من النبوة، وعناية من الله بالأصل الكريم، تشهد لفروعه الطيبة»[1].

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ص ـ ٣٣٤.

فاطمة الزهراء (عليها السلام) محدَّثة.. ليست نبية ولا مرسلة

روى المجلسي في بحاره: عن علي بن جعفر الحضرمي قال: حدثنا سليمان: قال محمد بن أبي بكر: لما قرأ: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي**﴾[1] ولا محدَّث.

قلت: وهل يحدِّث الملائكة إلا الأنبياء؟

قال: ان مريم.. لم تكن نبية، وكانت محدَّثة، وأم موسى بن عمران كانت محدَّثة ولم تكن نبية، وسارة امرأة ابراهيم قد عاينت الملائكة، فبشروها باسحاق، ومن وراء اسحاق يعقوب، ولم تكن نبية. وفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت محدَّثة، ولم تكن نبية.

قال الصدوق. رحمه الله ـ: قد أخبرنا الله عز وجل في كتابه بأنه ما أرسل من النساء أحَداً من الناس في قوله تبارك وتعالى: ﴿**وما أرسلنا قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم**﴾[2] ولم يقل نساء. والمحدَّثون ليسوا برسل ولا أنبياء.

---

(١) سورة الحج ـ آية ـ ٥٢.

(٢) سورة الأنبياء ـ آية ـ ٧.

وزيادة في التوضيح: أن سارة زوجة ابراهيم الخليل (عليه السلام) كانت واقفة تسمع كلام الملائكة حينما قالوا له: أننا جئناك لنبشرك بغلام عليم.

فراجعهم قائلاً: أبشرتموني على أن مسني الكبر، وصار لا يرجى لمن كان مثلي أن يلد! وامرأتي عاقر قد بلغت سن اليأس!

وكانت سارة واقفة تسمع كلام الملائكة لابراهيم، فضحكت من هذه البشرى العجيبة، وقالت: كيف ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً؟!

وأبدت غاية الاستغراب، فأحال الملائكة الأمر على قدرة الله الذي لا يعجزه شيء، كما جاء ذلك في سورة هود:

﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذٍ[1] ـ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ـ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ـ قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب ـ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد ﴾[2] .

كذلك أم موسى بن عمران كانت محدَّثة ولم تكن نبية كما أسلفنا. . . وأنها لما ولدته خبأته عن عيون الرقباء من رجال فرعون الذين يطلبون أطفال بني إسرائيل لقتل ذكرانهم. فلما خافت افتضاح أمرها أعلمها الله تعالى كيف تنجيه من القتل، وعلمها أن تصنع له ما يشبه الصندوق وتطليه بالقطران والزفت، وتلقيه في اليم، ففعلت. . . وناطت باخته أن تتبع أثره، وتعلم علمه، وكان الله تعالى قد أعلمها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين. قال سبحانه وتعالى:

---

(١) جاء بعجل حنيذ: أي قدم لهم عجلاً مشوياً.

(٢) سورة هود ـ آية ـ ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ .

﴿وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾[1] .

وقال تعالى: مخاطباً موسى كما في سورة طه : ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى ـ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ـ أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدولي وعدوله والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني﴾[2] .

وأما مريم بنت عمران. . فكانت ابنة رجل عظيم من علماء بني إسرائيل ونشأت نشأة طهر وعفاف، ولما بلغت مبلغ النساء، اعتزلت من أهلها في مكان نحو المشرق من بيت المقدس، فارسل الله سبحانه إليها جبرائيل، فتمثل لها في سورة شاب تام الخلق فقالت له: أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً. . . وكان بينهما محاورة كما جاء ذلك في سورة مريم من قوله تعالى:

﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ـ فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ـ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ـ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ـ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغياً ـ قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾[3] .

وقال تعالى: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾[4] إلى آخر ما هنالك من الآيات الدالة على مخاطبة الملائكة

---

(١) سورة القصص ـ آية ـ ٧.

(٢) سورة طه ـ آية ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩.

(٣) سورة مريم ـ آية ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١.

(٤) سورة آل عمران ـ آية ـ ٤٥.

لمريم ابنة عمران.

إن الملائكة كانت تحدث من ذكرنا من النساء الصالحات أمهات الأنبياء (عليهم السلام) .

فكيف بفاطمة بضعة الرسول الأعظم التي هي بنت محمد الطاهرة.. المطهرة.. من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

علاوة على شهادة أبيها محمد رسول الله بأنها سيدة نساء العالمين فلا غرابة إذا حدثتها الملائكة.

وإنما أوردنا ما أوردناه من قصة سارة أم اسحاق زوجة ابراهيم، وأم موسى بن عمران، وأم عيسى مريم بنت عمران، على سبيل المثال لدفع إشكال من يشكل : أنه كيف يحصل حديث ـ أو كلام بين جبرائيل ـ أو الملائكة وبين أحد من الناس غير الأنبياء والمرسلين .

بحث وتدقيق حول الجفر.. ومصحف فاطمة

من البديهيات أن لا يترك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمراً من الأمور التي يحتاج إليها الناس في معاشهم ومعادهم إلا ويعلمها لهم، سواء كان ذلك من العبادات، أو المعاملات، أو الديات، أو الأخلاقيات، أو غير ذلك من الأمور لأنه أرسله تعالى رحمة للعالمين.

وعلى هذا الأساس فإن الذين يتلقون منه العلوم، لا بد هم أقرب الناس إليه وأكثرهم صلة به.

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن أهله وأقرباءه هم أكثر الناس اتصالا به، وتلقياً للعلوم منه.

وإذا حققنا تماماً ودققنا النظر في مضامين الأحاديث الواردة عنه (صلوات الله وآله وسلم) والتي سجلها المؤرخون وأصحاب السير نرى أنه لم يترك فرصة سانحة إلا ويزود المسلمين بتعاليمه القيمة. وبطبيعة الحال يكون الأكثر استفادة من تعاليمه هم أقرب الناس إليه. وهل هناك أقرب إلى رسول الله من ابنته فاطمة الزهراء وزوجها علي بن أبي طالب...

فاطمة الزهراء ابنة محمد التي نهلت من منهله الصافي منذ أن

رأت النور، فقد كان رسول الله لها الوالـد. . والمربي. . والمعلم. انشأها التنشئة الحسنة، وهذبها بتهذيبه، وعلمها من علومه ونهجت منهجه حتى فاقت جميع النساء علماً، وورعاً، وتقى، وزهادة. . وهي سيدة نساء العالمين.

فليس من الغريب أن تترك فاطمة (عليها السلام) لمن بعدها ثروة علمية يتوارثهـا ذووها وطـلاب العلم والمعرفـة من المسلمين . ومن جملة تراثها (عليها السلام) الكتاب الذي يسمى مصحف فاطمة.

ومن هذا المنطلق أيضاً: يحصل لنا العلم بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحرص كل الحرص جاهداً في تعليم ابنته العزيزة عليه فاطمة، جميع ما تحتاج إليه ويحتاج له الناس. فقد علمها من العلوم الجليلة القيمة النافعة للمسلمين كالعبادات، والمعاملات والديات حتى ارش الخدش كما أسلفنا.

بالاضافة إلى ما حصـل من الحوادث وسيحصـل في مستقبل الأزمنة.

وعلى ما ذكرته الروايات أن مصحف فاطمة كان يحتوي هذه العلوم وليس مصحف فاطمة بقرآن حتى يأتي من لا ذوق له ولا بصيرة ليطعن على المسلمين الشيعة فيقول: إن عندهم مصحف فاطمة هو بمثابة القرآن.

ودفعا للشبهات أقول: إن مصحف فاطمـة كان يحتـوي على المعطيات الآنفة الذكر وغيرها من العلوم والمعارف.

على أن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) لم يعبر عن مصحف فاطمة بالقرآن بل نفى ذلك وقال: «ما ازعم أن فيه قرآنا. . ـ وقال أيضاً:

وعندنا مصحف فاطمة أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه املاء

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخط علي (عليه السلام).

وفي الكافي للكليني عن الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: ان عندي الجفر الأبيض، قال:

قلت: فأي شيء فيه؟

قال: زبور داود، وتوراة موسى، وانجيل عيسى، وصحف ابراهيم (عليهم السلام)، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وربع الجلدة، وارش الخدش.

وعندي الجفر الأحمر، قال:

قلت: وأي شيء في الجفر الأحمر؟

قال: السلاح، وذلك إنما يفتح للدم، يفتحه صاحب السيف للقتل.

فقال له عبد الله بن أبي يعفور: أصلحك الله أيعرف هذا بنو الحسن؟

فقال: أي والله كما يعرفون الليل أنه ليل والنهار أنه نهار.. ولكنهم يحملهم الحسد وطلب الدنيا على الجحود والانكار، ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيراً لهم[1].

والظاهر أن المراد بمصحف فاطمة هو كتاب فاطمة الوارد في بعض الأخبار. بالاضافة إلى أن معنى المصحف ليس معناه اللغوي ـ القرآن ـ فلفظ قرآن يدل على الكتاب السماوي المنزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأما لفظ مصحف: فيمكن أن يطلق على كل كتاب أنه مصحف.

---

(١) الأصول من الكافي للكليني: ج ـ ١ ـ ص ـ ٢٤٠.

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة صحف: أن المصحف هو الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين. وقال الأزهري: وإنما سمي المصحف مصحفاً لأنه أصحف أي جعل جامعاً للصحف.

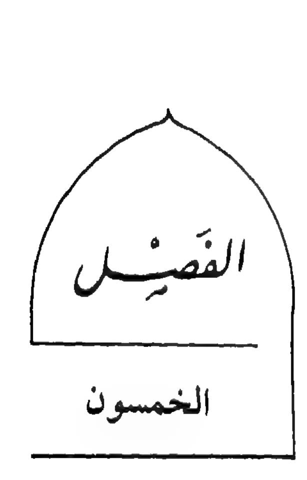
وأما من خصوص الجفر فالظاهر من الأخبار والروايات أن الجفر كتاب فيه العلوم النبوية الشريفة من حلال، وحرام، وأحكام وأصول، وكل ما يحتاج الناس إليه في أحكام دينهم، وما يصلحهم في دنياهم.

وفيه أيضاً الأخبار عن بعض الحوادث، ويمكن أن يكون فيه تفسير بعض المتشابه من القرآن المجيد.

وكيف كان.. فوجود كتاب يسمى بالجفر منسوب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) متسالم ومتفق عليه بين المسلمين الشيعة والسنة.

والأرجح أن كتاب الجفر الأساسي المنسوب للإمام علي (عليه السلام) لا وجود له في زماننا هذا بين أيدي الناس يتداولونه....

وإنما يوجد بعض الكتب تُسمى بالجفر، وتباع في الأسواق، وتنسب إلى الإمام علي ومن غير المعلوم صحة سندها إليه على الأظهر... بل مشكوك في صحتها.. والله العالم.


الفَصْل
الخمسون



علي بن أبي طالب (عليه السلام)

هو أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وصي رسول رب العالمين، أبو الأئمة الهداة الميامين المعصومين، وزوج فاطمة الزهراء سيدة النساء، وخليفة الله في أرضه، وحجته على عباده وأول أئمة المسلمين وخلفاء الله في العالمين بعد رسول الله محمد خاتم النبيين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

أبوه أبو طالب وقد تقدم منّا الكلام في ذكره (رضوان الله عليه) في الجزء الأول صفحة ٣٣٥ من هذا الكتاب .

أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف (رضي الله عنها).

ولد علي (عليه السلام) في مكة المكرمة داخل البيت الحرام، في وسط الكعبة، في يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب على قول الأكثر[١].

---

(١) في الفصول المهمة: ولد علي ليلة الأحد الثالث والعشرين من رجب، وفي رواية يوم الأحد سابع شعبان، بعد عام الفيل بثلاثين سنة. وقيل: بتسع وعشرين بعد مولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاثين سنة. وقيل: بثمان وعشرين قبل النبوة باثنتي عشرة سنة. وقيل بعشر سنين، وهو الذي صححه في الإصابة، قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة. وقيل: بخمس وعشرين، وكانت ولادته بمكة المكرمة في الكعبة المشرفة كما في =

ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله سواه، إكراماً من الله جل اسمه له بذلك، وإجلالاً لمحله في التعظيم.

وقال الألوسي في شرح عينية عبد الباقي: وكون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا، وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعة. الخ.

وفي ذلك يقول عبد الباقي العمري في عينيته المشهورة.

أنت العلي الذي فوق العلى رفعا ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا

ويقول السيد الحميري:

ولدته في حرم الإله وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها وبدت مع القمر المنير الأسعد
ما لف في خرق القوابل مثله إلا ابن آمنة النبي محمد

أما أمه فاطمة بنت أسد فهي أول هاشمية تزوجها هاشمي. وهي أم سائر ولد أبي طالب، وكان علي (عليه السلام) أصغر بنيها، وجعفر أسن منه بعشر سنين، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين، وطالب أسن من عقيل بعشر سنين، كما جاء في كتاب الأغاني.

وكانت فاطمة بنت أسد ذات رأي أصيل، وغرض نبيل، وكانت في مقدمة النساء اللواتي بايعن المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد سارت سيرة خديجة (رضوان الله عليها) في استرواح نفس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مواساته وتأييد أمره، وتخلقت باخلاق زوجها أبي طالب في الذود عن رسول الله ومؤازرته، واعلاء كلمته، ونشر رسالته.

= الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ومروج الذهب للمسعودي، وارشاد المفيد، والسيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي. قال: وفي سنة ثلاثين من مولد النبي ولد علي في الكعبة.

وكانت فاطمة بنت أسد جريئة لا تخاف في الحق لومة لائم، ولم تتهيب أحداً من أساطين المعارضين ممن غالوا في ايذاء الرسول (عليه وآله الصلاة والسلام)، بل كثيراً ما وقفت في وجوههم، وردت عنه عداوتهم، وقد تابعته في هجرته إلى المدينة، وكان بيتها بها مقيلاً طيباً، ومثوىً مباركاً له ، كما كان في مكة لياذاً أميناً ، وموئلاً كريماً .

فهي (رضي الله عنها) منقطعة النضير فيما أظهرتـه في تأييـد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ونصرته، ولقد كان (عليه وآله الصلاة والسلام) يزورها في بيتها فيجدها فياحة متهللة الوجه.

وكانت تعطف على زوج ولدها فاطمة الزهراء (عليها السلام) عطف الأمهات على أفلاذ أكبادهن، وكانت تعاونها في أعمالها وتساعدها في أمورها، ولقد قال علي (عليه السلام) لأمه فاطمة بنت أسد: أكفي فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وهي تكفيك من الداخل الطحن والعجن. . . الخ.

فكانت بارة بها، حانية عليها، مدللة لأولادها، عاطفة عليهم[1].

ولما توفيت فاطمة بنت أسد كفنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قميصه، وأمر من يحفر قبرها، فلما بلغوا لحدها حفره بيده واضطجع فيه وقال: اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها.

فقيل يا رسول الله: رأيناك صنعت شيئاً لم تكن تصنعه بأحد قبلها؟!

فقال: ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة، وهو أمان لها يوم القيامة، ثم قال: ليدرأ عنها هوام الأرض. وضطجعت في قبرها ليوسعه الله عليها، وتأمن ضغطة القبر، أنها كانت من أحسن خلق الله صنعاً إلي

---

(١) راجع كتاب أهل البيت: للأستاذ توفيق أبو علم. ص- ١٩١.

بعد أبي طالب.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن سعيد بن المسيب عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال:

لما ماتت فاطمة بنت أسد كفنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قميصه، وصلى عليها، وكبر عليها سبعين تكبيرة[1] ونزل في قبرها، فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه، ويسوي عليها.

وخرج رسول الله من قبرها، وعيناه تذرفان، وجثا في قبرها، فقال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد..؟!

فقال له الرسول: إن هذه المرأة كانت أمي بعد أمي التي ولدتني، أن أبا طالب كان يصنع الصنيع، وتكون له المأدبة، وكان يجمعنا على طعامه، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا، فأعود فيه[2].

---

(١) يستفاد من هذا استحباب زيادة التكبير عن العدد الواجب في الصلاة على الشخص العظيم المتوفى، كما ورد مثل ذلك في صلاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على عمه حمزة (رضي الله عنه).

(٢) أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين: ج ـ ١ ـ ص ـ ٣٢٥ ـ ط ـ دار التعارف للمطبوعات بيروت.

اسمـــه

ذكر المؤرخون وأصحاب السير أنه لما ولد علي بن أبي طالب (عليه السلام) داخل البيت الحرام سمته أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم باسم أبيها ـ حيدرة ـ وحيدرة من أسماء الأسد.

ولما جاء البشير إلى أبي طالب يخبره بولادة طفله المبارك في أقدس مكان جاء مسرعاً يكاد يطير سروراً وأخذ الطفل بين ذراعيه والفرحة بادية عليه، ولسانه يردد كلمات الشكر لله على ما أنعم عليه وأعطاه، فسماه علياً ثم قال:

سميتــه بعــلي كي يــدوم لــه   عــز العلو وفخــر العــز أجمعــه

فكان له (عليه السلام) اسمان، حيدرة... وعلي، فمن ناداه علياً أجاب إكراماً لتسمية أبيه أبي طالب له، ومن ناداه حيدرة أجاب أيضاً: إكراماً لتسمية أمه فاطمة بنت أسد له.

لذا نراه (عليه السلام) حينما نزل إلى مبارزة مرحب اليهودي يوم خيبر قال:

أنـا الـذي سمتني أمي حيـدرة   كليث غـابـات شـديـد قسـورة

وإلى ذلك أشار السيد محسن الأمين بقوله:

فسمتك بنت الليث أمك حيدرا فما أخطأت فيك الفراسة والحزر
علي بـه سمـاك أكـرم والـد رجاء لأن يعلو لك الصيت والذكر

وفي بحار الأنوار عن جابر الجعفي أنه قال: اختلف الناس من أهل المعرفة، لما سُمي علي عليا، فقالت طائفة: لم يُسمى أحد من ولد آدم قبله بهذا الاسم في العرب ولا في العجم. إلا أن يكون الرجل من العرب فيقول: ابني هذا علي ـ يريد به من العلو ـ لا أنه اسمه.

وإنما تسمى الناس به، بعده وفي وقته.

وقالت طائفة: سُمي علي علياً، لعلوه على كل من بارزه.

وقالت طائفة: سُمي علي علياً لأن داره في الجنان تعلو حتى تحاذي منازل الأنبياء، وليس نبي يعلو منزله منزل علي.

وقالت طائفة: سُمي علي علياً، لأنه زُوِّج في أعلا السماوات، ولم يزوج أحد من خلق الله عز وجل في ذلك الموضع غيره.

وقالت طائفة: سُمي علي علياً لأنه علا على ظهـر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقدميه طـاعة لله عز وجل، ولم يعل أحد على ظهر نبي غيره عند حط الأصنام من سطح الكعبة ـ وتكسيرها ـ.

وقالت طائفة: إنما سُمي علي علياً لأنه كان أعلى الناس علماً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

وفي البحار أيضاً، عن الحسن البصري أنه قال: صعد أميـر المؤمنين (عليه السلام) منبر البصرة فقال:

أيها الناس أنسبوني.. فمن عرفني فلينسبني، وإلا فأنا أنسب نفسي.

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج ـ٣٥ ـ ص ـ ٤٨ ـ ٤٩.

أنا زيد، بن عبد مناف، بن عامر، بن المغيرة، بن زيد، بن كلاب.

فتام إليه ابن الكوى فقال له: يا هذا ما نعرف لك نسباً غير أنك علي بن أبي طالب، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب.

فقال له عليه السلام: يا لكع، إن أبي سماني زيداً باسم جده قصي، وإن اسم أبي عبد مناف، فغلبت الكنية على الاسم، وإن اسم عبد المطلب عامر، فغلب اللقب على الاسم، واسم هاشم عمرو، فغلب اللقب على الاسم، واسم عبد مناف المغيرة، فغلب اللقب على الاسم، وإن اسم قصي زيد، فسمته العرب مجمعاً لجمعه إياها من البلد الأقصى إلى مكة فغلب اللقب على الاسم[1].

وفي معاني الأخبار عن الحسن البصري مثله، وزاد في آخره: قال: ولعبد المطلب عشرة أسماء منها: عبد المطلب، وشيبة، وعامر.

وفي البحار أيضاً: سُمي علي لأن له علواً في كل شيء: علي النسب - علي العلم - علي الزهد - علي السخاء - علي الجهاد - علي الأهل - علي الولد - علي الصهر.

---

(١) قصي: استقصى في المسألة وتقصى بلغ الغاية. وسموه قصياً لأنه بلغ غايته وجمع العرب. - وسموه مجمّعاً أيضاً.



كنيــته

كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يكنى بأبي الحسن، ويكنى بأبي الحسين، فكان ابنه الحسن (عليه السلام) يدعوه في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا الحسين، ويدعوه الحسين (عليه السلام) أبا الحسن. ويدعوان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أباهما. فلما توفي جدهما رسول الله دعوا علياً أباهما[1].

وكان يكنى أيضاً: بأبي تراب، وكانت هذه الكنية أحب إليه، لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي سماه بها، وإن كان ليفرح إذا دُعي بها.

ففي الاستيعاب في سلسلة من الاسناد:

قيل لسهل بن سعد: إن أمير المدينة ـ من آل مروان ـ يريد أن يبعث إليك لتسب علياً عند المنبر:

قال: كيف أقول؟

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج ـ ٣٥ ـ ص ـ ٦٦.
كما ذكرت هذه الرواية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ـ والإرشاد للمفيد ـ وإيمان الشيعة للأمين.

قيل له: تقول: أبا تراب.

فقال: والله ما سماه بذلك إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قيل له: وكيف ذلك يا أبا العباس؟

قال: دخل علي على فاطمة، ثم خرج من عندها، فاضطجع في صحن المسجد، فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على فاطمة، فقال: أين ابن عمك؟

قالت: هو ذاك مضطجع في المسجد.

فجاءه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فوجده قد سقط رداءه عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره. فجعل يمسح التراب عنه ويقول:

اجلس أبا تراب.

فوالله ما سماه بهذا الاسم إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). والله ما كان اسم أحب إليه منه.

وروى النسائي في الخصائص بسنده عن عمار بن ياسر قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة، من بطن ينبع.

فلما نزلها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقام بها رأينا ناساً من بني مذحج يعملون في عين لهم في نخل.

فقال علي (عليه السلام): يا أبا اليقظان هل لك أن نأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون؟ فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعلي فاضطجعنا في ظل صوار من النخل[1] وفي دقعاء من التراب[2]، فنمنا.

---

(١) الصور: جمع صيران، وأصوار: النخل الصغير.

(٢) الدقعاء: التراب الناعم، الأرض لا نبات بها.

فوالله ما أهبنا إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء التي نمنا عليها. فيومئذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي «مالك يا أبا تراب» لما يرى عليه من التراب.

ثم قال (صلوات الله عليه وآله): «ألا أحدثكما باشقى الناس رجلين».

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: «أخو ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه» - يعني قرنه - «حتى تبل منه هذه» - يعني لحيته[1] -.

وقيل: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما رآه ساجداً، معفراً وجهه في التراب قال له: يا أبا تراب.

وفي رواية: كان علي يعفر خديه وهو ساجد فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا رآه والتراب بوجهه يقول: «يا أبا تراب افعل كذا».

وقيل: كُني بأبي تراب.. لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له: «يا علي أول من ينفض التراب عن رأسه أنت».

أقول: لا مانع من أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال لعلي (عليه السلام): «يا أبا تراب... في عدة مناسبات. وتعدد الوقائع ممكن.

لقد كان أعداء علي بن أبي طالب (عليه السلام) من بني أمية، وغيرهم من أتباعهم، ومريديهم، ومن هم على شاكلتهم، إذا أرادوا سب علي على المنابر أطلقوا عليه هذه الكنية. ودعوا خطباءهم إلى ذلك أيضاً: وجعلوها نقيصة له ظناً منهم أنها تحط من كرامته. مع أنها موضع

---

(١) ذكرت هذه الرواية في بحار الأنوار للمجلسي كما ذكرت في الجزء الأول من صحيح البخاري والجزء الرابع أيضاً وغيرهما.

فخر وإعزاز لأن هذه الكنية كناه بها حبيبه رسول الله سيد البشر كما أسلفْنا.

وفي شرح نهج البلاغة عن الحسن البصري: دعت بنو أمية خطباءها أن يسبوه بها على المنابر، وجعلوها نقيصة لهٰ ووصمة عليه[1] فكأنما كسوه بها الحلي والحلل: قال الشاعر:

ولو أنصفت في حكمها أم مالك   إذا لرأت تلك المساوي محاسناً

وكان بنو أمية وأتباعهم أيضاً: لا يطلقون على شيعة علي واتباعه ومحبيه إلا.. الترابي.. والترابية. حتى صار هذا علماً لهم. وفي ذلك يقول الشاعر الكميت بن زيد:

وقالوا ترابي هواه ودينه   بذلك أدعى بينهم وألقب

وفي رواية أنه لما قال كثير عزة: ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطف... وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر...

قال له يزيد بن عبد الملك: عليك بهلة الله[2].. أترابية وعصبية؟!

وكان يكنى أيضاً: بأبي الريحانتين كناه بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ففي كشف الغمة عن جابر (رضي الله عنه) قال:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) قبل موته بثلاث: «سلام عليك أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتي من الدنيا، فعن قليل ينهد ركناك والله خليفتي عليك».

فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال علي (عليه

---

(١) الوصمة: العيب والعار.

(٢) بهلة الله: البهلة: اللعنة.

السلام): هذا أحد ركني الذي قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فلما ماتت فاطمة (عليها السلام) قال: هذا الركن الثاني الذي قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[3].

---

(٣) كشف الغمة: ج - ١ - ص - ٦٦.



ألقـابــه

ألقاب علي بن أبي طالب كثيرة، وفي كل مناسبة كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يناديه ملقباً له بلقب يرضي الله ورسوله مما يتناسب مع شخصيته الفذة ومواهبه الجليلة.

كان (عليه السلام) يلقب: بالإمـام، وأمير المؤمنين، والأنـزع البطين، ويعسوب الدين، وقائد الغر المحجلين. وقد لقبه رسول الله أيضاً: بالوصي، والمرتضى، والولي، وسيد العرب، وسيد المسلمين وخاتم الوصيين. . الخ.

ولو أردنا أن نحلل، أو نعلل سبب ذلك لاحتجنا إلى مجلدات ضخمة، ولا أظن أننا نتمكن من ذلك أيضاً: لكثرة ما لعلي (عليه السلام) من الفضائل والمناقب.

لكننا نكتفي بذكر بعض الروايات التي امتلأت بها بطون كتب التاريخ والسير.

ومن الألقاب التي درجت عليها السنة ألخلق، والتي هي أقلام الحق. والتي تناقلتها الألسن، وتلقتهـا الأجيال المتتـالية منـذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا هو لقب الإمام، فإذا أطلق لفظ الإمام لا يتبادر

الذهن إلا إلى علي بن أبي طالب فقد اختص بهذا اللقب دون سواه، حتى في عصر مناوئيه الذين استولوا على الخلافة كأبي بكر وعمر وغيرهما من سابقيه ولاحقيه، مع أنهم كانوا جميعاً يؤمون الناس، ولم يكتب لأحد منهم أن يحمل لقب الإمامة سواه. وما ذلك إلا لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي نص على علي بالإمامة ولقبه بها بعهد من الله تعالى وأمره.

وقد جاءت روايات كثيرة تدل على ذلك ونحن نذكر البعض منها من باب الشاهد.

روى صاحب الحلية بعد سلسلة من الإسناد عن الشعبي أنه قال: قال علي: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «مرحبا بسيد المسلمين، وإمام المتقين» فقيل لعلي: فأي شيء كان من شكرك؟

قال: حمدت الله تعالى على ما آتاني، وسألته الشكر على ما أولاني، وأن يزيدني مما أعطاني.

وفي الحلية أيضاً: عن أنس بن مالك قال:

بعثني النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أبي برزة الأسلمي فقال له: وأنا أسمع.

«يا أبا برزة إن رب العالمين عهد إلي عهداً في علي بن أبي طالب:

فقال أنه راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني...

يا أبا برزة: علي بن أبي طالب أميني غدا في القيامة، وصاحب رايتي في القيامة على مفاتيح خزائن رحمة ربي»[1].

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء أيضاً: بعد سلسلة من الإسناد عن

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني: ج - ١ - ص - ٦٦.

أنس أنّـه قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا أنس اسكب لي وضوءاً» ثم قال فصلى ركعتين. ثم قال:

«يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين».

قال أنس: قلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار.. وكتمته.

إذ جاء علي فقال ـ رسول الله ـ:

«من هذا يا أنس؟».

فقلت: علي..

فقام النبي مستبشراً، فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه، ويمسح عرق علي بوجهه.

قال علي: يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل؟

قال النبي: «وما يمنعني وأنت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي»[١].

ولا جدال في أن علي بن أبي طالب قد لقبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمير المؤمنين، وخاطبه بذلك جلة المهاجرين والأنصار في حياة رسول الله. واستمر هذا اللقب لعلي ـ أمير المؤمنين ـ إلى يومنا هذا.

وفي حلية الأولياء أيضاً: أن رسول الله قال: «ادعوا لي سيد العرب» ـ يعني علي بن أبي طالب ـ فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟

فقال: «أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب» فلما جاء علي أرسل إلى الأنصار فأتوه فقال لهم: «يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن

---

(١) حلية الأولياء: ـج ـ ١ ـ ص ـ ٦٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ١ ـ ص ـ ١٣.

تمسكتم به لن تضلوا بعده أبداً».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «هذا علي فأحبوه بحبي، وأكرموه بكرامتي، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم من الله عز وجل»[1].

وفي الحلية أيضاً: عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما أنزل الله آية فيها يا أيها الذين آمنوا إلا وعلي رأسها وأميرها».

ومن خصوص لقبه بالوصي فقد لقبه به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان هذا اللقب ملاصقاً له وذلك من حين الوليمة التي صنعها رسول الله لعشيرته عندما نزلت عليه آية **﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾**.

لقد دعا النبي بني عبد المطلب وصنع لهم طعاماً ولما اجتمعوا قام في وسطهم فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي، ووصيي وخليفتي فيكم؟

فأحجم القوم جميعاً إلا علي بن أبي طالب وكان أحدثهم سناً فقال: أنا يا نبي الله. كررها ثلاث مرات.

فأخذ رسول الله برقبة علي ثم قال: هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[2].

---

(١) حلية الأولياء: ج - ١ - ص - ٦٣.

(٢) الكامل في التاريخ: لابن الأثير - ج - ٢ - ص ٤١.

بعض ما جاء من الروايات في ألقاب علي (عليه السلام)

في بحار الأنوار، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

لما أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾[1].

والله لقد خرج آدم من الدنيا وقد عاهد قومه على الوفاء لولده شيث، فما وُفي له.

ولقد خرج نوح من الدنيا، وقد عاهد قومه على الوفاء لوصيه سام، فما وفت أمته.

ولقد خرج إبراهيم من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيّه إسماعيل فما وفت أمته.

ولقد خرج موسى من الدنيا، وعاهد قومه على الوفاء لوصيه يوشع بن نون، فما وفت أمته.

ولقد رفع عيسى بن مريم إلى السماء وقد عاهد قومه على الوفاء لوصيه شمعون بن حمون الصفا، فما وفت أمته.

وإني مفارقكم عن قريب، وخارج من بين أظهركم، وقد عهدت

---

(١) سورة البقرة - آية - ٤٠.

إلى أمتي في عهد علي بن أبي طالب[1]، وأنها لراكبة سنن من قبلها من الأمم، في مخالفة وصيي وعصيانه.

ألا وأني مجدد عليكم عهدي في علي، **﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾**[2].

أيها الناس. أن علياً إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو وصيي، ووزيري، وأخي، وناصري، وزوج ابنتي، وأبو ولدي، وصاحب شفاعتي وحوضي ولوائي. من أنكره فقد أنكرني، ومن أنكرني فقد أنكر الله عز وجل، ومن أقرَّ بإمامته فقد أقرَّ بنبوتي، ومن أقرَّ بنبوتي فقد أقرَّ بوحدانية الله عز وجل.

أيها الناس: من عصى علياً فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله عز وجل. ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله عز وجل.

أيها الناس: من رد على علي في قول، أو فعل، فقد رد علي، ومن رد عليَّ فقد رد على الله فوق عرشه.

أيها الناس: من اختار منكم على علي إماماً، فقد اختار عليَّ نبياً، ومن اختار عليّ نبياً فقد اختار على الله عز وجل رباً.

أيها الناس: إن علياً سيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، ومولى المؤمنين، وليه وليّي، ووليّي ولي الله، وعدوه عدوي، وعدوي عدو الله عز وجل.

أيها الناس: أوفوا بعهد الله في علي، يوف لكم بالجنة يوم القيامة[3].

---

(١) وفي رواية: ولقد عهدت إلى أمتي في علي بن أبي طالب.

(٢) سورة الفتح ـ آية ـ ١٠.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي: ج ـ ٣٨ ـ ص ـ ١٢٩.

وفي بحار الأنوار أيضاً: عن أبي سعيد الخدري قال: قال سلمان: يا نبي الله، إنّ لكل نبي وصياً، فمن وصيك؟

قال ـ سلمان ـ: فسكت عني، فلما كان بعد، رآني من بعيد فقال: «يا سلمان» قلت: لبيك، وأسرعت إليه.

فقال: «تعلم من كان وصي موسى؟

قلت: يوشع بن نون.

ثم قال: ذاك لأنه يومئذ خيرهم وأعلمهم.

ثم قال: وإني أشهد اليوم أن علياً خيرهم، وأفضلهم، وهووليّي، ووصيي ووارثي[1].

وفي البحار أيضاً عن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ذات يوم على منبره، وقد أقام علياً إلى جانبه، وحط يده اليمنى على يده حتى بان بياض إبطيهما. وقال:

«أيها الناس: ألا أن الله ربي وربكم، ومحمد نبيكم، والإسلام دينكم، وعلي هاديكم، وهو وصيي، وخليفتي من بعدي، وأميني على وحي ربي، وما أعطاني ربي فضيلة إلا وقد خص علياً بمثلها»[2].

وفي البحار أيضاً: عن تفسير فرات بن ابراهيم عن أسماء بنت عميس قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واقفاً في مكة، مستقبلاً بثبير مستدبراً حراء[3] وهو يقول: «إني أقول اليوم كما قال العبد الصالح موسى بن عمران (عليه الصلاة والسلام):

أسألك اللهم أن تشرح لي صدري، وتيسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، علي بن أبي طالب أخي، أشدد به أزري، وأشركه في

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج ـ٣٨ـ ص ـ ١٣١ وعلل الشرائع ص ـ ١٦٠.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ج ـ٣٨ـ ص ـ ١٣٧ وعن كتاب الروضة ـ ص ـ ٣٢

(٣) ثبير: جبل بمكة. وحراء جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال.

أمري، كي نسبحك كثيراً، ونذكرك كثيراً أنك كنت بنا بصيراً».

وفي كشف الغمة: بلغ أم سلمة ـ أم المؤمنين ـ أن عبداً لها ينتقص علياً (عليه السلام) ويتناوله، فاحضرته وقالت:

يا بني سمعت عنك كذا وكذا؟ فقال: نعم.

فقالت: اجلس ثكلتك أمك حتى أحدثك بحديث سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم اختر لنفسك...

إنه كانت ليلتي، ويومي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأتيت الباب فقلت: أدخل يا رسول الله؟

فقال: لا..

فكبوت كبوة شديدة مخافة أن يكون ردني من سخطه، أو نزل في شيء من السماء. ثم جئت ثانية فجرى ما جرى في الأولى، فأتيت الثالثة، فأذن لي.

فقال: ادخلي.

فدخلت وعلي (عليه السلام) جاث بين يديه وهو يقول: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إذا كان كذا وكذا فما تأمرني؟

قال: آمرك بالصبر، فأعاد القول ثانية وهو يأمره بالصبر، فأعاد الثالثة فقال: يا علي إذا كان ذلك منهم فسل سيفك، وضعه على عاتقك، واضرب قدماً قدماً حتى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم.

ثم التفت (صلى الله عليه وآله وسلم) إلي وقال: ما هذه الكآبة يا أم سلمة؟

قلت: لما كان من ردك إياي يا رسول الله.

فقال: والله ما رددتك عن موجدة، وإنك لعلى خير من الله ورسوله، ولكن أتيتني وجبرائيل عن يميني وعلي عن يساري، وجبرائيل

يخبرني بالأحداث التي تكون بعدي، وأمرني أن أوصي بذلك علياً.

يا أم سلمة: اسمعي واشهدي.. هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا ووزيري في الآخرة.

يا أم سلمة اسمعي واشهدي.. هذا علي بن أبي طالب وزيري في الدنيا ووزيري في الآخرة.

يا أم سلمة.. اسمعي واشهدي.. هذا علي بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا، وحامل لواء الحمد في الآخرة.

يا أم سلمة.. اسمعي واشهدي.. هذا علي بن أبي طالب وصيي، وخليفتي من بعدي، وقاضي عداتي، والذائد عن حوضي.

يا أم سلمة.. اسمعي واشهدي.. هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين.

قلت: يا رسول الله من الناكثون؟

قال: الذين يبايعونه بالمدينة، وينكثون بالبصرة.

قلت: يا رسول الله من القاسطون؟

قال: معاوية، وأصحابه من أهل الشام.

قلت: يا رسول الله من المارقون؟

قال: أصحاب النهروان.

فقال مولى أم سلمة: فرجت عني فرج الله عنك، والله لا سببت علياً أبداً[1].

وفي بحار الأنوار أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سماه المرتضى. لأن جبرائيل (عليه السلام) هبط إليه فقال:

---

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي -ج- ٢- ص- ٢٦ - ٢٧.

يا محمد إن الله تعالى قد ارتضى علياً لفاطمة (عليها السلام). وارتضى فاطمة لعلي (عليه السلام).

وفي رواية: قال ابن عباس: كان علياً (عليه السلام) يتبع في جميع أمره مرضاة الله ورسوله، فلذلك سمي المرتضى.

وفي رواية شرح نهج البلاغة قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له: ـ لعلي ـ «أنت يعسوب الدين، والمال يعسوب الظلمة».

وفي رواية أخرى: «هذا يعسوب المؤمنين وقائد الغر المحجلين»[1]. واليعسوب: ذكر النحل وأميرها. روى هاتين الروايتين أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني في «المسند» في كتابه «فضائل الصحابة». ورواهما أبو نعيم الحافظ في «حلية الأولياء»[2].

---

(١) رواه أيضاً: الطبراني في الكبير، ونقله صاحب الرياض النضرة: ج ـ ٢ ـ ص ـ ١٥٥ مع اختلاف بسيط في اللفظ.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ١ ـ ص ـ ١٣ ـ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

رد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على من أنكر تسمية علي بأمير المؤمنين

في بحار الأنوار عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو على المنبر يقول: ـ وقد بلغه عن أناس من قريش إنكار تسميته لعلي أمير المؤمنين ـ

فقال: (عليه وآله الصلاة والسلام): «معاشر الناس، إن الله عز وجل بعثني إليكم رسولاً، وأمرني أن استخلف عليكم علياً أميراً.

ألا فمن كنت نبيه فإن علياً أميره. تأمير أمّره الله عز وجل عليكم. وأمرني أن أعلمكم ذلك لتسمعوا له وتطيعوا، إذا أمركم بأمر تأتمرون وإذا نهاكم عن أمر تنتهون.

ألا فلا يأتمرن أحد منكم على علي (عليه السلام) في حياتي، ولا بعد وفاتي. فإن الله تبارك وتعالى أمّره عليكم، وسماه أمير المؤمنين، ولم يسم أحداً من قبله بهذا الاسم.

وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم في علي فمن أطاعني فيه فقد أطاع الله، ومن عصاني فيه فقد عصى الله عز وجل، ولا حجة له وكان مصيره إلى النار، وإلى ما قال الله عز وجل في كتابه: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدَّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها﴾[1].

(١) سورة النساء ـ آية ـ ١٤.

وفي أمالي الطوسي والبحار: عن الفحام، عن المنصوري عن عم أبيه عن أبي الحسن الثالث عن آبائه عن علي (عليه السلام) قال[1] :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لما أسري بي إلى السماء، كنت من ربي كقاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلي ربي ما أوحى.

ثم قال: يا محمد اقرأ على علي بن أبي طالب (عليه السلام) ـ أمير المؤمنين ـ فما سميت به أحداً قبله، ولا أسمي بهذا أحداً بعده.

وعن عمرو بن حصيب أخي بريدة بن حصيب، قال: بينا أنا وأخي بريدة عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا دخل أبو بكر، فسلم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال له النبي: انطلق فسلم على أمير المؤمنين.

فقال: يا رسول الله، ومن أمير المؤمنين؟

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): علي بن أبي طالب.

فقال أبو بكر : عن أمر الله وأمر رسوله ؟

قال (عليه وآله الصلاة والسلام): «نعم».

ثم دخل عمر، فسلم.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): انطلق فسلم على أمير المؤمنين.

فقال ـ عمر ـ: يا رسول الله ومن أمير المؤمنين؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): علي بن أبي طالب.

قال: عن أمر الله وأمر رسوله؟

قال: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «نعم»[2] .

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي ـ ج ـ ٣٧ ـ ص ـ ٢٩٥ . وأمالي الصدوق: ص ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

(٢) بحار الأنوار: ج ـ ٣٧ ـ ص ـ ٢٩١ ـ أمالي الشيخ: ص ـ ١٨١ ـ ١٨٢ .

وفي البحار عن الفضل بن الزبير، عن أخي بريدة، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «قال لبعض أصحابه: سلموا على علي بامرة المؤمنين».

فقال رجل من القوم: لا والله لا تجتمع النبوة والخلافة في أهل بيت أبداً. فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] **﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾**[2] .

---

(١) بحار الأنوار: ج ـ ٣٧ ـ ص ـ ٣٠٥ ـ وكشف اليقين ـ ص ـ ٤٧.

(٢) سورة الزخرف ـ آية ـ ٨٠ .



صفة علي (عليه السلام)

لقد خص الله سبحانه وتعالى علي بن أبي طالب بصفات تميز بها عن غيره من الرجال. ولم تتوفر لأحد من ولد آدم سوى رسول الله محمد سيد البشر.

وها نحن نقتطف بعض أوصافه مما جاء في كتب التاريخ والسير:

ذكر الأربلي في كتابه كشف الغمة: ومما ورد في صفته (عليه السلام) ما أورده صديقنا المعز المحدث وذلك حين طلب منه السعيد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل (ره) أن يخرج أحاديث صحاحاً وشيئاً مما ورد في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) وصفاته، وكتبت على أنوار الشمع الاثني عشر التي حُملت إلى مشهده، وأنا رأيتها، قال:

كان (عليه السلام) ربعة من الرجال، أدعج العينين[1]، حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر حسناً، ضخم البطن، عريض المنكبين، شثن الكفين[2]، أغيد كأن عنقه إبريق فضة، أصلع، كث اللحية،

---

(١) الدعج: شدة سواد العين مع سعتها.

(٢) شثنت كفه: خشنت، وغلظت، وفي النهاية: يميلان إلى الغلظ والقصر، وقيل أن يكون في أنامله غلظ بلا قصر، ويحمد ذلك في الرجال لأنه أشد لقبضهم على السيف.

لمنكبيه مشاش كمشاش السبع الضاري[1]، لا يبين عضده من ساعده، وقد أدمجت إدماجاً، إن أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، شديد الساعد واليد، إذا مشى إلى الحرب هرول، ثبت الجنان، قوي شجاع، منصور على من لاقاه.

وفي رواية : قال المغيرة : كان علي (عليه السلام) على هيئة الأسد غليظاً منه ما استغلظ ، دقيقاً منه ما استدقّ .

روى جماعة: منهم الأربلي في كشف الغمة، والسيد محسن الأمين في أعيان الشيعة، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء، وابن عبد البر المالكي في الاستيعاب، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول، وغيرهم كثير بأسانيدهم. أنه دخل ضرار بن ضمرة الكناني ـ وفي الاستيعاب الصدائي بدل الكناني ـ على معاوية فقال له معاوية: صف لي علياً.

قال ضرار: اعفني. قال معاوية: لتصفنه.

قال: أما إذا كان لا بد من وصفه فإنه: كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته.

كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن[2] ومن الطعام ما جشب.

وكان فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، وينبئنا إذا استنبأناه. ونحن والله مع تقريبه إيانا، وقربه منا، لا

---

(١) المشاش: بالضم، رؤوس العظام الواحدة مشاشة بالضم. والمراد أن رؤوس عظام المنكبين منه كرؤوس عظام منكبي الأسد في الغلظ.

(٢) وفي رواية: ما قصر.

نكاد نكلمه، هيبة له. فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم.

كان يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

أشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول:

يا ربنا... يا ربنا... يتضرع إليه ثم يقول:

يا دنيا غري غيري، إليَّ تعرضت! أم إلي تشوفت! هيهات هيهات، قد بتتك ثلاثاً، لا رجعة فيه، فعمرك قصير، وخطرك كبير، وعيشك حقير.

آه آه من قلة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق. الخ.

فبكى معاوية ووكفت دموعه على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء.

وقال: رحم الله أبا الحسن.. كان والله كذلك. فكيف حزنك عليه يا ضرار؟

قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها، فهي لا ترقأ عبرتها، ولا يسكن حزنها، ثم خرج.



علي بن أبي طالب في حجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

أجمع المؤرخون وأصحاب السير أن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، نشأ وترعرع في حجر رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان من خبره ما أسلفنا في كتابنا هذا من أنه حينما أصاب القحط أهل مكة، كان أبو طالب (رضوان الله عليه) كثير العيال، كثير النفقة، ليس بالموسر مع ماله من رآسة قومه وعلو شأنه، حتى قيل فيه «ما ساد رجل في قومه وهو فقير إلا أبو طالب».

روى ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن إسحاق أنه قال: كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب، ومما صنع الله له، وأراده به من الخير، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للعباس عمه: وكان من أيسر بني هاشم.

يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة الشديدة، فانطلق بنا إليه، فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً فنكلهما[1] عنه.

---

(١) وفي رواية: فنكفهما.

فقال العباس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك، حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه.

فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما.

فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه.

فلم يزل علي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فاتبعه علي (رضي الله عنه)، وآمن به وصدقه[1].

وعلى هذا يكون علي بن أبي طالب (عليه السلام) قد نشأ في حجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، من صغره فتأدب بآدابه، وتخلق بأخلاقه، واهتدى بهداه، واقتدى به في أقواله وأفعاله، ولازمه طول حياته لم يفارقه أبداً.

والمشهور عنه (عليه السلام) أنه قال في بعض خطبه: «وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده ـ إلى أن قال ـ:

ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمه. يرفع لي في كل يوم أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به.

ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي، والرسالة، وأشم ريح النبوة... الخ.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج ـ ١ ـ ص ـ ٢٦٣.

وفي هذا يقول الشاعر:

وربيت في حجر النبي محمد ... فطوبى لمن من أحمد ضمه حجر
وغذاك بالعلم الإلهي ناشئاً ... فلا علم إلا منك قد حاطه خبر
بآدابه أدبت طفلاً ويافعاً ... واكسبنك الأخلاق أخلاقه الغر



لمحة موجزة من سيرة علي في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

أقام علي (عليه السلام) في بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، يرشف من منهل النبوة، وينبوعها الصافي، كما قال هو (عليه السلام) وجاء في عدة روايات عنه: لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين...

وقوله (عليه السلام) أيضاً: كنت أسمع الصوت، وأبصر الضوء سنين سبعاً، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينئذ صامت، ما أذن له في الإنذار والتبليغ.

هكذا كانت طفولة علي حتى صدع رسول الله بالرسالة، فكان علي بن أبي طالب أول من لبى دعوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأسلم لله رب العالمين.

كان علي أول القوم إسلاماً، وأعمقهم إيماناً، وأثبتهم جناناً، وأرسخهم عقيدة. وأقرب الناس لرسول الله وألصقهم به، حتى اتخذه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخاه من دون الناس، ووزيـره، ووصيه، وخليفته في أمته، وموضع سره، وعيبة علمه، وزوجه ابنته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء.

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يدخر علياً للمهمات، ولا يعتمد في الحروب إلا عليه، فيرسله لمحاربة أعداء الله فينزل بأمر من الله ورسوله على الكافرين عذاباً صباً.

وما رجع (عليه السلام) منهزماً قط بل كان مظفراً في جميع حروبه وغزواته، ومقاماته في الحرب مشهورة تضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة.

وكان لجرأته على الموت واستبساله في سبيل الإسلام لا يهاب قرناً من الأقران بالغاً ما بلغ من الصولة ورهبة الصيت.

فالنصر معقود دائماً بلوائه، والمنية تلمع من ذبابة سيفه. فهو شجاع مقدام، كرار غير فرار، يحارب ويناضل حتى ارتفعت راية الإسلام عالية خفاقة وحتى قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «قام الدين بسيف علي ومال خديجة».

ولنا من وقعة بدر الكبرى وقتل علي لصناديد قريش وطواغيت مكة.. وما زرعت هذه الوقعة لعلي وأولاده من الأحقاد والضغائن في قلوب المشركين والمناوئين للإسلام ما حصل في وقعة كربلاء من قتل الحسين بن علي (عليهما السلام) وأصحابه الميامين، أكبر شاهد ودليل، حيث حملت النشوة يزيد بن معاوية لعنه الله. من أن أباح بما تنطوي عليه سرائر الأمويين من حقد دفين لبني هاشم، وكره عظيم لعلي بن أبي طالب الذي قتل سراة قومهم وشيوخهم وأنشد في سرور وفرح حيث أخذ بالثأر بقوله:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل[1]

---

(١) هذا الشعر من أبيات أنشدها يزيد بن معاوية عندما أدخلوا عليه رأس الحسين (عليه السلام) وأصحابه الشهداء وقد ذكر ذلك أهل التاريخ وسنذكر القصة بتمامها عند سيرة الحسين (عليه السلام) إن شاء الله.

وفي يوم أحد انهزم جمع المسلمين بعد أن كانت ريح النصر معهم ودارت الدائرة عليهم وولوا الدبر كان علي بن أبي طالب يذود عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعداءه الذين كانوا يحملون عليه من كل جانب مسعورين. والنبي (صلوات الله عليه وآله) يأمره كلما شدت عليه كتيبة من المشركين: أحمل على هذه يا علي.. الخ حتى قال جبريل (عليه السلام) للنبي: إن هذه للمواساة فقال رسول الله: إنه مني وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما فسمعوا صوتاً يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فـتـى إلا عـلـي

ويوم الخندق أحاطت الأحزاب بالمدينة، وحاق بالمسلمين خوف شديد، خاصة عندما اقتحم عمرو بن عبدود العامري مع بعض أصحابه الخندق، وأخذوا يجولون على خيولهم في السبخة أمام المسلمين وعمرو يطلب المبارزة، أحجم المسلمون خوفاً من صولته لأنه فارس قريش.

عندها خرج علي بن أبي طالب الذي لا يهاب أحداً ومشى إليه بعد إذن من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد أن عممه وأعطاه سيفه ذا الفقار ودعا له ثم التفت رسول الله إلى أصحابه وقال: برز الإسلام كله إلى الشرك كله..

وعندما قتل علي (عليه السلام) عمرو بن عبدود قال رسول الله: ضربة علي يوم الخندق تعدل عمل الثقلين.

ويوم خيبر حينما بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا بكر إلى بعض الحصون ورجع ولم يكن فتح. ثم بعث عمر كذلك فجهد ولم يكن فتح...

عندها قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله كرار ليس بفرار» دعا علي بن أبي طالب وأعطاه الراية، وكان الفتح على يديه وقتل مرحباً فارس يهود... الخ.

ويوم حنين عندما انهزم المسلمون عن رسول الله ولم يثبت إلا تسعة من بني هاشم، وعاشرهم أيمن بن أم أيمن، والعباس بن عبد المطلب ينادي بصوت عال: بعد أن أمره رسول الله قائلاً له: «ناد بالقوم وذكرهم العهد».

نادى العباس عم النبي: يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، إلى أين تفرون.. الخ.

هجم المشركون على رسول الله ومن أحاط به من بني هاشم بعد أن تفرق أصحابه، فما كان من علي بن أبي طالب الذي لم يفارق الرسول الأعظم لحظة واحدة إلا أن ضرب ـ أبا جرول ـ رأس المشركين بسيفه البتار فصرعه وقتله.

وكانت بقتله لأبي جرول هزيمة المشركين. وبعد ذلك تراجع المسلمون من كل حدب وصوب والتفوا حول النبي، وكان نصر الله عظيماً.

ويوم الفتح، كان علي بن أبي طالب هو الذي دخل براية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة المكرمة أمام المسلمين. وكانت الراية مع سعد بن عبادة، فخاف أهل مكة من انتقام سعد وصولته، لأنه كان يرتجز ويقول: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً. فأتوا إلى رسول الله قائلين اسمع ما يقوله سعد ونخشى أن تكون له في قريش صولة.

عندها أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن يأخذ الراية من سعد بن عبادة ويكون هو الداخل بها إلى مكة ودخلها علي بكل رفق وحلم وتواضع ممتثلاً لأمر محمد (صلوات الله عليه وآله) شاكراً لله على نعمه وآلائه.

بقي علي (عليه السلام) ملازماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طيلة حياته، ينفذ ما يأمره به بكل غبطة وسرور. مهما كانت

الصعوبات، لا يهمه إلا رضى الله ورسوله.

وكان علي يفدي رسول الله بنفسه في المواقف التي يعز فيها الفداء.. كما جرى له يوم بات على فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن تآمرت قريش على قتل محمد رسول الله واستئصال المسلمين.

ولما حضرت رسول الله الوفاة لم يدع أحداً للقيام بتنفيذ وصيته غير علي بن أبي طالب الذي لازمه وبقي إلى جانبه حتى فاضت نفسه الشريفة ورأسه في حجره.

قام علي (عليه السلام) بما يمليه عليه دينه وواجباته من تغسيل الرسول (صلوات الله عليه وآله)، وتكفينه، والصلاة عليه ودفنه كما أسلفنا.

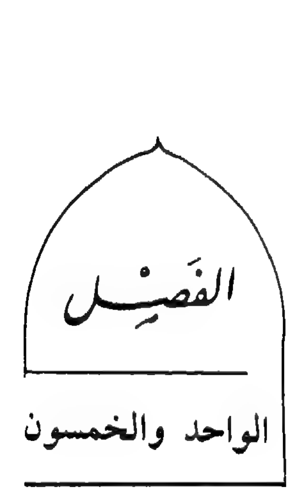
وفيما كان علي (عليه السلام) يقوم بتجهيز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من غسل وتكفين.. كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، قد اتفقوا وتواطؤوا على اغتصاب الخلافة من علي بن أبي طالب، واخراجها من يده، واتمامها لأبي بكر، ومن بعده لعمر، ومن بعده لأبي عبيدة. يدلنا على هذا ما قاله عمر لما حضرته الوفاة: لو كان أبو عبيدة حياً لما عدوته.

وفوجىء الثلاثة بأن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة للتداول في أمر الخلافة. فما كان من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة إلا أن هرعوا إلى السقيفة خوفاً من أن تفشل خطتهم ويذهب ما اتفقوا عليه ادراج الرياح. ويؤول أمر الخلافة إلى علي بن أبي طالب كما نص عليها الرسول الأعظم.

وهناك في سقيفة بني ساعدة. علا ضجيج القوم واختلفت الآراء، وبعد أخذ ورد بينهم وبين الأنصار وقد عمر وبايع أبا بكر وكذلك فعل أبو

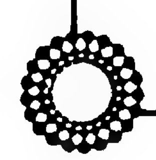
عبيدة. ثم تلاهم بشير بن سعد الخزرجي غدراً منه وحسداً لقريبه ـ سعد بن عبادة ـ .

وتم الأمر بالقوة، والضغط والاكراه لأبي بكر، وكان ما كان مما يطول شرحه وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في أواخر الجزء الرابع من هذا الكتاب عند وفاة النبي (صلوات الله عليه وآله وسلم).



الفصل

الواحد والخمسون





علي بن أبي طالب في عهد أبي بكر

سبق منا القول على ما جرى في سقيفة بني ساعدة، من تنازع المسلمين على الخلافة وسلطان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). في الوقت الذي كان فيه علي بن أبي طالب في شغل مع عمه العباس والصفوة من الصحابة بتجهيز النبي إلى مثواه.

لم يدر في خلد هؤلاء الصحابة والأخيار أن يبرم أمر الخلافة بمنأى عن علي (عليه السلام)، الذي هو أخو النبي وصهره. نصبه الرسول يوم غدير خم ولــيــاً على المؤمنين وأميراً لهم، ونص عليه في جميع المناسبات بأمرة المؤمنين. كما نص عليه أيضاً: بأنه خاتم الوصيين. وذلك بمرأى ومسمع من المسلمين.

لم يعترض أحد في حياة النبي (صلوات الله عليه وآله) على تنصيب علي بكونه أميراً للمؤمنين وخليفة له. بل سلموا جميعاً على علي بالولاية، واعترفوا له بها ولنا من قول عمر بن الخطاب يوم الغدير بعد أن سلم على علي بالولاية - بخ بخ لك يا علي أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة - أكبر دليل وشاهد.

وبعدما أبرم أمر الخلافة يوم السقيفة لأبي بكر، وجاءت الريح لصالحه، من جراء انشقاق الأنصار وانحياز بشير بن سعد الخزرجي لأبي

بكر بغضاً منه وحسداً لابن عمه سعد بن عبادة الصحابي الجليل خوفاً من أن تصل الخلافة إليه.

أخذت الدهشة الممزوجة بالاستنكار خيرة الصحابة المؤمنين خصوصاً عندما شاهدوا أبا بكر يتوسط صاحبيه عمر وأبي عبيدة بن الجراح، وقد خرجوا من سقيفة بني ساعدة متوجهين إلى المسجد النبوي الشريف لأخذ البيعة لأبي بكر من المسلمين واتمامها له مهما كلف الأمر.

روى صاحب شرح النهج عن البراء بن عازب أنه قال: لم أزل لبني هاشم محباً، فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خفت أن تتمالأ قريش على اخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحجرة، واتفقد وجوه قريش، فإني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول:

القوم في سقيفة بني ساعدة...

وإذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر...

فلم ألبث... وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل، ومعه عمر وأبو عبيدة، وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأزر الصنعانية، لا يمرون بأحد إلا خبطوه، وقدموه، فمدوا يده، فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أو أبى.. الخ[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج - ١ - ص - ٢١٩.

لماذا سكت علي بن أبي طالب عن حقه؟

ارتجت الجزيرة العربية لوفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسمع أهلها ببيعة أبي بكر وتوليه الحكم. . .

هب الأعراب الذين كانوا فيها للانقضاض على من في المدينة من المسلمين. هؤلاء الأعراب الذين أظهروا الإسلام خوفاً على أنفسهم وذراريهم وأموالهم من سطوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه المسلمين.

في الوقت الذي انتقضت فيه ذؤبان الجزيرة، من أصحاب الأهواء والأطماع، والأغراض وأعلنوا العصيان، وارتدوا عن الإسلام على أعقابهم، وامتنع أكثرهم من دفع الزكوات التي كانت الريع الوافي، الذي يمد جيش المسلمين بالأموال اللازمة للجهاد.

أحدق الخطر بالمدينة ـ مدينة الرسول ـ من مهاجمة المرتدّين لها من كل الجهات، في حين حاول أعداء الإسلام من المؤلفة قلوبهم، وممن لم يلامس الإسلام قلبه، كأبي سفيان وغيره زرع الفتنة في داخل المدينة، وبين صفوف الصحابة لضرب الإسلام ولأخذ الثأر من المسلمين المؤمنين وخاصة أهل بيت محمد (صلوات الله عليه وآله وسلم) وعلى رأسهم علي بن أبي طالب فوجدوا من تنحية علي بن أبي

طالب عن الخلافة وبيعة أبي بكر باباً واسعاً لاشعال نار الفتنة ونشوب حرب بين المسلمين في داخلهم، تكون هي الوسيلة للقضاء على الإسلام وأهله. خصوصاً بعد أخذ البيعة لأبي بكر بالقوة، والضغط والإكراه، من كثير من صحابة الرسول كما جرى من تهديد عمر بن الخطاب باحراق بيت علي على من فيه إن لم يخرج للبيعة وضرب الزبير بن العوام وكسر سيفه كما أسلفنا إلى غير ذلك مما هو مذكور في بطون كتب التاريخ.

في هذا الظرف العصيب وفي الوقت الذي استولى الخوف على أهل المدينة جزعاً على أنفسهم، وأموالهم، وبلدهم من مهاجمة المرتدين كما أسلفنا رأى علي بن أبي طالب (سلام الله عليه) السكوت عن حقه الشرعي في الخلافة حرصاً على الإسلام، وحفاظاً على المسلمين لئلا يتمزق شملهم، وخصوصاً أن الإسلام لم يزل بعد في نفوس الكثيرين منهم عوداً طرياً يسهل كسره.

وعندما رأى علي أيضاً: أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح ومن لف لفهم من أعوانهم الذين أبرموا أمر الخلافة في سقيفة بني ساعدة، غير مبالين إلا باتمام الأمر لصالحهم ولمن بعدهم من تابعيهم وتابعي تابعيهم، آثر السكوت عن القيام بوجههم للمطالبة بحقه الشرعي بالخلافة، حفظاً على بيضة الإسلام.

جاء في كتاب نهج البلاغة من كلام له (عليه السلام) يتراءى من خلاله أنه لم يسكت عن حقه، عن عجز، ولا اقتناع، ولا ضعف ولا وهن، وإنما كان حفظاً للإسلام وخوفاً من محق دين محمد، أو هدمه..

قال علي (عليه السلام): «أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين، فلما قضى (عليه السلام) تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده

(صـلى الله عليه وآلـه وسلم) عن أهل بيتـه ، ولا أنهم ينحوه عني من بعده .

فما راعني إلا انثيال الناس ـعلى أبي بكرـ يبايعونه، فأمسكت يدي، حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام. . . يدعون إلى محق دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). . .

فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلماً، أو هدماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم، التي إنما هي متاع أيام قلائل، يـزول منها مـا كان كمـا يزول السـراب، أو كمـا يتقشـع السحاب. . . الخ»[1].

إن قول علي (عليه السلام): «فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً. . » فيه دلالة واضحة، أوضح من الشمس على أنه (عليه السلام) إنما سكت عن حقه خوفاً من فتنة عمياء تقع بين المسلمين، تؤدي إلى قتل بعضهم بعضاً.

وخشي أيضاً أن تتكالب ذؤبان العرب على المؤمنين من أهل المدينة فيُغزونهم في عقر دارهم فتكون ضربة قاصمة للإسلام وأهله.

ولنستمع إليه (عليه السلام) يقول في بعض خطبه أيضاً:

«أما بعد، فإنه لما قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، قلنا: نحن أهله وورثته وعترته، وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا، فسارت الأمرة لغيرنا.

وصرنا سوقة، يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل، فبكت الأعين منا لذلك، وخشنت الصدور، وجزعت النفوس.

وايم الله. . لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر،

---

(١) نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده: ج ـ٣ـ ص ـ ١١٩.

ويبور الدين،.. لكنا على غير ما كنا لهم عليه... الخ»[1].

وعلى أي حال لم يكن يدر في خلد أحد من الناس أن الخلافة تكون بمنأى عن علي بن أبي طالب، خصوصاً بعد أن نادى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مراراً في عدة مناسبات أن علياً وصيه، وخليفته من بعده، وأنه أمير المؤمنين كما جرى في يوم الغدير على ما هو مشهور، من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند رجوعه من حجة الوداع كما أسلفنا ذلك في الجزء الرابع من هذا الكتاب.

وذكر المؤرخون وأصحاب السير: أنه بعد وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) التي كانت أسرع الناس لحوقاً بأبيها المصطفى، حيث توفيت بعد أبيها بستة أشهر أو أقل على اختلاف الروايات على ما ذكرناه من تاريخ وفاتها.

في تلك الفترة القاسية على علي بعد وفاة النبي وابنته فاطمة الزهراء وما حصل من اضطراب أمر المسلمين مما نتج من تولي أبي بكر الخلافة وتجاهل نصوص النبي ووصاياه في عترته وأهل بيته... وما كان من ارتداد الكثيرين من العرب الذين أعلنوا العصيان وامتنعوا من دفع ما يترتب عليهم من الزكاة.

في هذه الفترة العصيبة رأى علي (عليه السلام) أن مصلحة الإسلام تفرض عليه أن يتغاضى عن الاساءات التي حصلت من أبى بكر وعمر وأتباعهما، وما لحقه منهما من أذى ومكروه.. من اغتصاب حقه الشرعي في الخلافة.. إلى اغتصاب إرث زوجته فاطمة.. إلخ.

وخوفاً على الإسلام وأهله من الضياع والانهيار، وعلى الدين من البوار، آثر أن يضع يده في يد أبي بكر، حيث شاءت الظروف ذلك.

وقد تساهل علي (عليه السلام) في سبيل الابقاء على كيان الدين

---

(١) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد: ج ـ ١ ـ ص ـ ٣٠٧.

الإسلامي تساهلاً لم يعرف له مثيل، إلى حد نكران الذات..

ترك علي (عليه السلام) أمر الخلافة، وتناسى جميع ما له من حقوق وواجبات فارسل إلى أبي بكر يدعوه.

تم اللقاء بينهما، وجرى عتاب طويل بما فيه من اغتصاب الخلافة... وانتزاع فدك... وإرث الزهراء، إلى غير ذلك مما لسنا بصدده الآن.

نفض علي (عليه السلام) يده من الخلافة.. ووضع يده في يد أبي بكر... الذي انساب الأطمئنان إلى قلبه بتسليم علي له أمر الخلافة.

نعم اطمأن أبو بكر.. وكذلك عمر بن الخطاب، واتباعهما بما جرى من سكوت علي، وأيقنوا بوصول سلطان المسلمين إليهم. لأن الذي كان يهددهم بالأمس قد انصرف عن الخلافة. إذ ليس لغير علي بن أبي طالب حق المطالبة بها.

يقول الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود: لم يكن علي من جانبه يعير الأمر التفاتاً، لأن حكم الناس كان أبغض الأمور إلى قلبه إلا أن يؤدي فيه حق الله.

وكانت الخلافة في ذاتها وسيلة يتوسل بها لغاية يرتجيها. وقد آمن دائماً أنها حقه، وأنه الأولى بها في الناس.

ولكنه آمن كذلك أنها لا تكون إلا عن مشيئة الناس، فإذا هم خرجوا بالحق إلى غير أهله فهذا خطأ منهم عليهم وزره، حسابهم عنه عند الله.

لذلك نراه يرقب الأحداث من كثب ولا يدلي فيها بدلو، بل يدع القوم إلى عقولهم، وضمائرهم، غير محاول أن يردهم عن بغيهم عليه، أو يدعوهم إلى الانتصار له. وليست هذه حال طالب السلطان، الساعي

إليه، بل هي أحرى بالزاهد فيه، النائي عنه[1].

وعلى هذا نرى أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان همه الوحيد، إرساء قواعد الإسلام، وإعلاء شأنه. لذا نراه (عليه السلام) في جميع مواقفه الناصح الأمين لأبي بكر وعمر وغيرهما، خاصة في الشدائد والمعضلات، والمواقف الصعبة التي كانت تعترض طريق تقدم الإسلام والمسلمين. والتاريخ شاهد على ذلك.

قنع علي في تلك الفترة ـ بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وانحراف الناس عنه ـ من الدنيا بخدمة الإسلام، فجمع القرآن، وأخذ بتفقيه الناس، والقضاء بينهم. وبالدفاع عن عاصمة المسلمين ـ المدينة المنورة ـ إذا أحس بخطر غـزو المرتدين لها. فكان يحمل سيفه على عاتقه، ويخرج إلى ضواحي المدينة ليصد عنها الغزاة، كما كان يفعل في عهد رسول الله.

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب: للأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود: ج ـ ١ ـ ص ـ ١٧٣.

لمحة موجزة عن أعمال أبي بكر حين توليه الخلافة

ذكر اليعقوبي في تاريخه «كانت بيعة أبي بكر يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة في اليوم الذي توفي فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، واسم أبي بكر عبدالله بن عثمان بن عامر، وكان يسمى عتيقاً[1] وأمه سلمى بنت صخر من بني تيم بن مرة. وكان منزله بالسخ خارج المدينة. وكان له أيضاً منزل بالمدينة فيه أسماء بنت عميس زوجته. فلما ولي كان منزله المدينة».

أول عمل قام به أبو بكر بعد توليه الخلافة، هو منع فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من التصرف بإرثها واستلام نحلتها فدك، حينما أتته تطلب ميراثها من أبيها. وقد أشرنا إلى ذلك في موضوع سابق عند إرث الزهراء.

ويقول اليعقوبي أيضاً: «وأمر ـ أبو بكر ـ أسامة بن زيد أن ينفذ في جيشه، وسأله أن يترك له عمر يستعين به على أمره، فقال أسامة: فما

---

(١) قيل سُمي أبو بكر عتيقاً لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد، فنذرت إن ولد لها ولد أن تسميه عبد الكعبة وتتصدق به عليها، فلما عاش أبو بكر سُمي عتيقاً لأنه أعتق من الموت. وكان يُسمى عبد الكعبة إلى أن أسلم، فسماه رسوله الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عبدالله.

تقول في نفسك؟

فقال أبو بكر: يا ابن أخي فعل الناس ما ترى.. فدع لي عمر، وأنفذ لوجهك.

فخرج أسامة بالناس وشيعه أبو بكر، فقال له: ما أنا بموصيك بشيء، ولا آمرك به، وإنما آمرك بما أمرك به رسول الله، وامض حيث ولاك رسول الله.

فنفذ أسامة، فأقام منذ خرج إلى أن قدم المدينة منصرفاً ستين يوماً، أو أربعين يوماً. ثم دخل المدينة ولواؤه معقود حتى دخل المسجد، فصلى، ثم دخل إلى بيته ولواؤه الذي عقده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معه.

وصعد أبو بكر المنبر عند ولايته الأمر، فجلس دون مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمرقاة، ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: «إني وليت عليكم ولست بخيركم - وفي رواية: ولست بخيركم وعلي فيكم». فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني، لا أقول أني أفضلكم فضلاً، ولكني أفضلكم حملاً.

وأثنى على الأنصار خيراً، وقال: أنا وإياكم معشر الأنصار كما قال القائل:

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فولت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقي الذي يلقون منا لملت

فاعتزلت الأنصار عن أبي بكر، فغضبت قريش، وأحفظها ذلك»[1]:

رب سأل يسأل: لماذا اعتزلت الأنصار أبا بكر حتى غضبت قريش وأحفظها ذلك؟

---

(١) أحفظه: أغضبه.

إن الأنصار إنما اعتزلوا أبا بكر لأنه كان في قرارة نفوسهم أن أبا بكر اغتصب الخلافة منهم وممن يرتضونه.. وممن نص عليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفي مثل هذه الحال الذي يتقرر فيه مصير شعب، وأمة، ودين لا بد وأن يكون الخليفة ممن حاز على ثقة صادقة من جميع طبقات الشعب ومن هم أهل الحل والعقد. ورضى المسلمين عن شخصيته التي تتولى زمام أمورهم. لا أن يصبح الخليفة بمجرد توليه الحكم معرضاً عن أهل الثقة من المسلمين وخاصة الأجلاء من الصحابة، ومن أهل المدينة الذين هم الأنصار - أنصار الله ورسوله - الذين آووا، ونصروا، وواسوا المسلمين المهاجرين إليهم بأنفسهم وأموالهم. والذين أنزلوهم في ديارهم وعاملوهم معاملة حسنة سجلها التاريخ على صفحاته فكان المسلمون المهاجرون في المدينة كأعز ما يكون الإنسان بين أهله وعشيرته.

ولما غضبت قريش من اعتزال الأنصار، واحفظها ذلك قام خطباؤهم فتكلموا... كما يقول اليعقوبي.

وقدم عمرو بن العاص، فقالت له قريش: قم فتكلم بكلام تنال فيه من الأنصار. ففعل ذلك.

ولما علم علي بذلك خرج مغضباً حتى دخل المسجد، فذكر الأنصار بخير. وردّ على عمرو بن العاص قوله.

فلما علمت الأنصار ذلك، سرَّها، وقالت: ما نبالي بقول من قال مع حسن قول علي بن أبي طالب. فقال حسان بن ثابت:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه ... أبا حسن عنا ومن كأبي حسن؟!
سبقت قريشاً بالذي أنت أهله ... فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
تمنت رجال من قريش أعزة ... مكانك هيهات الهزال من السمن
حفظت رسول الله فينا وعهده ... إليك ومن أولى به منك ومن؟!

ألست أخـاه في الآخـا ووصيـه   واعلم فهـر بالكتـاب وبالسنـن.

وتنبأ جماعة من العرب.. وارتد جماعة، ووضعوا التيجان على رؤوسهم. وامتنع قوم من دفع الزكاة إلى أبي بكر.

وكان ممن تنبأ طليحة بن خويلد الأسدي بنواحيه، وكان أنصاره، غطفان، ورئيسهم عيينة بن حصن الفزاري.

وممن تنبأ أيضاً الأسود العنسي، باليمن[1]، ومسيلمة بن حبيب الحنفي باليمامة، وسجاح بنت الحارث التميمية. ثم تزوجت بمسيلمة. وكان الأشعث بن قيس مؤذنها، وكانت قبل ادعائها النبوة متكهنة تزعم أن سبيلها سبيل سطيح، وابن سلمة، والمأمون الحارثي، وعمرو بن لحي، وغيرهم من الكهان. ولما قتل مسيلمة هربت. وقيل: أسلمت بعد ذلك في زمن معاوية في البصرة.

وخرج أبو بكر في جيشه إلى ذي القصة[2] ـ لمحاربة المرتدين ـ ودعا عمرو بن العاص فقال له: يا عمرو إنك ذو رأي قريش، وقد تنبأ طليحة، فما ترى في علي؟

قال ـ عمرو ـ لا يطيعك.

ـ أقول: قال عمرو لأبي بكر: لا يطيعك علي: لأنه معلوم لدى جميع المسلمين أن علي بن أبي طالب فوق الأوامر. ولم يكن ليأتمر إلا بأمر من الله ورسوله. وأنه بالحقيقة لم يكن ليعترف لأبي بكر بالولاية حتى يطيعه، وإنما كان يمحضه النصح عند اللزوم حفظاً على الإسلام.

ويتابع اليعقوبي ذكر استشارة أبي بكر لعمرو بن العاص فيقول له: ما رأيك في الزبير؟

---

(١) راجع قصة الأسود العنسي: وطليحة الأسدي: ومسيلمة الكذاب في الجزء الرابع من هذا الكتاب صفحة ٢٣١ وما بعدها.

(٢) ذو القصة: بفتح القاف، وتشديد الصاد المهملة، ماء في أجأ ـ لبني طريف.

قال عمرو: شجاع جسر.

قال ـ أبو بكر ـ : فطلحة؟

قال ـ عمرو ـ: للخفض والطعن.

قال ـ أبو بكر ـ: فسعد؟

قال ـ عمرو ـ : محش حرب.

قال ـ أبو بكر ـ : فعثمان؟

قال ـ عمرو ـ إجلسه واستعن برأيه.

قال ـ أبو بكر ـ : فخالد بن الوليد؟

قال ـ عمرو ـ : بسوس للحرب، نصير للموت له أناة القطاة، ووثوب الأسد.

فلما عقد ـ أبو بكر، لخالد ـ قام ثابت بن قيس بن شماس، وقال: يا معشر قريش، أما كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له؟! أما والله ما نحن عمياً عما نرى... ولا صماً عما نسمع... ولكن أمرنا رسول الله بالصبر فنحن نصبر.

وقام حسان فقال:

يا للرجال لخلفة الأطوار ... ولما أراد القوم بالأنصار

لم يدخلوا منا رئيساً واحداً ... يا صاح في نقض ولا إمرار

فعظم على أبي بكر هذا القول، فجعل على الأنصار ثابت بن قيس، وانفذ خالدا على المهاجرين، فقصد طليحة، ففرق جمعه، وقتل خلقاً من اتباعه، وأخذ عيينة بن حصن، فبعث به إلى أبي بكر مع ثلاثين أسيراً، وهو مكبل بالحديد. فجعل الصبيان يصيحون به لما دخل المدينة: يا مرتد... فيقول عيينة: ما آمنت طرفة قط. فاستتابه وأطلق سبيله.

ولحق طليحة بالشام، وجاور بني حنيفة، وبعث بشعر إلى أبي بكر يعتذر إليه ويراجع الإسلام.

وأما الأسود العنسي فقد كان تنبأ على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما بويع أبو بكر ظهر أمره واتبعه على ذلك قوم، فقتله قيس بن مكشوح المرادي ، وفيروز الديلمي ودخلا عليه منزله وهو سكران فقتلاه .

أقول: ذكرنا في الجزء الرابع من هذا الكتاب أمر الأسود العنسي مفصلاً وأنه قتل في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فعن ابن عمر: أنه أُتي الخبر من السماء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الليلة التي قتل فيها الأسود. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «قُتل العنسي، قتله رجل مبارك، من أهل بيت مباركين» قيل: من قتله؟

قال: «قتله فيروز».

كان أبو بكر عقد لشرحبيل بن حسنة وأمره أن يقصد لمسيلمة الكذاب، وإلا يأتيه برأيه. ثم عقد لخالد بن الوليد وبعثه على شرحبيل، فكتب خالد إلى شرحبيل أن لا تعجل حتى آتيك.

ونفذ خالد بن الوليد مسرعاً إلى اليمامة، إلى مسيلمة الحنفي الكذاب، وكان قد أسلم ثم تنبأ في سنة عشر، وزعم أنه شريك لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في النبوة، وكان كتب إلى رسول الله إني أشركت معك فلك نصف الأرض ولي نصفها، ولكن قريش قوم لا يعدلون.

فكتب إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

ولقي خالد مجاعة الحنفي في جماعة، فأسرهم وضرب أعناقهم، واستبقى مجاعة. وزحف إلى مسيلمة. فخرج مسيلمة فقاتله بمن معه من ربيعة وغيرها قتالاً شديداً. وقتل من المسلمين خلق عظيم. ثم قُتل مسيلمة في المعركة.

وأتى مجاعة الحنفي إلى خالد بن الوليد، فأوهمه أن في الحصن قوماً بعد، وقال له: ما أتاك إلا سرعان الناس، ودعا إلى الصلح. فصالحهم خالد على الصفراء والبيضاء، ونصف السبي.

ثم نظروا وليس في الحصن أحد إلا النساء والصبيان. فألبسهم مجاعة السلاح وأوقفهم على الحصون، ثم أشار إلى خالد فقال: أبو علي[1] فتأخذ الربع؟ ففعل ذلك خالد وقبل منهم.

فلما فتحت الحصون لم يجدوا إلا النساء والصبيان. فقال خالد بن الوليد لمجاعة: أمكراً يا مجاعة؟!

فقال مجاعة: إنهم قومي. وأجاز ـ خالد ـ لهم، وافتتحت اليمامة، وهربت سجاح وماتت بالبصرة.

وكان فتح مسيلمة في سنة إحدى عشرة وقُتل في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة.

وخطب خالد إلى مجاعة ابنته فزوجه إياها. فكتب إليه أبو بكر: تتوثب على النساء وعند أطناب بيتك دماء المسلمين؟!

وأمر أبو بكر خالداً أن يسير إلى العراق، فسار ومعه المثنى بن الحارثة حتى صار إلى مدينة (بانتقيا) فافتتحها وسبى من فيها. ثم سار إلى مدينة (كسكر) فافتتحها وسبى من فيها، ثم سار حتى لقي بعض ملوك الأعاجم يقال له جابان، فهزمه وقتل أصحابه. ثم سار حتى انتهى إلى فرات بادقلي يريد (الحيرة) وملكها النعمان فاقتتلوا قتالاً شديداً. ثم انهزم النعمان ولحق بالمدائن. ونزل خالد (الخورنق) وسار حتى صير الحيرة خلف ظهره وكانوا على محاربته. ثم دعوا إلى الصلح فصالحهم على سبعين ألفاً عن رؤوسهم. وقيل مائة ألف درهم[2].

---

(١) هكذا ورد في الأصل: والظاهر أن المراد بأبي علي ـ مجاعة ـ لأن خالد بن الوليد كان يكنى بأبي سليمان.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ـ٢ـ ص ـ ١٢٠ ـ ١٢١.

وتجرد أبو بكر لقتال من ارتد، وكان ممن ارتد وممن وضع التاج على رأسه من العرب (النعمان) بن المنذر بن ساوى التميمي بالبحرين فوجه العلاء بن الحضرمي فقتله.

ولقيط بن مالك ذو التاج بعمان. وجه إليه حذيفة بن محصن، فقتله بصحار من أرض عمان. وكان ذو التاج جمع جموعه وعسكر بدباء وخرج جيفر وعياذ وعسكرا بصمار وارسلا إلى حذيفة، وعكرمة، وعرفجية، فقدموا عليهما فاقتتلوا وجاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية وبشر كثير من عبد القيس، فقتل الله ذا التاج، وسبى المسلمون ذراريهم، وبعثوا بها إلى أبي بكر فباعها باربعمائة درهم.

ثم وجه أبو بكر لقتال من منع الزكاة وقال: لو منعوني عقالاً لقاتلتهم. وكتب إلى خالد بن الوليد أن ينكفىء إلى مالك بن نويرة اليربوعي.

قصة مالك بن نويرة

جاء في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني قوله: «مالك بن نويرة، بن حمزة، بن شداد، بن ثعلبة، بن يربوع التميمي اليربوعي. يكنى أبا حنظلة، ويلقب الجفول.

قال المرزباني: كان ـ مالك ـ شاعراً شريفاً، فارساً معدوداً في فرسان بني يربوع في الجاهلية، وأشرافهم. وكان من أرداف الملوك.

وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) استعمله على صدقات قومه، فلما بلغته وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمسك الصدقة وفرقها في قومه وقال في ذلك:

وقال رجال سدد اليوم مالك ... وقال رجال مالك لم يسدد

فقلت دعوني لا أبا لأبيكم ... فلم أخط رأياً في المقال ولا اليد

وقلت خذوا أموالكم غير خائف ... ولا ناظر فيما يجيء به غدي

فدونكموها إنما هي مالكم ... مصررة أخلافها لم تجدد

سأجعل نفسي دون ما تحذرونه ... وأرهنكم يوماً بما قلته يدي

فإن قام بالأمر المحدث قائم ... أطعنا وقلنا الدين دين محمد

ويتابع ابن حجر قوله: عن ابن سعد، عن الواقدي: فقتله

ضرار بن الأزور الأسدي صبراً بأمر خالد بن الوليد، بعد فراغه من قتال أهل الردة، ثم خلفه خالد على زوجته. فقدم أخوه متمم بن نويرة على أبي بكر وأنشده مرثية أخيه. ، وناشده في دمه، وفي سبيهم فـرد أبو بكر السبي. ومن قول متمم في ذلك[1]:

وكنا كندماني جذيمة برهة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير ما حيينا وقبلنا ... أباد المنايا قوم كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال أيضاً:

لقد لامني عند العبور على البكا ... رفيقي لتذراف الدموع السوافك
وقال: أتبكي كل قبر رأيته؟! ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له إن الأسى يبعث الأسى ... فدعني فهذا كله قبر مالك

وذكر ابن الأثير في تاريخه: وكان مالك بن نويرة قد فرق قومه، ونهاهم عن الاجتماع، وقال: يا بني يربوع إنا دعينا إلى هذا الأمر، فابطأنا عنه، فلم نفلح. وقد نظرت فيه، فرأيت الأمر يتأتى لهم بغير سياسة، وإذا الأمر، لا يسوسه الناس. فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم. فتفرقوا وادخلوا في هذا الأمر. فتفرقوا على ذلك.

ولما قدم خالد البطاح، بث السرايا، وأمرهم بداعية الإسلام، وأن يأتوه بكل من لم يجب، وإن امتنع أن يقتلوه.

وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلاً، فإن أذن القوم، فكفوا عنهم. . وإن لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا. . وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة، فإن أقروا فاقبلوا منهم. وإن أبوا فقاتلوهم.

فجاءته الخيل بمالك بن نويرة، في نفر معه من بني ثعلبة بن

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني: ج -٣- ص- ٣٥٧.

يربوع. فاختلفت السرية فيهم. وكان فيهم أبو قتادة. فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا، وأقاموا، وصلوا.

فلما اختلفوا أمر ـ خالد ـ بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء.

فأمر خالد منادياً. فنادى: دافئوا أسراكم. وهي في لغة كنانة ـ القتل ـ فظنوا أنه أمرهم بقتلهم. ـ لأن هذه اللفظة تستعمل في لغة كنانة للقتل ـ. فقتل ضرار بن الأزور مالكاً.

وسمع خالد الواعية، فخرج وقد فرغوا منهم. فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه.

وقد اختلف القوم فيهم، فقال أبو قتادة ـ لخالد ـ هذا عملك!

فزبره خالد فغضب. ومضى ـ أبو قتادة ـ حتى أتى أبا بكر فغضب أبو بكر حتى كلمه عمر فيه. فلم يرض ـ أبو بكر ـ إلا أن يرجع ـ أبو قتادة ـ إلى خالد. فرجع إليه حتى قدم معه المدينة.

وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك. فقال عمر لأبي بكر إن سيف خالد فيه رهق. وأكثر عليه في ذلك.

فقال أبو بكر: هيه يا عمر، تأول فاخطأ، فارفع لسانك عن خالد[١]...

وروى ابن حجر في الإصابة عن ثابت بن قاسم: أن خالداً رأى امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال واسمها أم تميم بنت المنهال.

فقال مالك لامرأته: قتلتني... يعني سأقتل من أجلك[٢].

وفي البداية والنهاية لابن كثير قوله: انه لم يزل عمر بن الخطاب

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ ٢ ـ ص ـ ٢٤٢.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: ج ـ ٣ ـ ص ـ ٣٥٧.

(رض) يحرض الصديق، ويذمره على عزل خالد عن الأمرة ويقول: إن في سيفه رهقاً[١] حتى بعث الصديق إلى خالد بن الوليد أن يقـدم عليه.

فقدم ـ خالد ـ عليه المدينة، وقد لبس درعه التي من حديد، وقد صدىء من كثرة الدماء، وغرز في عمامته النشاب المضمخ بالدماء. . .

فلما دخل خالد المسجد، قام إليه عمر بن الخطاب، فانتـزع الأسهم من عمامة خالد. . فحطمها، وقال: ارياء. . ! قتلت امرأ مسلماً، ثم نزوت[٢] على امرأته، والله لأرجمنك بالجنادل[٣].

وخالد لا يكلمه، ولا يظن إلا أن رأي الصديق فيه كرأي عمر. حتى دخل على أبي بكر، فاعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه ما كان منه في ذلك. وودى[٤] مالك بن نويرة.

فخرج خالد من عند أبي بكر وعمر جالس في المسجد، فقال خالد لعمر: هلمَّ إلي يا ابن أم شملة. . فلم يرد عليه ـ عمر ـ وعرف أن أبا بكر قد رضي عنه[٥].

وأورد الطبري في تاريخه قصة مالك بن نويرة: على نحو ما ذكره بقية المؤرخين وقال: كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً، وأن أهل العسكر جعلوا رؤوس مالك وأصحابه أثافي للقدور. فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بشرته، ما خـلا مالكاً فإن القدر نضجت، وما نضج رأسه من كثرة شعره.

---

(١) الرهق: مصدر: الإثم والتهمة ـ رهق رهقاً: ظلم وفعل القبائح.
وفي لسان العرب لابن منظور: الرهق الإثم. والمرهق المتهم في دينه. والرهقة: المرأة الفاجرة.

(٢) النزو: الوثبان: ولا يقال إلا للشاة والدواب والبقر في معنى السفاد. لسان العرب لابن منظور.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ج ـ ٦ ـ ص ـ ٣٢٣.

(٤) ودى القاتل القتيل: أعطى وليه ديته.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير: ج ـ ٦ ـ ص ـ ٣٢٣ وقد ذكر هذه الرواية جميع المؤرخين.

وزاد ابن كثير في البداية والنهاية: أنه أمر خالد برأس مالك فجُعل مع حجرين وطبخ على الثلاثة قدرا، فأكل منها خالد تلك الليلة.

وفي تاريخ اليعقوبي: كان متمم بن نويرة شاعراً، فرثى أخاه بمراث كثيرة، ولحق بالمدينة إلى أبي بكر فصلى خلف أبي بكر صلاة الصبح، فلما فرغ أبو بكر من صلاته قام متمم فاتكأ على قوسه ثم قال:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور
أدعوته بالله ثم غدرته لو هو دعاك بذمة لم يغدر[1]

(١) إشارة إلى أن ضرار بن الأزور هو الذي قتل مالكاً بأمر من خالد.



حول مقتل مالك بن نويرة

روى المؤرخون وأصحاب السير قصة مالك بن نويرة اليربوعي: ونهاية حياته. وفعلة خالد بن الوليد الشنعاء المنكرة من قتل مالك وجماعته صبرا من دون ذنب جنوه، أو جرم اقترفوه.

وتأتي الروايات فتقول أن أبا بكر قد أوصى خالداً ومن معه من الجيش: بأن لا يقتل من يؤذن، ويقيم الصلاة...

في حين كان مالك وجماعته قد أذنوا وأقاموا الصلاة. وكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة.

وبعد مقتل مالك وأصحابه المسلمين بأمر من خالد، لم يستطع أبو قتادة السكوت ولم يعد بوسعه وهو المسلم إلا إنكار المنكر. لأجل هذا عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً.

وكان أبو قتادة يحدث: أنهم لما غشوا القوم، راعوهم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح، فقلنا: إنا لمسلمون... فقالوا: ونحن لمسلمون.

فقلنا: فما بال السلاح معكم...؟

قالوا: فما بال السلاح معكم؟

قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح. . .

فوضعوه ثم صلينا، وصلوا.

وكان مالك بن نويرة، رجلاً مسلماً، صادقاً في إسلامه، حاز ثقة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورضاه. ولم تبدر منه أي بادرة أو عمل يغضب الله ورسوله مدة إسلامه. لأجل ذلك جعله النبي العظيم على صدقات قومه لأمانته. والرسول الأعظم أعلم الناس بالناس. فلو كان في مالك أي ريب أو زيغ أو انحراف لما استعمله النبي الأكرم ووثق به.

لم يكتف خالد بن الوليد بقتل مالك بن نويرة والأبرياء من قومه من دون ذنب أو جرم أو جناية، حتى مثل بهم فجعل من رؤوسهم الأثافي تحت القدور مع العلم أن الإسلام نهى عن المثلة ، وأنها لا تجوز ولو في الكلب العقور.

روى الطبري في تاريخه: أن مالكاً كان من أكثر الناس شعراً، وأن أهل العسكر جعلوا رأس مالك وأصحابه أثافي للقدور. فما من رأس إلا وصلت النار إلى بشرته، إلا رأس مالك فإن القدر نضجت، وما وصلت النار إلى بشرته من كثرة شعره.

وعلى ما روى ابن كثير: من أن خالداً وضع رأس مالك مع حجرين، وطبخ على الثلاثة قدراً. . . وجلس فأكل خالد من القدر تلك الليلة. وهذا العمل الدنيء الذي كشف عن قساوة فاعليه ورؤسائهم الذين وافقوهم على ذلك، قد سود وجه المسلمين والعرب، والإنسانية جمعاء. وأبان عن لؤم الغلبة وخبث السريرة. ونأي عن أخلاق الإسلام ومحاسنه.

ويحدثنا التاريخ حديثاً عجباً من أن خالد بن الوليد لم يكتف بقتل مالك بن نويرة حتى زنى بامرأته أم تميم بنت المنهال في نفس الليلة التي قُتل فيها زوجها على ما روي.

ولو أردنا أن نلتمس العذر لخالد بن الوليد من قتله لمالك بن نويرة والاستيلاء على زوجته أم تميم لوجدنا أن خالداً حينما رأى أم تميم امرأة مالك التي كانت فائقة الجمال... ورأى من جمالها البارع ما أخذ بلبه واستهواه ما رأى لم يعد يتمالك من كبح جماح نفسه الأمارة بالسوء فلم يكن منه إلا أن كاد لمالك.. فقتله. ونزى على امرأته. وهذه الفعلة المنكرة ليست من فعال المسلمين، ولا من آداب الإسلام.. الذي حرم القتل والزنا ونهى عن الفحشاء والمنكر.

لأجل هذا كله نرى عمر بن الخطاب عندما علم بما صنع خالد أنكر المنكر، وأشار على أبي بكر بعزل خالد وقال له: إعزله .. فإن في سيفه رهقاً ـ أي إن فيه الإثم والتهمة وفعل القبائح.

وعمر بن الخطاب أيضاً: لم يسكت عند قوله لأبي بكر وتحريضه على خالد، من عزل وغيره. ولم يصبر على أفعال خالد المنكرة.. بل قام بوجهه حينما حضر إلى المدينة وصاح به.

ولم يكتف عمر بالتقريع والتوبيخ لخالد. بل تجاوز إلى الفعل فمد يده وانتزع الأسهم من عمامة خالد التي كان قد غرسها بها ليوهم الناس أنه المؤمن المجاهد. الذي ليس له من هم إلا قتال المشركين والدفاع عن الإسلام حيث كان قد لبس درعه الحديد الذي صدأ من كثرة الدماء تغطية على أعين المسلمين.

أجل لم يسكت عمر عن فعلة خالد، وتمويهه بل قام بوجهه وقال له: ارياء..؟! قتلت مسلماً.. ونزوت على امرأته.. والله لأرجمنك بالجنادل[1] يريد بذلك اقامة الحد عليه. وهذا هو واقع الحال.

لكن خالداً لما دخل على أبي بكر واستعطفه، وحاز على رضاه لم يعد يلتفت إلى قول عمر وانكاره.

---

(١) جندلة: جمع جنادل: الصخر العظيم.

بل نجده تحدى عمر عندما خرج من عند أبي بكر وقال له باستهزاء وتهكم: هلم إلي يا ابن أم شملة.

فأسرها عمر في نفسه وسكت.

وعندما تُوفي أبو بكر ووليَ الأمر من بعده عمر، كان أول عمل قام به عمر بن الخطاب هو عزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش الذي أرسله أبو بكر لمحاربة الروم، وتسليم القيادة لأبي عبيدة بن الجراح. والتاريخ شاهد على ذلك.

وصية الرسول الأعظم لعلي بن أبي طالب بجمع القرآن

ماذا يقول القائل، أو يكتب الكاتب، إذا أراد أن يكتب في سيرة علي بن أبي طالب (عليه السلام). فسيرته العظيمة الزاخرة بجلائل الأمور المملوءة بالفوائد والمنافع التي لا تعد ولا تحصى، هي المورد الصافي لكل من أراد أن يستقي من منهلها العذب.

فمنذ إسلامه (عليه السلام) إلى حين وفاته لم يترك وقتاً من الأوقات إلا ويقضيه في خدمة الإسلام. غير ملتفت إلى ما يحاك حوله من المؤامرات، ولا ما يدبر له. من الاغتيال.. أو القتل.. أو سلبه حقه وكتمان فضله.

فما أن توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وشاهد علي ما شاهد من إئتمار القوم عليه في تنحيته عن حقه في الخلافة. لم يغير ما بنفسه من التفاني في خدمة الدين، بل ترك الأمور تجري مجراها. وترك السلطنة يتنازعها القوم. فلم يخرج لينازع على سلطان محمد خشية انشقاق المسلمين، ومحق الدين كما أسلفنا، بل سكت وصبر، لأنه (عليه السلام) لم يحب السلطان ولم يهوى الخلافة.. وإنما كان همه تثبيت دعائم الدين الحنيف، وإرساء قواعد الرسالة المقدسة.

لذلك كان أول عمل قام به (عليه السلام) هو تنفيذ وصية

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فبعد أن جهز النبي وواراه في مثواه الأخير انثنى إلى إتمام تنفيذ وصية الرسول بجمع القرآن الكريم، وكتابته، وترتيبه كما أنزله الله تعالى. وكان علي بالقرآن عالماً.

روى المجلسي في بحاره: عن أبي رافع: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في مرضه الذي توفي فيه لعلي بن أبي طالب (عليه السلام):

«يا علي هذا كتاب الله، خذه إليك».

فجمعه علي (عليه السلام) في ثوب فمضى إلى منزله. فلما قبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، جلس علي فألفه كما أنزل الله، وكان به عالماً.

وعن علي بن رباح: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر علياً بتأليف القرآن، فألفه وكتبه[1].

روى أبو نعيم في حلية الأولياء: عن السدي، عن عبد خير، عن علي (عليه السلام): أنه قال:

لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أقسمت ـ أو حلفت ـ أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي عن ظهري، حتى جمعت القرآن[2].

وفي أخبار أهل البيت (عليهم السلام): أن علياً آلى أن لا يضع رداءه على عاتقه إلا للصلاة.. حتى يؤلف القرآن ويجمعه.

فانقطع عنهم ـ عن الناس ـ مدة إلى أن جمع القرآن. ثم خرج

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج ـ ٤٠ ـ ص ـ ١٥٦ ـ والمراد بقوله: أمر علياً بتاليف القرآن. هو جمعه، وترتيبه. ففي لسان العرب لابن منظور: ألفت الشيء تأليفاً: إذا وصلت بعضه ببعض. ومنه تأليف الكتب.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني: ج ـ ١ ـ ص ـ ٦٧.

إليهم به في ازار يحمله، وهم مجتمعون في المسجد، فانكروا مصيره بعد انقطاع مع التيه[1].

فقالوا: لأمر ما جاء أبو الحسن!

فلما توسطهم وضع الكتاب بينهم ثم قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«إني مخلف فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي». وهذا كتاب الله.. وأنا العترة...

فقام إليه الثاني -عمر- فقال له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله. فلا حاجة لنا فيكما.

فحمل -علي- (عليه السلام) الكتاب وعاد به بعد أن ألزمهم الحجة.

وفي خبر طويل عن الصادق (عليه السلام): أنه حمله وولى راجعاً نحو حجرته وهو يقول: **﴿فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئسما يشترون﴾**[2].

وفي تاريخ البلاذري وحلية الأولياء: قال علي (عليه السلام): والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت، وأين نزلت، أبليل نزلت أم بنهار[3] نزلت، في سهل أو جبل، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً.

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

(٢) سورة آل عمران - آية - ١٨٧.

(٣) في المصدر: أو بنهار. راجع بحار الأنوار للمجلسي: ج-٤٠- ص- ١٥٧.



لمحة عن قضاء علي في عهد أبي بكر

بعد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وافضاء الأمر إلى أبي بكر، وبعد الأحداث التي كانت تطوف بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) والتي جعلته يلازم بيته، ولا يخرج إلى المسجد، وبعدما انتهى من جمع القرآن الكريم وتأليفه، وخرج إلى الناس كما أسلفنا. استطاع أن يجد متنفساً لطاقته العلمية، في مجتمع أقل ما يقال عن أفراده يومذاك، أنهم كانوا أمام طراز جديد، من العلوم الدينية الإسلامية الجديدة عليهم.

رأى علي (عليه السلام) حينذاك أنه خدمة للدين، وابقاء عليه، أن يدلي بآرائه الصائبة، موضحاً القواعد الدينية الصحيحة، التي استقاها من النبي الأعظم، وذلك كلما أشكل أمر من الأمور على أصحاب الرأي المبرزين في ذلك الوقت.

في تلك الأيام من صدر الإسلام الأول، والدين جديد على قلوب معتنقيه من المسلمين، ومشكلات الدين ونواميسه، وأحكامه عصية على أذهان القوم إذ كانوا لم يتفهموها بعد على حقيقتها، وخاصة بعد وفاة النبي محمد (صلوات الله عليه وآله). المعلم القائد، والمهذب الأول، والرسول المبلغ.

وفي تلك الأيام أيضاً: التي غاب عن آفاقها حامل شعلة الهدى محمد سيد البشر لم يجد الناس ضالتهم إلا عند سليل هاشم وصي رسول الله ووارث علمه وباب حكمته علي بن أبي طالب.

لقد وجد الناس عند علي بن أبي طالب أقباساً من النور... نور علوم محمد التي تضيء لهم أحناء حياتهم الروحية، والمدنية، والاجتماعية، كلما تشعبت الآراء، أو أصابها حسر، أو جهد، أو كلل.

لم يكن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ليضن، أو يبخل على سائل أو طالب علم أن يفيض عليه من علمه الزاخر بما يقضي حاجته وترتاح له نفسه.

ولم يكن (عليه السلام) يفتي فيما يعرض له من المسائل والقضايا إلا على ضوء الإسلام، ورأي صائب مستنده القرآن الكريم، أو سنة رسول الله العظيم.

في تلك الأونة العصيبة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما تلاها من عهود، عهد أبي بكر... وعمر... وعثمان، كان علي بن أبي طالب ميزان القضاء، والافتاء، في جميع الأمور الحياتية، من قضائية، واجتماعية، ودينية وغير ذلك. ذخيرته في ذلك علم وحكمة، اقتبسهما من المنهل الصافي، نبع النبوة رسول الله محمد (صلوات الله عليه وآله).

كان علي (عليه السلام) لا يباريه في ميدان العلم، والقضاء، والفتيا، صاحب ولا رفيق، حتى أصبح وحيد زمانه في الأمور المستعصية، صاحب الرأي الحاسم الأخير.

لقد أفاض على الناس من علمه الجم، وحكمته الساطعة، وأحكامه الصحيحة، التي لا يعتريها شك أو ريب الشيء الكثير، لأنها مستقاة من السراج المنير صاحب الرسالة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد ورد عن علي (عليه السلام) قوله: علمني رسول الله ألف باب، ينفتح لي من كل باب ألف باب. وفي حلية الأولياء للأصبهاني قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا دار الحكمة وعلي بابها».

وروي عن رسول الله أيضاً قوله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

ألقى علي (عليه السلام) من ذخيرة علمه، ومعرفته على مشكلات الحياة، ومسائل القضاء، والافتاء، أضواء لامعة. حتى كان عمر بن الخطاب، وهو صاحب القضاء على عهد أبي بكر يقول دائماً ويردد: لا بقيت معضلة ليس لها أبو الحسن.

ذكر المفيد في ارشاده: عن رجال من العامة والخاصة، أن رجلاً رفع إلى أبي بكر، وقد شرب الخمر، فأراد أن يقيم عليه الحد.

فقال له الرجل: إني شربتها، ولا علم لي بتحريمها، لأني نشأت بين قوم يستحلونها، ولم أعلم بتحريمها حتى الآن.

فارتج على أبي بكر الأمر بالحكم عليه، ولم يعلم وجه القضاء فيه...

فأشار عليه بعض من حضر[1] أن يستخبر أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الحكم في ذلك.

فأرسل إليه من سأله عنه. فقال أمير المؤمنين: مر رجلين ثقتين من المسلمين يطوفان به على مجالس المهاجرين والأنصار، ويناشدانهم: هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم، أو أخبره بذلك عن رسول الله

---

(١) وفي رواية التستري عن الكليني: فالتفت أبو بكر إلى عمر بن الخطاب فقال له: ما تقول يا أبا حفص في أمر هذا الرجل؟ فقال عمر: معضلة وأبو الحسن لها. فقال أبو بكر: يا غلام، ادع لنا علياً. فقال عمر: يؤتى الحكم في منزله. فأتوه ومعه سلمان الفارسي، فأخبره بقصة الرجل. إلى آخر الرواية.

(صلى الله عليه وآله وسلم).

فإن شهد بذلك رجلان منهم، فأقم عليه الحد، وإن لم يشهد أحد بذلك... فاستتبه، وخل سبيله.

ففعل ذلك أبو بكر. فلم يشهد أحد من المهاجرين والأنصار أنه تلا عليه ـ أي على الرجل شارب الخمر ـ آية التحريم.

ولا أخبر أحد من المهاجرين والأنصار ذلك الرجل عن رسول الله أنه حرم الخمر.

فاستتاب الرجل أبو بكر وخلى سبيله. وسلم لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) في القضاء به[1].

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد: ص ـ ١٠٧ ـ قضاء أمير المؤمنين علي: للشيخ محمد تقي التستري: ص ـ ٥٢.

علي بن أبي طالب... واسئلة الوافدين على أبي بكر

ذكر الشيخ المفيد في كتابه الارشاد: إن بعض الأحبار من اليهود، جاء إلى أبي بكر ـ بعد توليه الخلافة ـ فقال له: أنت خليفة نبي هذه الأمة؟

فقال له أبو بكر: نعم.

فقال ـ الحبر ـ: إنا نجد في التوراة أن خلفاء الأنبياء، أعلم أممهم، فأخبرني عن الله تعالى: أين هو؟ في السماء أم في الأرض..؟

فقال أبو بكر: هو في السماء على العرش.

فقال الحبر اليهودي: فأرى الأرض خالية منه، وأراه على هذا القول، في مكان دون مكان؟!

فقال له أبو بكر: هذا كلام الزنادقة، أغرب عني، وإلا قتلتك.
فولى الحبر اليهودي متعجباً..! يستهزىء بالإسلام..
فاستقبله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين فقال له:
«يا يهودي، قد عرفت ما سألت عنه، وما أجبت به.. فاسمع..

إنا نقول: أن الله عز وجل أين الأين، فلا أين له، وجل أن يحويه مكان.. وهو في كل مكان، بغير مماسة، ولا مجاورة. يحيط علماً بما

فيها، ولا يخلو شيء منها من تدبيره.

وإني مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم، يصدق ما ذكرته لك، فإن عرفته أتؤمن به؟

فقال اليهودي: نعم.

قال ـ علي بن أبي طالب ـ ألستم تجدون في بعض كتبكم، أن موسى بن عمران (عليه السلام)، كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق.

فقال له موسى: من أين أقبلت؟
قال الملك: من عند الله عز وجل.
ثم جاءه ملك من المغرب، فقال له موسى: من أين جئت؟
قال ـ الملك ـ: من عند الله عز وجل.
ثم جاءه ملك، فقال: قد جئتك من السماء السابعة، من عند الله عز وجل.

وجاءه ملك آخر فقال له: قد جئتك من الأرض السفلى السابعة، من عند الله عز وجل.

فقال موسى (عليه السلام): سبحان من لا يخلو منه مكان ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان.

فقال ـ الحبر ـ اليهودي: أشهد أن هذا هو الحق، وأنك أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه[1].

---

(١) الارشاد: للشيخ المفيد: ص ـ ١٠٨.

وفد النصارى واليهود على أبي بكر

ذكر الأميني في غديره: أخرج الحافظ العاصمي عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال:

لما قُبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اجتمعت النصارى إلى قيصر ملك الروم، فقالوا له: أيها الملك، إنا وجدنا في الإنجيل رسولاً يخرج من بعد عيسى، اسمه أحمد، وقد رمقنا خروجه، وجاءنا نعته، فأشر علينا، فإنا قد رضيناك لديننا ودنيانا.

قال: فجمع قيصر من نصارى بلاده مائة رجل، وأخذ عليهم المواثيق، أن لا يغدروا، ولا يخفوا عليه من أمورهم شيئاً وقال:

انطلقوا إلى هذا الوصي الذي من بعد نبيهم، - نبي الإسلام - فسلوه عما سُئل عنه الأنبياء (عليهم السلام). وعما أتاهم به من قبل، والدلائل التي عرفت بها الأنبياء. فإن أخبركم فآمنوا به وبوصيه، واكتبوا بذلك إلي. وإن لم يخبركم، فاعلموا أنه رجل مطاع في قومه، يأخذ الكلام بمعانيه، ويرده على مواليه، وتعرفوا خروج هذا النبي - الذي وجدتموه في الإنجيل - .

قال: فسار القوم حتى دخلوا بيت المقدس، واجتمعت اليهود إلى رأس جالوت، فقالوا له مثل ما قالت النصارى لقيصر.

فجمع رأس جالوت من اليهود مائة رجل.

قال سلمان: فاغتنمت صحبة القوم، فسرنا حتى دخلنا المدينة، وذلك يوم عروبة[1]. وأبو بكر (رضي الله عنه) قاعد في المسجد يفتي الناس. فدخلت عليه فأخبرته بالذي قدم له النصارى، واليهود.

فأذن أبو بكر لهم بالدخول عليه، فدخل عليه رأس جالوت فقال:

يا أبا بكر.. إنا قوم من النصارى، واليهود، جئناكم لنسألكم عن فضل دينكم. فإن كان دينكم أفضل من ديننا قبلناه.. وإلا فديننا أفضل الأديان.

قال أبو بكر: سل عما تشاء أجبك، إن شاء الله.

قال ـ رأس جالوت ـ: ما أنا وأنت عند الله؟

قال أبو بكر: أما أنا فقد كنت عند الله مؤمناً، وكذلك عند نفسي إلى الساعة، ولا أدري ما يكون من بعد.

فقال اليهودي: فصف لي صفة مكانك في الجنة، وصفة مكاني في النار؟ لأرغب في مكانك وأزهد في مكاني.

قال: فأقبل أبو بكر ينظر إلى معاذ مرة.. وإلى ابن مسعود مرة.
وأقبل رأس جالوت يقول لأصحابه بلغة أمته: ما كان هذا نبياً:

قال سلمان: فنظر إليَّ القوم، قلت لهم: إبعثوا إلى رجل لو ثنيت له الوسادة لقضى لأهل التوراة بتوراتهم؟ ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، ولأهل الزبور بزبورهم، ولأهل القرآن بقرآنهم، ويعرف ظاهر الآية من باطنها، وباطنها من ظاهرها.

قال معاذ: فقمت فدعوت علي بن أبي طالب، وأخبرته بالذي قدمت له اليهود، والنصارى..

---

(١) عروبة ـ يعني الجمعة، وكانت تسمي العرب قديماً يوم الجمعة ـ بيوم عروبة.

فأقبل ـ علي بن أبي طالب ـ حتى جلس في مسجد رسول الله. قال ابن مسعود: وكان علينا ثوب ذل. فلما جاء علي بن أبي طالب كشفه الله عنا به.

قال علي: سلني عما تشاء ـ أيها السائل ـ أخبرك إن شاء الله تعالى.

قال اليهودي: ما أنا وأنت عند الله؟

قال ـ علي ـ أما أنا فقد كنت عند الله وعند نفسي مؤمناً إلى الساعة فلا أدري ما يكون بعد. وأما أنت فقد كنت عند الله وعند نفسي إلى الساعة كافراً، ولا أدري ما يكون بعد.

قال رأس جالوت: فصف لي صفة مكانك في الجنة، وصفة مكاني في النار، فارغب في مكانك وأزهد عن مكاني.

قال علي: يا يهودي! لم أر ثواب الجنة، ولا عذاب النار فاعرف ذلك! ولكن كذلك أعد الله للمؤمنين الجنة، وللكافرين النار، فإن شككت في شيء من ذلك فقد خالفت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولست في شيء من الإسلام.

قال: صدقت رحمك الله، فإن الأنبياء يوقنون على ما جاؤوا به، فإن صدقوا آمنوا وإن خولفوا كفروا.

قال ـ رأس جالوت ـ: فأخبرني.. أعرفت الله بمحمد أم محمداً بالله؟

فقال علي: يا يهودي؛ ما عرفت الله بمحمد، ولكن عرفت محمداً بالله، لأن محمداً محدود مخلوق، وعبد من عباد الله، اصطفاه الله، واختاره لخلقه، وألهم الله سبحانه نبيه، كما ألهم الملائكة الطاعة، وعرفهم نفسه بلا كيف، ولا شبه.

قال رأس جالوت: صدقت. ثم قال: فأخبرني الرب في الدنيا أم في الآخرة؟

فقال علي: إن «في» وعاء فمتى ما كان ـ بفي، كان محدوداً، ولكنه يعلم ما في الدنيا والآخرة، وعرشه في هواء الآخرة، وهو محيط بالدنيا، والآخرة، بمنزلة القنديل في وسطه، إن خليت يكسر، وإن أخرجته لم يستقم مكانه هناك فكذلك الدنيا وسط الآخرة.

قال: صدقت. ثم قال: فأخبرني الرب يحمل أو يحمل؟

قال علي بن أبي طالب: يحمل.

قال رأس جالوت: فكيف؟ وإنا نجد في التوراة مكتوباً «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية».

قال علي: يا يهودي.. إن الملائكة تحمل العرش، والثرى يحمل الهواء، والثرى موضوع على القدرة، وذلك قوله تعالى: **﴿له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾**.

قال اليهودي: صدقت رحمك الله[1].

وفي كتاب الغدير أيضاً: عن أنس بن مالك أنه قال: أقبل يهودي بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأشار القوم إلى أبي بكر فوقف عليه، فقال: أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، أو وصي نبي؟

قال أبو بكر: سل عما بدا لك!

قال اليهودي: أخبرني عما ليس لله؟. وعما ليس عند الله؟ وعما لا يعلمه الله؟

فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة يا يهودي؟! وهمَّ أبو بكر

---

(١) الغدير للأميني: ج ـ ٧ ص ـ ١٨٠ .

والمسلمون باليهودي.

فقال ابن عباس (رضي الله عنه): ما أنصفتم الرجل.

فقال أبو بكر: أما سمعت ما تكلم به؟!

فقال ابن عباس: إن كان عندكم جوابه.. وإلا فاذهبوا به إلى علي (رضي الله عنه) يجيبه. فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لعلي بن أبي طالب: «اللهم أهد قلبه، وثبت لسانه».

قال ـ أنس ـ: فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا علي بن أبي طالب فاستأذنوا عليه.

فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إن هذا اليهودي سألني مسائل الزنادقة.

فقال علي: ما تقول يا يهودي؟

قال: أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي.

فقال علي له: قل.

فرد اليهودي المسائل.

فقال علي (رضي الله عنه): أما لا يعلمه الله[1]، فذلك قولكم يا معشر اليهود: إن العزيز ابن الله.. والله لا يعلم أن له ولداً.

وأما قولك: أخبرني بما ليس عند الله؟ فليس عنده ظلم للعباد.

وأما قولك: أخبرني بما ليس لله؟ فليس له شريك.

فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنك وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال أبو بكر، والمسلمون لعلي (عليه السلام): يا مفرج الكرب[2].

(١) هكذا وردت في الأصل ـ والظاهر: أما قولك ما لا يعلمه الله.

(٢) كتاب الغدير: للأميني: ج ـ ٧ ـ ص ـ ١٧٨ ـ ١٧٩.



مرض أبي بكر الصديق، وعهده لعمر بن الخطاب بالخلافة

كانت خلافة أبي بكر قصيرة المدة، ولكنها كانت رغم قصر مدتها عامرة بالأحداث الجسام.

- ففيها: كانت حرب أهل الردة، وانحياز الكثيرين من العرب وانضمامهم إلى جماعة الكذابين الذين ادعوا النبوة وحاربوا المسلمين.
- وفيها: مُنع علي بن أبي طالب من حقه الشرعي بالخلافة.
- وفيها: اغتصب حق فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من النحلة والميراث.
- وفيها: عهد أبو بكر بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب.
- وفيها: مهد أبو بكر السبيل لخلافة عثمان بن عفان على ما سيأتي. حيث آل أمر الخلافة من بعد عثمان بن عفان الأموي، لبني أمية. وأصبحت الخلافة الإسلامية ملكاً عضوضاً، بعد أن كانت ذات طابع قدسي، وسلطان رُوحي، قوامه العقيدة، والاخلاص للإسلام والمسلمين.

لقد تولى أبو بكر الخلافة سنتين وأربعة أشهر - أو سنتين وثلاثة أشهر على اختلاف الروايات، وهذه المدة وإن كانت قصيرة إلا أنها كانت ذات أثر بالغ في تحويل مجرى حياة المسلمين لما تخللها من

مواقف صعبة لم تزل الأمة الإسلامية إلى الآن تعاني من ويلات الانقسام، وتباعد الآراء، والاتجاهات السياسية والمذهبية الشيء الكثير.

جاء في تاريخ الطبري عند ذكر استخلاف ابن بكر لعمر بن الخطاب أنه: عَقَدَ أبو بكر في مرضته التي توفي فيها لعمر بن الخطاب عقد الخلافة من بعده.

وأنه لما أراد العقد له، دعا عبد الرحمن بن عوف، فيما ذكر ابن سعد، عن الواقدي، عن ابن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: لما نزل بأبي بكر رحمه الله الوفاة دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر..؟

فقال: ـ عبد الرحمن ـ: يا خليفة رسول الله، هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل، ولكن فيه غلظة.

فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه.

ويا أبا محمد قد رمَّقته، فرأيتني إذا غضبت على الرجل في الشيء أراني الرضا عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه، لا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئاً.

قال: نعم.

ثم دعا عثمان بن عفان، فقال له: يا أبا عبد الله، أخبرني عن عمر؟

قال عثمان: أنت أخبر به.

فقال أبو بكر: عليَّ ذاك يا أبا عبدالله! قال: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته؛ وإن ليس فينا مثله.

قال أبو بكر: رحمك الله يا أبا عبدالله، لا تذكر مما ذكرت لك شيئاً، قال عثمان: افعل.

فقال له أبو بكر: لو تركته ما عدوتك، وما أدري لعله تاركه، والخيرة له، ألا يلي من أموركم شيئاً، ولوددت أني كنت خلواً من أموركم، وأني كنت فيمن مضى من سلفكم، يا أبا عبدالله، لا تذكرن مما قلت لك من أمر عمر، ولا مما دعوتك له شيئاً[1].

وأما ابن الأثير فإنه بعدما ذكر حديث استخلاف أبى بكر لعمر وعهده إليه قال : دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال له :

استخلفت على الناس عمر؟ وقد رأيت ما يلقى الناس منه؛ وأنت معه؟

وكيف به إذا خلا بهم.. وأنت لاق ربك.. فسائلك عن رعيتك؟!

فقال أبو بكر: أجلسوني... فأجلسوه.

فقال أبو بكر: أبالله تخوفني؟! إذا لقيت ربي فسألني، قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك[2].

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه دخل عليه أناس من أصحاب النبي (عليه الصلاة والسلام)، فيهم عبد الرحمن بن عوف، فقال له : كيف أصبحت يا خليفة رسول الله ، فإني أرجو أن تكون بارئاً ؟

قال: أترى ذلك؟ قال: نعم.

قال أبو بكر: والله إني لشديد الوجع، ولما ألقى منكم يا معشر المهاجرين، أشد علي من وجعي.. إني وليت أمركم ولست خيركم في

---

(١) تاريخ الطبري: ج -٣- ص- ٤٢٨.
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج -٢- ص- ٢٩٢.

نفسي، فكلكم ورم أنفه، إرادة أن يكون هذا الأمر له، وذلك لما رأيتم الدنيا قد أقبلت.

أما والله لتتخذن نضائد الديباج، وستور الحرير، ولتألمن النوم على الصوف الأذربي[1]، كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان[2].

والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه، في غير حدث، خير له من أن يخوض غمرات الدنيا.

فقال له عبد الرحمن بن عوف: خفض عليك من هذا يرحمك الله، فإن هذا يهيضك على ما بك، وإنما الناس رجلان: رجل رضي ما صنعت، فرأيه كرأيك. ورجل كره ما صنعت، فأشار عليك برأيه... الخ[3].

وجاء في تاريخ الطبري عن يونس بن عمر، عن أبي السَّفر قال:

أشرف أبو بكر على الناس من كنيفه وأسماء ابنة عميس ممسكته، موشومة اليدين، وهو يقول:

أترضون بمن استخلف عليكم؟ فإني والله ما ألوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا.

وفي الطبري أيضاً: عن سفيان بن عيينة، عن اسماعيل، عن قيس، قال: وهو يقول: أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إنه يقول: إني لم آلكم نصحاً.

قال: ومعه مولى لأبي بكر يقال له: شديد، معه الصحيفة التي

---

(١) الصوف الأذربي: وهذا منسوب إلى أذربيجان وكذلك تقول العرب.

(٢) حسك السعدان: نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج - ١ - ص - ١٨.

فيها استخلاف عمر.

وفي الطبري أيضاً: عن الواقدي بعد سلسلة من الإسناد أنه قال: دعا أبو بكر عثمان خالياً، فقال: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد.

قال: ثم أُغمي عليه، فذهب عنه، فكتب عثمان: أما بعد فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، ولم آلكم خيراً منه.

ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ علي، فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال بعدما كبر: أراك خفت أن يختلف الناس إن أفتُلتت نفسي في غشيتي.

قال عثمان: نعم.

قال أبو بكر: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. وأقرها أبو بكر (رض) من هذا الموضع[1].

(١) تاريخ الطبري: ج -٣- ص- ٤٢٩.



عرض وتحليل حول عهد أبي بكر لعمر بالخلافة

روى المؤرخون وأصحاب السير: أن أبا بكر حينما استولى على الخلافة كان يقول: أيها الناس.. إنما أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يطبق، إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن استقمت فتابعوني، وإن زغت فقوموني. ألا وأن لي شيطاناً يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني.

وكان يقول أيضاً: أقيلوني.. أقيلوني.. لست بخيركم.

ويردد أن خلافته بنيت على مبايعة المسلمين له. وهكذا...

لكن لو تأملنا وأمعنا النظر في تصرفاته وأفعاله التي منها استشارته لعثمان بن عفان، وذلك حين سأله عن عمر بن الخطاب ورأيه فيه.. ثم قوله له: لولا عمر ما عدوتك.. ومعناه أنه أطمع عثمان بالخلافة وهيأها له، مع علمه أن عثمان عاطفي ضعيف، لا بد وأن يتغلب عليه بنو أبيه من بني أمية، وآل أبي معيط، وكل الناس يعرفون ذلك وسيتضح حال عثمان عند الكتابة عنه وما كان من إيثاره لبني أمية عند توليه الحكم.

ومعناه أيضاً: أن أبا بكر هيأ للأمويين الملك ومهد لهم السبيل

وأطمعهم بالخلافة فاشرأبت أعناقهم لها لأن عثمان أموي وسيؤثرهم بها من بعده.

ومع علمه أيضاً: أن عثمان سيحمل بني أمية على رقاب الناس وأن بني أمية غير صالحين لخلافة المسلمين لاستهتارهم بالدين وأهله كما سيأتي تفصيل ذلك في باب لاحق إن شاء الله .

أقول: إذا تلمسنا العذر لأبي بكر من تصرفاته في شأن الخلافة والعهد لعمر نجده أنه رأى لعمر عليه حقاً حين استخلفه.

لكن الأسلوب الذي انتهجه عند الاختيار، والعهد له كان أسلوباً موسوماً بالهنات والأخطاء. . .

لقد شهد التاريخ أبا بكر موعوكاً، ألحَّ عليه داؤه، واشتد به برحاؤه، تكاد امرأته أسماء بنت عميس أن تحمله لفرط وهنه وضعفه، وهو يشرف على الناس من داره ليقول لهم:

ـ أيها الناس: أترضون لمن استخلف عليكم؟ إني والله ما ألوت من جهد في الرأي. . ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا. . .

استخلف أبو بكر عمر. . . وأمر الناس بالسمع له والطاعة. . !

ومعنى ذلك أن أبا بكر فرض عمر بن الخطاب على الناس فرضاً. . وكان هذا العمل حرياً بأن يفعم بالغضب قلوب أكثر المهاجرين والأنصار، ومن لهم الرأي من الصحابة.

إن هذا التصرف من أبي بكر كان إصراراً على الحيف بعد الحيف . . .

فهو إصرار على سلب علي بن أبي طالب حقه الشرعي بالخلافة. . .

وإصرار على استخلاف عمر بن الخطاب وفرضه على الناس

بقوله: اسمعوا له وأطيعوا.

لكن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، والمخلصين من الصحابة الأجلاء، وأصحاب الرأي منهم، سكتوا وصبروا، بعد أن اتضح لهم، أن أبا بكر وعمر، ومن لف لفهم، قد بيتوا الأمر، على نزع سلطان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والخروج به ثانية من أهل بيته.

ولم يكن هذا التصرف أيضاً: بمستغرب من قريش، بعد أن وترهم علي بن أبي طالب بقتل صناديدهم، يوم بدر، واحد، والخندق ووالخ.

فالحقد والضغائن في قلوب القرشيّين لا زال باقياً لمحمد وآله الميامين. لأن المبدأ الذي التزمته الأكثرية من قريش في اختيار خلفاء رسول الله هو الخروج دائماً على آل بيت الرسول، ونزع الخلافة من أيديهم باغتصابها من علي بن أبي طالب. وهذه حقيقة أيدتها دائماً وقائع الحال في التاريخ الإسلامي.

والعجب كل العجب، من مسلك أبي بكر، وهو الذي يتظاهر دائماً بالسير على منهاج الرسول ويقول بعد توليه الخلافة: إن رسول الله لم يعهد ولم يوص بالخلافة لعلي بن أبي طالب من بعده.. نجده يخرج على هذا المنهاج... فيوصي لصاحبه عمر من بعده ويأمر الناس بالسمع له والطاعة! علاوة على هذا بقي على إصراره في حين رأى الغضب في وجوه الكثيرين من المسلمين، أهل الحل والعقد، نتيجة توليته عمر عليهم. وحتى تجاوز الغضب، والصمت إلى المجاهرة والكلام.

والعجب كل العجب من تصرف أبي بكر أيضاً: عند عهده لعمر بالخلافة.. فإنه يوم السقيفة، كان قد تذرع بأنه كان مدفوعاً، تسوقه الأحداث أمامها، ولا تدع له، إلا أحد سبيلين، هما:

- الأول الخلافة لنفسه، ولقريش في شخصه...
- الثاني فوز الأنصار بالخلافة دون المهاجرين...

لكنه اليوم، عند دنو أجله، واستخلافه عمر، لم تدفعه الأحداث! ولم يبدر من المسلمين تنافس أو خلاف على الخلافة، يسوقانه مكرهاً إلى حسم الموقف. باستخلاف عمر..!

على أنه من المشهور أن الأنصار حينما اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن اجتماعهم لاغتصاب الخلافة من صاحبها علي بن أبي طالب التي هي حق شرعي له بنص الرسول وعلم الجميع...

وإنما كان اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة نتيجة لما نُمي إليهم أن بعض المهاجرين يحيكون المؤامرات، ويبيِّتون للأمر عدته، لانتزاع سلطان محمد (عليه وآله الصلاة والسلام) من أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وتنحية الخلافة عن علي بن أبي طالب وهذا الأمر الظاهر لا جدال فيه.

لذلك نسمع علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول بعد أعوام: معرضاً لما لحق به من الحيف والظلم: في خطبته المعروفة بالشقشقية[1].

«أما والله لقد تقمصها ـ أبو بكر ـ وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى. ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلى الطير. فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً. وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء. يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير. ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا.

أرى تراثي نهبا حتى مضى الأول ـ أبو بكر ـ لسبيله، فأدلى بها إلى ـ عمر ـ بعده...

---

(١) سميت الشقيقية، لقوله فيها: أنها شقشقة، هدرت ثم قرت.

فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته[1] إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء، يغلظ كلامها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها... الخ[2].

إن ما صنعه أبو بكر من استخلاف عمر يبعث على العجب من رجل في آخر أيامه يتغاضى عن أخطائه، ويصر على المضي في رأيه - من عدم تسليم الحق إلى أهله.

وكان الأجدر به على الأقل، أن يبدر منه استشارة الصحابة وعلى الأخص علي بن أبي طالب، صاحب الحق المغصوب. وأهل الرأي من المسلمين الصالحين.

لم يستشر أحداً منهم سوى ما بدر منه استطلاعه رأي عبد الرحمن بن عوف ثم عثمان بن عفان.

ومن العجب أيضاً: أن يلتمس أبو بكر الصواب عند علي واستشارته بالمضي على رأيه كلما اختلفت الآراء، في مصير فرد واحد من أفراد المسلمين، أو حل قضية من قضايا الإسلام الدينية... والسياسية... والاجتماعية، ولا يستشيره إذا أراد البت في مصير الخلافة والدولة الإسلامية، التي هي قطب الرحى.

والذي اعتقده أن أبا بكر إنما فعل ما فعل من تستره باعلان اسم الخليفة إلا عندما حضرته الوفاة ولم يستطلع رأي أحد ولم يأخذ استشارة أحد سوى عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان. ما هو إلا خوفاً من أن يحمله أهل الرأي من الصحابة المخلصين على تغيير رأيه الذي كان قد أصرَّ عليه باختيار عمر.

ويدلنا على هذا ما كان من أمر ابن عمه التيمي طلحة بن عبيد الله

---

(١) رُوي أن أبا بكر قال بعد البيعة: أقيلوني فلست بخيركم.

(٢) نهج البلاغة: شرح الأستاذ الشيخ محمد عبده، ص - ٣١ - ٣٢.

حين دخل عليه بعدما أبرم الأمر لعمر ودار بينهما الحوار التالي.

يقول عبد الفتاح عبد المقصود: «ودخل طلحة بن عبيد على الخليفة -أبي بكر- وهو بين بعض صحبه، حين نما إليه خبر الوصية... وقال معارضاً:

ما أنت قائل لربك غداً، وقد وليت علينا فظاً غليظاً، تفرق منه النفوس، وتنفض عنه القلوب؟..

فبدا الغضب في عيني الشيخ -أبي بكر- وصاح بابن عمه:

أبالله تخوفني يا طلحة؟.. إذا قال لي غدا ذلك قلت له: وليت عليهم خير أهلك.

قال طلحة: أعمر خير الناس يا خليفة رسول الله؟!

فاشتدت ثورة حنق أبي بكر وأجاب:

أي والله.. هو خيرهم..! وأنت شرهم..! أما والله لو وليتك لجعلت أنفك، ولرفعت نفسك فوق قدرك، حتى يكون الله هو الذي يضعها، قم عني..!

والتفت -أبو بكر- إلى ابن عوف يقول له، ولما يزايله غضبه:

استخلفت عليكم خيركم في نفسي، فكلكم ورم لذلك أنفه، يريد أن يكون له الأمر دونه»[1].

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب: للأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود: ج -١- ص ٢١٥.

حول تمنيات الخليفة أبي بكر.. قُبيل وفاته

روى الطبري في تاريخه: عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، أنه دخل على أبي بكر الصديق في مرضه الذي توفي فيه، فأصابه مهتماً، فقال له عبد الرحمن:

أصبحت والحمد لله بارئاً! فقال أبو بكر: أتراه؟! قال: نعم.

قال أبو بكر: إني وليت أمركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه من ذلك، يريد أن يكون الأمر له دونه؛ ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج، وتألموا الاضطجاع على الصوف الأذري[1] كما يألم أحدكم أن ينام على حسك[2] والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد، خير له من أن يخوض في غمرة الدنيا، وأنتم أول ضال بالناس غداً، فتصدونهم عن الطريق يميناً وشمالاً.

يا هادي الطريق، إنما هو الفجر أو البجر[3].

---

(١) وفي الكامل: ولتألمن ـ والأذربي نسبة إلى أذربيجان.

(٢) وفي الكامل: على حسك السعدان. والسعدان: نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه.

(٣) البجر: الأمر العظيم.

فقلت له: خفض عليك رحمك الله، فإن هذا يهيضك[1] في أمرك. إنما الناس في أمرك بين رجلين: أما رجل رأى ما رأيت فهو معك، وأما رجل خالفك فهو مشير عليك وصاحبك كما تحب، ولا نعلمك أردت إلا خيراً، ولم تزل صالحاً مصلحاً وأنك لا تأسى على شيء من الدنيا.

قال أبو بكر: أجل، إني لا آسي على شيء من الدنيا إلا على ثلاث، فعلتهن وددت أني تركتهن، وثلاث تركتهن وددت أني فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت عنهن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فأما الثلاث اللاتي وددت أني تركتهن:

- فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء. وإن كانوا قد غلّقوه على الحرب.

- وددت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمي، وأني كنت قتلته سريحاً[2] أو خليته نجيحاً[3].

- وودت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً، وكنت وزيراً.

وأما اللاتي تركتهن:

- فوددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً، كنت ضربت عنقه، فإنه تخيل إلي أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه.

- ووددت أني حين سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة، كنت أقمت بذي القصة؛ فإن ظفر المسلمون ظفروا، وإن هزموا كنت بصدد

---

(١) يهضك: هيض العظم: إذا جُبر ثم أصابه شيء فآذاه فكسره ثانية.

(٢) وفي رواية: سجيحاً. والاسجاح: حسن العفو. ومنه المثل السائر في العفو عند المقدرة.

(٣) النجيح: الصائب من الرأي: الصابر.

لقاء أو مدداً.

ـ وددت أني كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق، فكنت قد بسطت يدي كلتيهما في سبيل الله ـ ومد يديه ـ.

ـ ووددت أني كنت سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحد.

ـ ووددت أني كنت سألته: هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟

ـ ووددت أني كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة، فإن في نفسي منهما شيئاً[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ج ـ ٣ ـ ص ـ ٤٢٩ ـ ٤٣٠.



وقفة تأمل مع تمنيات الصدِّيق

ذكر المؤرخون وأصحاب السير تمنيات الخليفة أبي بكر في أواخر أيامه، وعند دنو أجله، وفي سويعات احتضاره.. أنه كان متألماً نفسياً، ونادماً على أمور كان في وسعه حال نشاطه، في مدة حياته، وأيام عافيته أن يتركها، أو أن يفعلها، أو أن يسأل عنها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم). كما أسلفنا.

لكن هذه الأمور مضت سريعاً ولم يتداركها حتى مضى زمنها وفات أوانها، فكانت غصة في نفسه، وندم على ما حصل منه حيث لا ينفع الندم. وللايضاح نعيد ذكرها.

روى المؤرخون من السنة والشيعة من أن أبا بكر قال لعبد الرحمن بن عوف: إني لا آسي على شيء من الدنيا إلا على ثلاث.. فعلتهن وددت أني تركتهن، وثلاث تركتهن.. وددت أني فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت عنهن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فأما الثلاث اللاتي وددت أني تركتهن: فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة.. ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمي... ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين ـ يريد

عمر وأبا عبيدة ـ .

وأما الثلاث اللاتي تركتهن: فوددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه... ووددت أني حين سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت بذي القصة.... ووددت أني كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق...

وأما الثلاث اللاتي وددت أني سألت عنهن رسول الله.. وددت أني كنت سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لمن هذا الأمر؟ ووددت أني كنت سألته: هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟ ووددت أني كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة. الخ.

تمنيات الصديق الأولى

أقول: أما الثلاث الأولى وهي قوله لعبد الرحمن بن عوف: وددت أني لم أكن أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب.

لقد كان باستطاعة أبي بكر أيام سلطانه، بعد وفاة الرسول الأعظم أن يتجنب كشف بيت فاطمة (عليها السلام)، ويحسب للمستقبل حسابه.. حتى لا يأتي اليوم الذي يعض على يديه ندماً ويقول: ليتني.. أو.. وددت.

وكان باستطاعته أيضاً أن يسلم فاطمة بضعة المصطفى إرثها من أبيها...

وكان باستطاعته أيضاً أن يعطيها عوضاً عما أخذ منها، كما أعطى غيرها من المسلمين الشيء الكثير.

فقد أعطى أبو بكر جابر بن عبدالله الأنصاري في أيام وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لما جاءه مال البحرين، فإنه أعطاه ألف وخمسمائة درهم، كما رواه البخاري، ومسلم، ورواه أحمد في مسنده أيضاً.

وكذلك أعطى أبو بكر غيره كما جاء عن كنز العمل عن ابن سعد: سمعت منادي أبي بكر ينادي بالمدينة[1] حين قدم عليه مال البحرين: من كانت له عدة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فليأت... فيأتيه رجال فيعطيهم، بمجرد سؤالهم من دون أن يطلب منهم البينة...

وحينما جاءه أبو بشر المازني وقال له: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لي: إذا جاءنا شيء فآتنا... فأعطاه أبو بكر حفنتين، أو ثلاثاً، فوجدها ألفاً وأربعمائة.

وكذلك ما وهبه أبو بكر لمعاذ بن جبل كما جاء في الاستيعاب عند ترجمة معاذ ـ أنه مكث باليمن أميراً فكان أول من اتجر بمال الله. فمكث حتى أصاب. وحتى قُبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فلما قدم معاذ، قال عمر لأبي بكر: أرسل إلى هذا الرجل ودع له ما يعيشه، وخذ سائره منه. فلما اجتمع معاذ بأبي بكر، قال له: لا آخذ منك شيئاً، قد وهبته لك.

وكذلك ما فعل أبو بكر مع أبي سفيان، كما في شرح النهج عن الجوهري: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث أبا سفيان ساعياً. فرجع من سعايته وقد مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال أبو سفيان: من ولي بعده؟ قيل: أبو بكر، فقال أبو سفيان: أبو فصيل! تهكماً.

فكلم عمر أبا بكر فقال له: إن أبا سفيان قد قدم، وإنا لا نأمن شره، فادفع له ما في يده. فدفع أبو بكر لأبي سفيان ما في يده، فتركه فرضي.. الخ.

بالاضافة إلى أن أبا بكر كان يسمع من النبي (صلى الله عليه وآله

---

(١) هكذا ورد في كتاب دلائل الصدق: للمظفر. ج ـ ٣ ـ ص ـ ٢٩.

وسلم) وهو يردد على ملأ من الناس فضائل فاطمة وما اختصت به من المكرمات. وأنها بضعة منه، وأنه من يؤذيها فقد آذى النبي - ومن يغضبها فقد أغضب النبي والله يغضب لغضب فاطمة.. الخ.

جاء في الإصابة لابن حجر العسقلاني كما في الصحيحين، عن المسور بن مخرمة: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على المنبر يقول: «فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها، ويريبني ما رابها».

وعن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن علي قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة:
«إن الله يرضى لرضاك، ويغضب لغضبك»[1].

وأما ما كان من أمر الفجاءة السلمي وإحراق أبي بكر له بالنار فقد ذكر الطبري في تاريخه عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قدم على أبي بكر رجل من بني سليم، يقال له الفجاءة، وهو إياس بن عبد الله بن عبد يا ليل بن عميرة بن خفاف. فقال لأبي بكر: إني مسلم، وقد أردت جهاد من ارتد من الكفار، فاحملني، واعني. فحمله أبو بكر على ظهر، وأعطاه سلاحاً.

فخرج - الفجاءة - يستعرض الناس: المسلم، والمرتد. يأخذ أموالهم، ويصيب من امتنع منهم. ومعه رجل من بني الشريد، يقال له: نجبة بن أبي الميثاء.

فلما بلغ أبا بكر خبره، كتب إلى طريفة بن حاجز: إن عدو الله الفجاءة أتاني يزعم أنه مسلم، ويسألني أن أقويه على من ارتد عن الإسلام، فحملته وسلحته.

ثم انتهى إلي من يقين الخبر أن عدو الله قد استعرض الناس:

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني. ج - ٤ - ص - ٣٧٨.

المسلم والمرتد يأخذ أموالهم، ويقتل من خالفه منهم. فسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله، أو تأخذه، فتأتيني به.

فسار طريفة بن حاجز، فلما التقى الناس كانت بينهم الرميا بالنبل، فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رُمي به.

فلما رأى الفجاءه من المسلمين الجد، قال لطريفة: والله ما أنت بأولى بالأمر مني، أنت أمير لأبي بكر.. وأنا أميره.

فقال له طريفة: إن كُنت صادقاً فضع السلاح، وانطلق معي إلى أبي بكر..

فخرج معه، فلما قدما عليه، أمر أبو بكر طريفة بن حاجز، فقال: اخرج به إلى هذا البقيع فحرقه فيه بالنار.

فخرج به طريفة إلى المصلى فأوقد له ناراً، فقذفه فيها -وفي رواية الطبري أيضاً: فأمر فأوقد له ناراً في مصلى المدينة على حطب كثير، ثم رُمي به فيها مقموطاً[1].

هذا ما كان من قصة الفجاءة وأمر أبي بكر باحراقه بالنار. وهنا لا بد لنا من القول في هذا الموضوع: أن أبا بكر حينما أمر باحراق الفجاءة كان متسرعاً في حكمه...

وقد غاب عنه في ذلك الوقت قول الله عز وجل: **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾**[2].

ولهذا نرى أن أبا بكر حينما حضرته الوفاة ندم على فعله وود أنه

---

(١) تاريخ الطبري: ج -٣- ص- ٢٦٥ - ورُمي به مقموطاً - أي مجموعاً بين يديه ورجليه بحبل على رواية ابن الأثير في تاريخه.

(٢) سورة المائدة - آية - ٣٣.

لم يكن قد أحرق الفجاءة حيث قال: «ليتني كنت قتلته سريحاً أو خليته نجيحاً».

وقد أنكر عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد عندما أحرق رجالاً من بني سليم حيث لم يلتزم بتعاليم الإسلام العادلة، بل كانت نعرات الجاهلية الكامنة في ضلوعه تشده إليها.

جاء في كتاب الغدير للشيخ الأميني: عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: كان في بني سليم ردة، فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد، فجمع رجالاً منهم في الحظائر، ثم أحرقها عليهم بالنار.

فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال: تدع رجلاً يعذب بعذاب الله عز وجل:؟!

فقال أبو بكر: والله لا أشيم سيفاً سله الله على عدوه حتى يكون هو الذي يشيمه.

ليت شعري: أليس كان على الخليفة أبي بكر أن يسمع لعمر بن الخطاب انكاره على خالد بن الوليد وأفعاله التي تخالف تعاليم الإسلام العادلة باحراقه رجالاً من سليم جمعهم في الحظائر وأحرقها عليهم كما أسلفنا.

وليت شعري: أليس كان من الأولى بأبي بكر أن يستن بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقف موقفه عندما جاءه من أخبره أن خالد بن الوليد قتل رجالاً من بني جذيمة بن عامر فتبرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من فعل خالد.

روى ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق أنه لما انتهى إليه خبر قتل خالد بن الوليد لبني جذيمة: «قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه، حتى أنه ليرى ما تحت منكبيه،

يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد، ثلاث مرات»[1].

وعلى هذا كان الأجدر بالخليفة أبي بكر أن يستن بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويتبرأ من أفعال خالد بن الوليد الخارجة عن تعاليم الإسلام، لا أن يكون جوابه لعمر: لا أشيم سيفاً سنه الله على أعدائه. الخ.

وأما مقالة أبي بكر لعبد الرحمن بن عوف: وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين ـ يريد عمر وأبا عبيدة ـ فكان أحدهما أميراً، وكنت وزيراً.

هذه المقالة تحتاج إلى تأمل... فإذا كان لأبي بكر الصلاحية أو الحق في توليه الخلافة، فلا مسؤولية عليه ولا حاجة حينئذٍ لقوله: وددت... الخ.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج ـ ٤ ـ ص ـ ٧٣ ـ أما قصة قتل خالد لبني جذيمة فقد روى ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق عن أبي جعفر محمد بن علي قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب: سليم بن منصور ومدلج بن مرة، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح فقال خالد: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا. قال ابن اسحاق: حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة! إنه خالد والله! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا: يا جحدم، أتريد أن تسفك دمائنا؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح، ووضعت الحرب، وأمن الناس. فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد. فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك، فكتفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم. فلما انتهى الخبر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد. ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: يا علي أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به النبي فودى لهم الدماء، وما أصيب لهم من الأموال، حتى أنه لم يبق شيء من دم ولا مال... الخ راجع سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري.

وإن لم يكن لأبي بكر صلاحية تولي الخلافة.. وكان فيها الوزر على متوليها وغاصبها من صاحبها الشرعي.. فسواء كان أبو بكر أميراً.. أو كان وزيراً.. فالمسؤولية عليه وعلى من يتولاها. لأن المسؤولية تكون على عاتق الوزير، كما هي على عاتق الأمير.. فلا فرق...

وعلى هذا فلا معنى لقوله: وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قد قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين... الخ فليتأمل المتأمل.



تمنيات الصديق الثانية

أما الثلاث الثانية اللاتي تمنى أبو بكر فعلهن، فهي قوله لعبد الرحمن بن عوف: وددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً، كنت ضربت عنقه، فإنه تخيل إلي أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه.

أقول: إن قصة الأشعث بن قيس التي سنوردها تتميماً للفائدة والايضاح تعرب عن أن ندم أبي بكر في عفوه عن الأشعث بن قيس وعدم قتله كان ندمه في محله.

فإن الأشعث بن قيس بعدما ارتد وأتى بالمنكرات التي لا يرضاها الإسلام، وقاتل المسلمين، وأخذ وأتي به أسيراً إلى أبي بكر، وأصبح في قبضته وسعه حلم أبي بكر وعفا عنه... ويا ليت أبا بكر حينذاك قتل الأشعث وأراح البلاد والعباد من شره.

روى الطبري في تاريخه عن ابن اسحاق، عن عبدالله بن أبي بكر: أن الأشعث لمّا قدم به على أبي بكر، قال: ماذا تراني أصنع بك؟ فإنك قد فعلت ما فعلت!

قال ـ الأشعث ـ: تمنّ عليَّ فتفكني من الحديد، وتزوجني أختك، فإني قد راجعت وأسلمت.

فقال أبو بكر: قد فعلت. فزوجه أم فروة ابنة أبي قحافة[1]. وفي عفو أبي بكر عن الأشعث بن قيس وتزويجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة قال الأصبغ بن حرملة الليثي متسخطاً لهذه المصاهرة: من أبيات: منها.

أتيت بكندي قد ارتد وانتهى إلى غاية من نكث ميثاقه كفرا
فكان ثواب النكث إحياء نفسه وكان ثواب الكفر تزويجه البكرا

إلى أن يقول مخاطباً لأبي بكر:

فقل لأبي بكر: لقد شنت بعدها قريشاً وأخملت النباهة والذكرا
أما كان في تيم بن مرة واحد تزوجه؟ لولا أردت به فخرا
ولو كنت لما أن أتاك قتلته لأحرزتها ذكراً وقدمتها ذخراً
فأضحى يرى ما قد فعلت فريضة عليك فلا حمداً حويت ولا أجرا

وأما قول أبي بكر: وددت أني حين سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت بذي القصة.. الخ.

أقول: هنا يقع الجواب بضرس قاطع.. إن الإسلام من حين بزوغ فجره وانتشاره، في شبه الجزيرة العربية كان مندفعاً بقوة، لا يقف في طريقها أي قوة مهما عظمت، لأن الله بالغ أمره، ومؤيد الإسلام بنصره.

وأن أي شخص كان في ذلك الوقت تسلم قيادة جيش المسلمين فالنصر حليفه، لأن المجاهدين المسلمين الذين معه وتحت لوائه كان جلهم إن لم نقل كلهم أهل عقيدة راسخة وإيمان عميق، فالفتح يكون بالعقيدة والعزائم والهمم، لا بالكثرة والمظاهر أو العنجهية.

وعلى هذا.. سواء أكانت القيادة في يد البر أو الفاجر فالله سبحانه مؤيد الإسلام بنصره، والنصر معقود بلواء المسلمين.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ـ ٣ ـ ص ـ ٣٣٩. ثمار القلوب للثعالبي. والاستيعاب. والكامل في التاريخ لابن الأثير.

وأما قوله أيضاً: وددت أني كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق.. الخ.

والكلام هنا: عين الكلام السابق، فإن الفضل في جميع الفتوحات الإسلامية لله ولرسوله، وإن كان المجاهدون لهم في جهادهم الأجر العظيم والثواب الجزيل.



تمنيات الصديق الثالثة

أما الثلاثة الأخيرة، فقوله لعبد الرحمن بن عوف: وددت أني كنت سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لمن هذا الأمر؟

أقول باختصار: أن أبا بكر ـ لو تأملنا لم يكن بحاجة إلى سؤال أو استفسار من الرسول الأعظم ـ لمن هذا الأمر ـ لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان لا يترك فرصة سانحة وفي عدة مناسبات يهتف معلناً عن وصيه وخليفته من بعده، حتى لا يبقى لأحد مجال في التشكيك أو الحيرة.

ولو لم يكن إلا موقف النبي العظيم في غدير خم مرجعه من حجة الوداع، وايقاف الحجيج الأعظم الذي كان معه ـ والذي يتجاوز المائة والعشرين ألفاً ـ أو أقل أو أكثر ـ على اختلاف الروايات، وتنويهه (صلوات الله عليه وآله) بعلي بن أبي طالب يوم ذاك خليفة له بأمر من الله تعالى **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾**[1] لكان هذا الموقف من النبي الكريم كافياً لإزالة كل شك أو ريب من نفوس المؤمنين.

(١) سورة المائدة ـ آية ـ ٦٧.

فقد جاءت الروايات بأسانيدها الصحيحة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوقف الحجيج في ذلك الحر العظيم ونادى بعد خطبة طويلة: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وجاءت الروايات أيضاً: أن الرسول الأعظم لم يكتف بالقول، بل أمر المسلمين أن يسلموا على علي بن أبي طالب بأمرة المؤمنين. وقول عمر بن الخطاب يوم ذاك: بخ بخ لك يا علي أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة. شاهد على ذلك.

روى أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء: بعد سلسلة من الإسناد عن حذيفة بن اليمان قال: قالوا: يا رسول الله ألا تستخلفوا علياً

قال: «أن تولوا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم» وعن حذيفة بن اليمان أيضاً: أنه قال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أن تستخلفوا علياً وما أراكم فاعلين، تجدوه هادياً مهدياً يحملكم على المحجة البيضاء»[1].

وفي كتاب الغدير للشيخ الأميني: أخرج أحمد في مسنده: ج - ١ - ص - ١٠٩ عن زيد بن يشيع عن علي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث: وأن تؤمروا علياً (رضي الله عنه) ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم.

وروى الخطيب البغدادي في تاريخه: ج ١ ص ٤٧ بإسناده عن حذيفة، في حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): وإن وليتموها الخلافة علياً وجدتموه هادياً مهدياً يسلك بكم على الطريق المستقيم.

وروى الخطيب الخوارزمي في المناقب: ص - ٦٨ مسنداً عن عبدالله بن مسعود قال: كنت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أصحر، فتنفس الصعداء، فقلت: يا رسول الله مالك تتنفس؟

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصهاني: ج - ١ - ص - ٦٤.

قال : يا ابن مسعود نعيت إلي نفسي.

فقلت: يا رسول الله استخلف.

قال: من؟

قلت: أبا بكر...

فسكت.. ثم تنفس..

فقلت: ما لي أراك تتنفس؟!

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): نعيت إلي نفسي.

فقلت: استخلف يا رسول الله.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): من؟

قلت: عمر بن الخطاب.

فسكت (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم تنفس. قال: ـ عبدالله بن مسعود ـ فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟!

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): نعيت إلي نفسي.

فقلت: يا رسول الله استخلف.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): من؟

قلت: علي بن أبي طالب.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أوه ـ متأوهاً ـ ولن تفعلوا إذاً أبداً... والله لإن فعلتموها ليدخلنكم الجنة[1]. إلى غير ذلك من الروايات.

وأما ما قاله أبو بكر: وددت أني كنت سألته ـ أي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟

أقول: الجواب هنا عين الجواب في كلامنا السابق عن مستحقي الخلافة. فبعد أن نص النبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) على خلافة علي بن أبي طالب كما أسلفنا، لم يبق لأحد عذر في التخلف

(١) راجع كتاب الغدير: للشيخ الأميني: ج ـ ١ ـ ص ـ ١٣.

عن بيعته وتسليم الأمر إليه، فهي ـ أي الخلافة ـ له وليس لغيره من المهاجرين والأنصار فيها نصيب.

وأما ما قاله أبو بكر: وددت أني كنت سألته ـ أي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ عن ميراث ابنة الأخ والعمة. الخ.

ويأتي الجواب هنا في غاية السهولة لأنني أعتقد أن كل إنسان صاحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسمع منه ما كان يردد في كل مناسبة عن علم علي وقدرته على القضاء ـ والفتيا ـ لم يبق عنده شك في مسألة ميراث ابنة الأخ أو العمة. وليس من الصعب على أبي بكر الرجوع إلى علي بن أبي طالب وهو معه في المدينة في معضلات المسائل سواء أكانت في الميراث . . . أو مطلق القضاء خصوصاً بعدما استفاض عن الرسول الأعظم قوله : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه »[1] هذه الرواية المستفيضة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يمكن لأحد أن ينكرها وقد رواها جميع أهل التاريخ والسير ، السنة والشيعة ، ولم يوجد أي منازع ، أو شك في صحتها من لدن صدورها عن رسول الله إلى يومنا هذا .

وفي الاستيعاب لابن عبد البر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال في أصحابه: «أقضاهم علي بن أبي طالب»[2] .

وفي البداية والنهاية في سلسلة من الإسناد عن علي بن أبي طالب، قال: بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليمن، وأنا حديث السن، قال: فقلت: تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث، ولا علم لي بالقضاء.

قال: «إن الله سيهدي لسانك، ويثبت قلبك».

قال علي: فما شككت في قضاء بين اثنين.

---

(١) الإستيعاب: لابن عبد البر: هامش كتاب الإصابة: ج ـ ٣ ـ ص ـ ٣٨.

(٢) الإستيعاب لابن عبد البر: ج ـ ١ ـ ص ـ ٣٨.

وفي رواية ثانية عن علي أنه قال: فوضع يده على صدري وقال: «اللهم ثبت لسانه وأهد قلبه، يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر ما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك».

قال علي: فما اختلف علي قضاء بعد ـ أو ما أشكل علي قضاء بعد[1] والروايات عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في علم علي وقضائه كثيرة لا مجال لذكرها الآن لكن ما ذكرناه من باب الشاهد ليس إلا.

والخلاصة بعد الذي أوردناه لا يبقى مجال لقول أبي بكر: وددت . . . الخ.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج ـ ٥ ـ ص ـ ١٠٧.



وفاة أبي بكر الصدِّيق

روى الطبري في تاريخه: تُوفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة في جمادى الآخرة يوم الاثنين لثمان بقين منه.

وكان سبب وفاته أن اليهود سمته في أرزِّه، ويقال في جذيذة، وتناول معه الحارث بن كلدة منها، ثم كف وقال لأبي بكر: أكلت طعاماً مسموماً سمَّ سنة .

فمات بعد سنة، ومرض خمسة عشر يوماً، فقيل له: لو أرسلت إلى الطبيب! فقال: قد رآني، قالوا: فما قال لك؟ قال: إني أفعل ما أشاء.

وفي رواية الطبري أيضاً: في سبب مرض أبي بكر الذي توفي فيه. بعد سلسلة من الإسناد عن عبد الرحمن بن أبي بكر. قالوا: كان أول ما بدأ مرض أبي بكر به أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يوماً بارداً فحمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة، وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس، ويدخل الناس يعودونه، هو يثقل كل يوم.

وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال، فتوفي، وهو ابن

ثلاث وستين سنة. مجتمع على ذلك في الروايات كلها، استوفى سن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان أبو بكر ولد بعد الفيل بثلاث سنين[1].

وفي تاريخ الطبري أيضاً: تزوج أبو بكر في الجاهلية ابنة عبد العزى فولدت له عبدالله وأسماء. وتزوج أيضاً: في الجاهلية أم رومان بنت عامر فولدت له عبد الرحمن وعائشة.

وتزوج ـ أبو بكر ـ في الإسلام أسماء بنت عميس، وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب، فولدت له محمد بن أبي بكر. وتزوج أيضاً: في الإسلام حبيبة بنت خارجة، وكانت نسأ[2] حين توفي أبو بكر، فولدت له بعد وفاته جارية سُميت أم كلثوم[3].

---

(١) تاريخ الطبري: ج ـ ٣ ـ ص ـ ٤١٩.

(٢) النسيء: المرأة التي تكون أول حملها، وذلك حين يتأخر حيضها عن وقته، فيرجى أنها حبلى.

(٣) تاريخ الطبري: ج ـ ٣ ـ ص ـ ٤٢٦.



الفَصْل
الثاني والخمسون



علي بن أبي طالب في عهد عمر بن الخطاب

بعد أن مهد أبو بكر أمر الخلافة لعمر بن الخطاب، وبعد أن نصبه لها وعهد بها إليه، وانتقل إلى لقاء ربه.. لم يثأر علي لحقه المغتصب مما فعله أبو بكر لأنه (عليه السلام) القوي في دينه، الزاهد فيما رغب فيه غيره في حين صبر على أذى أعدائه بعد أن تجرع كأس الألم منهم حتى الثمالة، تلك الكأس التي ذاقها من تحالف أخصامه الكثيرين من قريش وغيرهم.

مع أن علي بن أبي طالب مع ما لاقى من الحيف كان قوياً على ذنب الناس، فعفا عمن أساء إليه في عدة مناسبات.

وبعدما شاهد (عليه السلام) ما شاهد من أبي بكر أيام ولايته بتعنته من سلبه حقه من الخلافة، وأيضاً: سلب فاطمة الزهراء ابنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إرثها ونحلتها من أبيها.. لم يشأ علي في هذه الأحوال أن ينازع القوم سلطان محمد (عليه وآله الصلاة والسلام) مخافة أن يتفرق المسلمون ويتشتت شملهم فوسعهم حلمه وسكت عن حقه ، وإن تكن أحداث الأيام وظلم القرشيين الذين هم قبيلته وأهل بلده لا تزال آثارها في نفسه .

نعم.. سكت علي عن حقه وفي العين قذى وفي الحلق شجا

حفظاً على الإسلام والمسلمين كما أسلفنا.

كان (عليه السلام) لا يهمه إلا مرضاة الله، والسير على خطى ابن عمه الرسول الأعظم فكما تحمل رسول الله من قريش العداء والاضطهاد في بدىء الدعوة إلى الإسلام عندما جاءها يحمل إليها المشعل الوهاج الذي يخرجها من الظلمات إلى النور...

كذلك سار علي سيره، وانتهج نهجه، وحمل شعاره في الحياة. هدفه الوحيد الذي هو نصب عينيه هو إعلاء كلمة الدين وإرساء قواعد الرسالة المقدسة، ونصرة المظلومين، ونشر تعاليم الإسلام وتشريعاته السامية.

لم يؤثِّر على علي تكاتف جل القرشيين ضده لأنه (عليه السلام) كان قد وترهم، وقتل صناديدهم ورؤساءهم في سبيل الإسلام كما في وقعة بدر - واحد - والأحزاب ووو. من عزمه على مواصلة مسيرته الجهادية في خدمة الإسلام.

وعلى هذا فلم يكن (عليه السلام) ليهتم بأمر الخلافة بما هي خلافة وسلطنة كما يتوهم المتوهمون، بل بقي على حاله من مساعدة المسلمين إذ كان يزودهم بنصائحه في كل وقت ولا يبخل عليهم بآرائه الصائبة، ونظراته الثاقبة في عواقب الأمور، وعلمه الوفير الذي هو من علم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وكان (عليه السلام) لا يدخر وسعاً في ارشاد قومه إلى طريق الخير والسعادة، وإلى الحفاظ على الإسلام وعزته، لتبقى رايته مرفوعة عالية، ويكون الدين كله لله الواحد القهار.

وفي سياق الحديث عن الخلافة وتنحيتها عن آل الرسول وخاصة عن علي صاحب الحق الشرعي فيها، قال الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود:

«المبدأ الذي التزمته قريش في اختيار خلفاء رسول الله كان

خروجها دائماً على أهل رسول الله، ونزعها حقهم من أيديهم...

هذه حقيقة أبدتها دائماً وقائع الحال، كانت في البدء يحجبها ـ حديثاً ـ في حلوق أصحابها ستار.. وإن بدت في الأفعال، ثم أخذت على الأيام تخرج من نطاق الأسرار إلى المجاهرة والكلام...

ذلك بدا جلياً غاية الجلاء، ولو لم تتحرج قريش عند وفاة محمد، واتساق الأمر بعده لأبي بكر، لوسعها أن تقول لبني هاشم في أصرح بيان وبأعلى صوت:

«كرهنا أن تجتمع النبوة والخلافة لهذا البيت...».

ولقد أمَّرت قريش عليها ـ انفاذاً لمبدئها المرسوم ـ شيخاً من تيم، لا ريب كان له مثل رأيها ذاك، ولكنه كان فطناً، فيه كياسة وحذق. فلم يجأر بالذي كانوا يسيرون، وجرى أحياناً بينهم مجرى الهمس، بعد جريانه كالعقيدة في الاخلاد والظنون. وبقي طاوياً في نفسه شعور قومه تجاه آل الرسول. وإن لغطت الألسن رويداً رويداً بأنهم أصابوا الجادة حين اختاروا خليفتهم من غير بيت النبي. رغبة في البعد بخلاف الإسلام عن التشيع للعصبية التي عنها نهى الإسلام.

إلا أنه منطق يعوزه السداد، وإن بدا كالسداد. فما كانت العصبية جرماً إلا أن تمنع صاحب الحق حقاً يستقيم له بغيرها، أما الاعتذار بها فهو الجرم كله إن منع حقاً يستقيم لصاحبه بها كما يستقيم له بدونها على سواء.

ولكنه الاعتذار الوحيد الذي انتحلته قريش لتدرأ الشبهات من حيفها، وركوبها آل محمد بالعدوان.

وما كان لها أن تلجأ إلى سواه وهو ذريعتها، لتبدي ـ في صورة غير واضحة الظلال والألوان ـ ما طوت عليه جوانحها للبيت الهاشمي من حسد مكتوم وحقد مكظوم.

والباحث وراء هذه الأحقاد يستطيع أن يردها إلى أصولها القديمة في أحداث التاريخ. كما يستطيع أن يحس عواطفها المنبعثة عنها في قلوب القوم كلما آنت لحظة يقفون بها في موقف الحكم أمام هذا البيت الكريم.

كذلك تألبت قريش على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي على ضلالتها، وهو يحمل إليها ناموس الهدى والنور.

وكذلك فعلت قريش من بعده حين تجيشت بقضها وقضيضها على ابن عمه - علي - ولم تنصفه، وجاء النصف من قوم من غير قبيلته هم الأنصار.

وكذلك مدت في طغيانها عليه يوم الاستخلاف. وإن صدر عن شيخ بني تيم، لأنه لم يكن سوى المعبر عما يحس به قومه ويبتغونه...

وفيما أتى بعد هذا من فرص النصف، ظلت قريش كدأبها من علي في المعسكر المنحرف عنه المتحيف عليه. وليس من سبب واحد أقصاه عن مقعد الحكم الذي هو به جدير - وهو حق شرعي له - سوى هذه العاطفة، وهو كرههم لآل الرسول، وإن لاح تعدد الذرائع والأسباب.

ومن أحس الريب وخالجته الشكوك في أثر هذا المانع الوحيد الأصيل، فبحسبه أن يسمعه عن لسان عمر بن الخطّاب، فلقد وسعه أن يعتذر مرة عن حيف قريش في بعض مجالسه فقال لعبد الله بن عباس فيما قال: ما أرى يا ابن عباس صاحبك إلّا مظلوماً..

أجابه ابن عباس: فأردد إليه ظلامته يا أمير المؤمنين...
فوقف عمر هنيهة يهمهم كأنما يحدث نفسه، ثم عاد يقول:
ما أظن القوم منعهم منه إلا أن استصغروه[1]...

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب: عبد الفتاح عبد المقصود: ج - ١ - ص ٢١٧ - ٢١٨.

حوار بين الخليفة عمر.. وعبدالله بن عباس حول علي والخلافة

روى بعض المؤرخين وأصحاب السير: أن عمر بن الخطاب في أيام خلافته مرَّ بعلي بن أبي طالب وهو بفناء داره وعنده ابن عمه عبدالله بن عباس، فألقى عمر (عليهما السلام). فلما همَّ أن يسير لشأنه، هتف به علي بن أبي طالب:

أين تريد يا عمر...؟

أجابه عمر: البقيع...

قال علي: أفلا نصل جناحك.. ونقوم معك...؟

فوافق عمر.. وأشار علي لابن عمه ـ عبدالله بن عباس ـ أن يصحبه.

ومضى الرجلان في جوف الليل، الأمير عمر صامت كأنما قد شغله التفكير.. ورفيقه عبدالله بن عباس لا يحب أن يقطع عليه فكره بالحديث.

حتى إذا جاوزا البقيع بقليل التفت عمر إلى صاحبه، وقال:

يا ابن عباس... أما والله إن صاحبك لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله، إلا أننا خفناه على اثنتين...

قال ابن عباس: فما هما يا أمير المؤمنين؟
قال عمر: خفناه على حداثة سنه، وحبه بني عبد المطلب.

وفي بعض مجالس عمر بن الخطاب وقد جلس إليه نفر منهم عبدالله بن عباس فقال عمر له:

أتدري يا ابن عباس ما منع الناس منكم ؟ . .
قال ابن عباس: لا . . . يا أمير المؤمنين.
قال عمر: لكنني أدري . . .
قال ابن عباس: فما هو . . . ؟

قال عمر: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة. فتجحفوا الناس جحفاً، فنظرت لأنفسها فاختارت، ووفقت فأصابت.

ويبدو أن ابن عباس لم يكن متهيئاً هذه الآونة للسكوت، فبادر إلى الجواب الذي ظل أعواماً يكتمه في ذات نفسه، ولا يفصح عنه.. فقال لابن الخطاب:

أيميط أمير المؤمنين عني غضبه؟
فأمنه عمر قائلاً: قل ما تشاء . . .

فقال عبدالله بن عباس: أما قولك أن قريشاً كرهت . . . فإن الله تعالى قال لقوم: ﴿**ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم**﴾[1].

وأما قولك : إنا كنا نجحف . . . فلو جحفنا بالخلافة، جحفنا بالقرابة، ولكنا قوم أخلاقنا من خلق رسول الله الذي قال ربه فيه: ﴿**وأنك لعلى خلق عظيم**﴾[2].

وقال له: ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾[3] . . .

---

(١) سورة محمد ـ اية ـ ٩.
(٢) سورة القلم ـ آية ـ ٤.
(٣) سورة الشعراء ـ آية ـ ٢١٥.

وأما قولك: أن قريشاً اختارت... فإن الله تعالى يقول: **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾**[1] ...

وقد علمت يا أمير المؤمنين إن الله اختار من خلقه من اختار، فلو نظرت قريش حيث نظر الله لوفقت وأصابت!...

فتفكر عمر هنيهة ثم قال: وقد آذاه من ابن عباس هذا الحديث الصريح:

على رسلك يا ابن عباس!.. أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشاً.. في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول..

قال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين!... لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغش فهي من قلب رسول الله الذي طهره وزكاه.

وأنهم ـ لأهل البيت الذي قال لهم الله **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**[2]... ـ وهذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء وولديهما الحسن والحسين (عليهم السلام) ـ.

ثم قال ابن عباس: وأما الحقد.. فكيف لا يحقد من غصب شيئه ويراه في يد غيره..؟!

فغضب عمر، وصاح وقد حضره في هذه الآونة أمر كان يكتمه..

ما أنت يا ابن عباس؟... إني قد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي...

قال ابن عباس: وما هو يا أمير المؤمنين؟... أخبرني به، فإن يك باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقاً فإن منزلتي عندك لا تزول به...

---

(١) سورة القصص ـ آية ـ ٦٨.

(٢) سورة الأحزاب ـ آية ـ ٣٣.

قال عمر: بلغني أنك لا تزال تقول: أخذ هذا الأمر منا حسداً وظلماً. . .

فلم ينكص ابن عباس. . ولم يتزحزح عن مواطىء قدميه، بل قال:

نعم. . . حسداً! وقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة. . .

ونعم. . ظلماً. . . ! وإنك لتعلم يا أمير المؤمنين صاحب الحق من هو. . :

يا أمير المؤمنين، ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله. . واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله. . .؟

فنحن أحق برسول الله من سائر قريش. . .

وبدت إذ ذاك من عمر بادرة ليس فيها معنى الرضا عن سلوك هذا الفتى - ابن عباس - الذي لا يعيبه أن يمتلك نواحي الحديث بالحجة وقوة الجدال. فلم ير عبدالله بداً من ترك المجلس. فلما رآه عمر قائماً يريد أن يبرح، خشي أن يكون قد أساء إليه، فاسرع يقول متلطفاً به:

أيها المنصرف. إني على ما كان منك لراع حقك.

فالتفت عبدالله إليه يقول ولم يزايله جده: إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقاً برسول الله، فمن حفظه فحق نفسه حفظ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع. . . !

ومضى عنه وفي أعقابه كلمات تقدير وانصاف قالها عمر للجالسين: واهاً لابن عباس! . . واهاً له. . فما رأيته لاحى أحداً قط إلا خصمه[1].

---

(١) راجع كتاب الإمام علي للأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود: ج - ١ - ص - ٢٢١ - وغيره من كتب التاريخ والسير.

محافظة علي بن أبي طالب على الإسلام والنصح لِأمرائه

درج العرب في سابق عهدهم على الاجتماع والتشاور ـ رغم ما كانوا عليه من التطاحن والتناحر بين القبائل المتحاربة التي سجلها التاريخ كوقعة ذي قار وغيرها ـ فكانوا يعقدون الاجتماعات لاتخاذ الرأي الصائب للخروج من المآزق أو الملمات التي تلم بهم في أمكنة خاصة تدعى ـ دار الندوة ـ أو يكون الاجتماع عند بعض زعمائهم ويكون من نتيجة اجتماعهم وتشاورهم ـ حلف ـ أو أحلاف ـ.

منها ـ دار الندوة ـ التي بناها قصي بن كلاب الجد الخامس للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقصي هذا هو أول رجل من بني كنانة، أصاب ملكاً وأطاع له قومه.

وذكر المؤرخون أن قصياً لما تم له أمر مكة وهزم خزاعة جمع قريشاً وأمرهم أن يبنوا بها وابتدأ هو فبنى دار الندوة ليجتمع بها كبراء أهل مكة تحت إمرته للتشاور في أمور بلدهم. وقد كان من عاداتهم ألا يتم أمر إلا باتفاقهم.

ومن جملة الأحلاف حلف الفضول الذي تعاهدت فيه قريش أن تأخذ للمظلوم حقه من الظالم. فقد دعى كل من أبي طالب وأخيه الزبير

إلى عقد هذا الحلف.

ومما زاد في أهمية ـ حلف الفضول ـ وشرفه حضور الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم). فكان (عليه وآله الصلاة والسلام) حتى بعد مبعثه الشريف دائماً يذكر حلف الفضول ويثني عليه بقوله: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان[1] حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أُدعي به في الإسلام لأجبت».

كذلك كان المسلمون الأول إذا نزلت بهم نازلة، أو داهمهم عدو، أو أرادوا إبرام أمر له أهميته، من دفع ضيم، أو رد خطر من جراء تحالف أعدائهم ضد مصلحة الإسلام، والانتفاضة عليهم يجتمعون للتفاهم والتشاور فيما بينهم فيجمع أمير المسلمين.. أو سلطانهم مثلاً النخبة من أهل الحل والعقد والرأي الصائب، والنظر في عظائم الأمور فيدلي كل واحد منهم برأيه ويستمع إليه الآخرون. وأخيراً من كان قوله السديد، ورأيه الرشيد أخذوا برأيه، وعملوا على إبرامه، خاصة إذا كان للدفاع عن الإسلام والمسلمين وعن حواضرهم كما حدث في زمن خلافة عمر بن الخطاب... وفي قصة نهاوند.

---

(١) عبدالله بن جدعان كان يحترمه قومه لكبر سنه، وشيخوخته، ولسخائه وثرائه.

قصة نهاوند

ذكر الطبري في تاريخه: أن الذي هاج أمر نهاوند.. أن أهل البصرة لما أشجوا الهرمزان، وأعجلوا أهل فارس عن مصاب جند العلاء، ووطئوا أهل فارس، كاتبوا ملكهم وهو يومئذ بمرو[1] فحركوه. فكاتب الملك أهل الجبال من بين الباب، والسند، وخراسان، وحلوان.

فتحركوا وتكاتبوا، وركب بعضهم إلى بعض، فاجمعوا أن يوافوا نهاوند ويبرموا فيها أمورهم. فتوافى إلى نهاوند أوائلهم...

وبلغ سعد بن أبي وقاص ـ وكان عاملاً لعمر بن الخطاب ـ الخبر.. فكتب إلى عمر يخبره بتجمع أهل فارس ثم وافاه إلى المدينة ليخبره الخبر كما في بعض الروايات.

وكانت وقعة نهاوند في سنة ست من امارة عمر. ففي زمان سعد بن أبي وقاص كانت بدء مشورتها وبعوثها. وأما الوقعة ففي زمان عبدالله بن عتبان.

وكان من حديث أهل فارس أنهم نفروا لكتاب بزدجرد الملك، فتوافوا إلى نهاوند، فتوافى إليها من بين خراسان إلى حلوان ستون ألف

---

(١) مرو: من أعمال فارس.

مقاتل، ومن بين سجستان إلى حلوان ستون ألف مقاتل، ومن بين الباب إلى حلوان ثلاثون ألف مقاتل، واجتمعوا على الفيرزان، وإليه كانوا توافوا.

ثم إنهم قالوا: إن محمداً الذي جاء العرب بالدين لم يغرض غرضنا. ثم ملكهم أبوبكر من بعده، فلم يغرض غرض فارس إلا في غارة تعرض لهم فيها، وإلا فيما يلي بلادهم من السواد. ثم ملك عمر من بعده، فطال ملكه، وعرض.. حتى تناولكم وانتقصكم السواد، والأهواز، وأوطأها. ثم لم يرض حتى أتى أهل فارس، والمملكة في عقر دارهم، وهو آتيكم إن لم تأتوه، فقد أخرب بيت مملكتكم، واقتحم بلاد ملككم، وليس بمنتهٍ حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده، وتقطعوا هذين المصرين.. ثم تشغلوه في بلاده وقراره... وتعاهدوا، وتعاقدوا وكتبوا بينهم على ذلك كتاباً...

ويلغ الخبر سعد بن أبي وقاص فاستخلف عبدالله بن عبدالله بن عتبان، وشخص إلى المدينة فلقي عمر بالخبر مشافهة وقد كان كتب إلى عمر بذلك.

جمع عمر بن الخطاب الصحابة من أهل الرأي والمشورة وأخبرهم الخبر. واستشارهم.. وقال لهم: أوجزوا في القول ولا تطيلوا فتفشغ[1] بكم الأمور. واعلموا أن هذا يوم له ما بعده من الأيام.. تكلموا.

فقام طلحة بن عبيدالله، وكان من خطباء أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فتشهد ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فقد أحكمتك الأمور، وعجمتك البلايا.. واحتنكتك التجارب، وأنت وشأنك.. وأنت ورأيك.. لا ننبو في يديك، ولا نكل عليك، إليك هذا الأمر، فمرنا نطع، وادعنا نجب، واحمنا نركب ووفدنا نفد، وقدنا ننقد، فإنك ولي هذا الأمر، وقد بلوت وجربت واختبرت فلم ينكشف

(١) تفشغه: غلبه وركبه والمفشغ: من يواجه صاحبه بالمكروه ـ المنجد في اللغة.

شيء من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار. ثم جلس...

فعاد عمر فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، فتكلموا...

فقام عثمان بن عفان: فتشهد وقال: أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشأم فيسيروا من شامهم، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين - الكوفة - والبصرة - فتلقى جمع المشركين، بجمع المسلمين، فإنك إذا سرت بمن معك وعندك قلٌ في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم، وكنت أعز عزاً، وأكثر يا أمير المؤمنين، إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية.. ولا تمتنع من الدنيا بعزيز.. ولا تلوذ منها بحريز. إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه. ثم جلس...

فعاد عمر فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، فتكلموا...

فقام علي بن أبي طالب فقال: أما بعد يا أمير المؤمنين.. فإنك إن أشخصت أهل الشأم من شامهم، سارت الروم إلى ذراريهم، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم، سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها، وأقطارها. حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات، والعيالات...

أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق، فلتقم فرقة لهم في حرمهم وذراريهم. ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً قالوا: هذا أمير العرب.. وأصل العرب: فكان ذلك أشد لكلبهم والبتهم على نفسك.

وأما ما ذكرت من مسير القوم، فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره...

وأما ما ذكرت من عددهم: فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، ولكنا كنا نقاتل بالنصر.

فقال عمر: أجل والله لئن شخصت من البلدة لتنتقضن علي الأرض من أطرافها، وأكنافها، ولئن نظرت إلي الأعاجم لا يفارقن العرصة ، وليمدنهم من لم يمدهم، وليقولن هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب ، فأشيروا علي برجل أوله ذلك الثغر غداً . . الخ .

أقول: إن قصة نهاوند توضح نصح علي بن أبي طالب للخليفة عمر بن الخطاب بعدم الذهاب بنفسه على رأس جيش المسلمين لملاقاة جموع الفرس. ويتضح أيضاً للمتأمل المنصف، والباحث المدقق أن علي بن أبي طالب لم يكن همه الملك أو السلطان، بل كان كل همه إعلاء كلمة الإسلام ورفع رايته على جميع الأصقاع على أي يد كانت.

ولو كان هم علي (عليه السلام) الخلافة والسلطنة لرجّح لعمر الذهاب بنفسه لملاقاة الفرس، حتى إذا قُتل عمر لم يبق والحالة هذه في المدينة من ينازع علياً في أمر تولي الخلافة ووضع يده على سلطان المسلمين.

هذا كله مع علم علي أنه هو صاحب الحق الشرعي بعد الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة.

ولكن حاشا علي بن أبي طالب أن تكون الدنيا همه في حياته كغيره من الناس. أليس هو القائل. . . إليك عني يا دنيا. . . الخ.

الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب

وعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنصر المبين، وأنه سوف تفتح الأمصار بجيش المسلمين وكلمة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وترفرف راية الإسلام خفاقة على الأقطار والأمصار وذلك يوم كان المسلمون يحفرون الخندق حول المدينة، حينما علم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بتوجه الأحزاب لمحاصرتها واختلالها واستئصال المسلمين.

ومما ذكره الطبرسي في تفسيره عن عمرو بن عوف أنه قال: كنت أنا وسلمان، وحذيفة بن اليمان، والنعمان بن مقرن، وستة من الأنصار نقطع أربعين ذراعاً. وحفرنا حتى إذا بلغنا الثرى، أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة، فكسرت حديدنا وشقت علينا. فقلنا: يا سلمان أرق إلى رسول الله فأخبره عن الصخرة، فأما أن نعدل عنها، فإن المعدل قريب. وأما أن يأمرنا فيها بأمره، فإنا لا نحب أن نجاوز خطه.

فرقى سلمان حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مضروب عليه قبة، قال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدورة، فكسرت حديدنا، وشقت علينا، حتى ما يحك فيها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك.

فهبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع سلمان في الخندق، وأخذ المعول وضرب به ضربة، فلمعت منها برقة، أضاءت ما بين لابتيها ـ يعني لابتي المدينة ـ حتى لكأن مصباحاً في جوف ليل مظلم. فكبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تكبيرة فتح. فكبر المسلمون. ثم ضرب ضربة أخرى، فلمعت برقة أخرى. ثم ضرب الثالثة، فلمعت برقة أخرى، فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله... ما هذا الذي أرى؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أما الأولى، فإن الله عز وجل فتح علي بها اليمن. وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب. وأما الثالثة، فإن الله فتح علي بها المشرق.

فاستبشر المسلمون بذلك وقالوا: الحمد لله موعد صادق.

وتُوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واستولى على الخلافة أبو بكر. وانشغل المسلمون بحرب أهل الردة ـ أمثال مسيلمة الكذاب ممن انتقض على المسلمين بعد وفاة النبي محمد...

وبعدها توجه المسلمون إلى الأقطار المجاورة لشبه الجزيرة العربية كالعراق وبلاد الشام وغيرهما.

وفي خلافة عمر بن الخطاب فتح الله على جيش المسلمين العراق كله السواد، والجبال، وأذربيجان، وكور البصرة، وأرضها، وكور الأهواز، وفارس.

وفتح الله على جيش المسلمين في عهد عمر أيضاً: كور الجزيرة، والموصل، ومصر، والاسكندرية.

وفتح أيضاً.. جيش المسلمين كور الشام في عهد عمر بن الخطاب ما خلا اجنادين فإنها فتحت في خلافة أبي بكر[1].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: الجزء الثالث ـ القسم الأول ـ ص ـ ٢٢٠.

وعندما قُتل عمر بن الخطاب كان جيش المسلمين يحارب في بلاد الري وقد فتح الله عليهم عامتها.

ويذكر ابن سعد أيضاً في طبقاته أن عمر أول من مصَّر الأمصار، الكوفة، والبصرة، والجزيرة، والشام، ومصر، والموصل، وأنزلها العرب، وخط الكوفة والبصرة خططاً للقبائل.



موقف الخليفة عمر بن الخطاب من خالد بن الوليد

ذكر الطبري في تاريخه عن ابن إسحاق أنه قال في أمر خالد بن الوليد وعزل عمر بن الخطاب إياه:

حدثنا محمد بن حُميد، قال: حدثنا سلمة عنه، قال: إنما نزع عمر خالداً في كلام كان خالد تكلم به. ولم يزل عمر عليه ساخطاً، ولأمره كارهاً في زمان أبي بكر كله، لوقعته بابن نويرة[1] وما كان يعمل به في حربه.

(١) قصة مالك بن نويرة رواها المؤرخون وأصحاب السير: من أنه لما قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام، وأن يأتوه بكل من لم يجب، وإن امتنع أن يقتلوه، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلاً، فإن أذّن القوم، فكفوا عنهم وإن لم يؤذّنوا فاقتلوا وانهبوا. وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام، فسائلوهم عن الزكاة، فإن أقروا فاقبلوا منهم، وأن أبوا فقاتلوهم . قال: فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع، فاختلفت السرية فيهم. وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنهم قد أذّنوا وأقاموا وصلوا. فما اختلفوا أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء. فأمر خالد منادياً فنادى... دافئوا أسراكم وهي في لغة كنانة ـ القتل ـ فقتلوهم جميعاً وقتل ضرار بن الازور مالكاً. وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم ـ وقد اختلف القوم فيهم. فقال أبو قتادة لخالد: هذا عملك؟! فزبره خالد. فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر. فغضب أبو بكر ـ على أبي قتادة ـ حتى كلّمه عمر فيه فلم يرض حتى يرجع إليه ـ أي إلى خالد ـ فرجع إليه وقدم معه المدينة. =

فلما أستخلف عمر كان أول ما تكلم به عزل خالد بن الوليد فقال: لا يلي لي عملاً أبداً.

فكتب عمر إلى أبي عبيدة: إن خالد أكذب نفسه فهو أمير على ما هو عليه، وإن هو لم يكذب نفسه فأنت الأمير على ما هو عليه، ثم انزع عمامته عن رأسه، وقاسمه ماله نصفين.

فلما ذكر أبو عبيدة ذلك لخالد، قال: انظرني استشر أختي في أمري. ففعل أبو عبيدة. فدخل خالد على أخته فاطمة بنت الوليد ـ وكانت عند الحارث بن هشام ـ فذكر لها ذلك.

فقالت له: والله لا يحبك عمر أبداً، وما يريد إلا أن تكذِّب نفسك.. ثم ينزعك.

فقبل خالد رأسها وقال: صدقتِ والله فتم على أمره، وأبى أن يكذب نفسه.

فقام بلال مولى أبي بكر إلى أبي عبيدة، فقال: ما أمرت به في خالد؟

قال: ـ أبو عبيدة ـ أمرت أن أنزع عمامته، وأقاسمه ماله...
فقاسمه ماله حتى بقيت نعلاه...
فقال أبو عبيدة: إن هذا لا يصلح إلا بهذا...

= وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك بن نويرة ـ في تلك الليلة ـ. فقال عمر بن الخطاب لأبي بكر: إن سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه في ذلك فقال: هيه يا عمر تأول فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد فإني لا أشيم سيفاً سله الله على الكافرين. وودى مالكاً وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ففعل. ودخل خالد المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد، وقد غرز في عمامته أسهماً. فقام إليه عمر فنزعها وحطمها وقال له: إرثاء... قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته. والله لأرجمنك بأحجارك يا خالد. وخالد لا يكلمه يظن أن رأي أبي بكر مثله. ودخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه، فعذره وتجاوز عنه. فخرج خالد وعمر جالس فقال: هلمَّ إليَّ يا ابن أم شملة ـ تحدياً ـ فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه.

فقال خالد: أجل.. ما أنا بالذي أعصي أمير المؤمنين، فاصنع ما بدا لك! فأخذ نعلاً، وأعطاه نعلاً. ثم قدم على عمر المدينة حين عزله.

وفي تاريخ الطبري أيضاً: عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن عمر بن عطاء، عن سليمان بن يسار قال: كان عمر كلما مرَّ بخالد بن الوليد، قال: يا خالد، اخرج مال الله من تحت استك...

فيقول خالد: والله ما عندي من مال، فلما أكثر عليه عمر قال له خالد: يا أمير المؤمنين: ما قيمة ما أصبت في سلطانكم! أربعين ألف درهم...

فقال عمر: قد أخذت ذلك منك بأربعين ألف درهم.

قال ـ خالد ـ: هو لك...

قال ـ عمر ـ: قد أخذته.

ولم يكن لخالد مال إلا عدة.. ورقيق، فحسب ذلك، فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم. فناصفه عمر ذلك، فأعطاه أربعين ألف درهم وأخذ المال. فقيل له: يا أمير المؤمنين، لو رددت على خالد ماله؟ فقال: إنما أنا تاجر للمسلمين، والله لا أرده عليه أبداً. فكان عمر يرى أنه قد اشتفى من خالد حين صنع به ذلك[1].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري ـ ج ـ ٣ ـ ص ـ ٤٣٦ ـ ٤٣٧.



فتح بيت المقدس ـ ايلياء ـ

جاء في تاريخ ابن الأثير: أنه قيل: كان سبب قدوم عمر بن الخطاب إلى الشام أن أبا عبيدة حصر بيت المقدس، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام، وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب. فكتب إليه بذلك، فسار عن المدينة.

سار عمر حتى قدم الجابية على فرس... وجميع ما قدم الشام أربع مرات، الأولى على فرس، والثانية على بعير، والثالثة على بغل، ورجع لأجل الطاعون. والرابعة على حمار...

وكتب عمر إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية، ليوم سماه لهم في المجردة، ويستخلفوا على أعمالهم. فلقوه حيث رفعت لهم الجابية.

فكان أول من لقيه يزيد ـ بن أبي سفيان ـ، وأبو عبيدة، ثم خالد على الخيول عليهم الديباج، والحرير، فنزل... وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال:

ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم.. إياي تستقبلون في هذا الزي!؟ وإنما شبعتم منذ سنتين، وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم. فقالوا: أنها يلامقة[1] وأن علينا السلاح.

---

(١) اليلمق: القباء المحشو ـ وهو بالفارسية يلمه.

قال: فنعم إذن.. وركب حتى دخل الجابية، وعمر وشرحبيل.

فبينما عمر معسكر بالجابية، فزع الناس إلى السلاح، فقال: ما شأنكم؟

فقالوا: ألا ترى إلى الخيل والسيوف. فنظر فإذا كردوس[1] يلمعون بالسيوف. فقال عمر: مستأمنة فلا تراعوا. فأمنوهم، وإذا هم أهل إيلياء وحيزها فصالحهم على الجزية وفتحوها له. وكان الذي صالحه... العوامُّ من أهل إيلياء والرملة، لأن أرطبون[2] والتذارق دخلا مصر لما وصل عمر إلى الشام.

وجعل عمر علقمة على نصف فلسطين وأسكنه الرملة. وجعل علقمة بن مجزز على نصفها الآخر وأسكنه إيلياء.

ثم سار - عمر - إلى ببيت المقدس من الجابية، فركب فرسه فرأى به عرجاً فنزل عنه، وأتي ببرذون فركبه فجعل يتجلجل به، فنزل وضرب وجهه وقال: لا أعلم من علمك هذه الخيلاء. ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده. وفتحت إيلياء - بيت المقدس - وأهلها على يديه.

وقيل: كان فتحها سنة ست عشرة. ولحق أرطبون ومن أبي الصلح بمصر[3].

---

(١) الكردوس: الخيل العظيمة، وقيل: القطعة من الخيل العظيمة، والكراديس: الفرق منهم، ويقال: كردس القائد خيله، أي جعله كتيبة كتيبة. لسان العرب لابن منظور: مادة كرد.

(٢) كتب أرطبون إلى عمرو بن العاص: بأنك صديقي ونظيري. والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين فارجع ولا تغر فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة.

(٣) الكامل في التاريخ: لابن الأثير: ج - ٢ - ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

نص كتاب الصلح بين عمر بن الخطاب ـ وأهل إيلياء

جاء في تاريخ الطبري، عن خالد وعبادة قالا: صالح عمر أهل إيلياء بالجابية، وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة كتاباً واحداً[١]، ما خلا أهل إيلياء ـ فقد كتب إليهم الكتاب الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية[٢] كما يعطي أهل المدائن،

---

(١) الكورة: المدينة، والصقع، والجمع كور. لسان العرب لابن منظور: مادة كور.

(٢) الجزية: ما يؤخذ من أهل الذمة، وهي عبارة عن المال الذي يعقد الكتابي عليه الذمة، ويدفعه. وفي الحديث: ليس على مسلم جزية؛ والجزية لا تكون إلا على الإنسان ـ وهي مقابل حفظه وأمانه ـ وقيل: أن الذمي إذا أسلم وكان في يده أرض، صولح عليها بخراج ـ فالخراج عن الأرض ـ توضع عن رقبته الجزية وعن أرضه الخراج. لسان العرب لابن منظور. مادة جزي.

وعليهم أن يخرجوا منها الروم، واللصوت[1]. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم.

ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان[2] فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء، حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان. وكتب وحضر سنة خمس عشرة[3].

ويقول الطبري في تاريخه أيضاً: فأما سائر كتبهم فعلى كتاب لُدّ. وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل لدّ ومن دخل معهم، من أهل فلسطين أجمعين، أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم، وصلبهم، وسقيمهم، وبريئهم، وسائر ملتهم، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقض ولا من حيزها ولا مللها، ولا من

---

(١) اللصوت: اللصت مثل اللص: السارق وجمعه لصوت بفتح اللام ـ وهي لغة طيء.

(٢) هكذا وردت في الأصل.

(٣) تاريخ الطبري: جزء ـ ٣ ـ ص ـ ٦٠٩.

صلبهم، ولا من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم.

وعلى أهل لدّ، ومن دخل معهم من أهل فلسطين، أن يعطوا الجزية، كما يعطي أهل مدائن الشام. وعليهم إن خرجوا مثل ذلك الشرط... الخ.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حول موقف المسلمين من فتح بيت المقدس

صدع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة، وخرج على العالم يحمل قبس النور من الرسالة السماوية، التي أضاءت الدنيا بنور تعاليم الإسلام، وشريعته السمحاء، والتي حوت بين دفتيها كل معاني الإنسانية، من محبة، وآخاء، وتسامح وعطاء، وإحسان ونجدة ومروءة، والعفو عند المقدرة.

ولما كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المثل الأعلى للمعاملة الطيبة الحسنة، ومبادلة الإساءة بالإحسان والعفو عن المسيئين والمذنبين إلا من أصر على عناده وجبرؤته من الناكثين للعهد والمصرين على عنادهم، والحاقهم الأذى بالمسلمين.

نهج المسلمون منهجه (صلوات الله عليه وآله) من العفو والتسامح، فمن ذلك ما حدث يوم فتح الله على المسلمين بيت المقدس، وكيف كانت معاملة المسلمين للنصارى في ذلك الوقت... وكيف عامل الخليفة عمر بن الخطاب نصارى إيلياء - بيت المقدس - وهذا التسامح والعفو عند المقدرة يوضحه لنا كتاب الصلح الذي عقده عمر بن الخطاب بينه وبين أهل إيلياء الذي مر ذكر.

أولاً: - أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم،

وصلبانهـم. . . ـ ولأهل إيلياء ـ سقيمها، وبريئها، وسائر ملتها.

ثانياً: ـ لا تُسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم. ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار منهم أحد.

ثالثاً: ـ لا يسكن بإيلياء معهم أحـد من اليهود ـ لأن اليهـود أصحاب غدر وشر، لا تؤمن بوائقهم، يحدثون الفتن. . . ويشعلون نار الحرب في أوطان من جاورهم.

رابعاً: ـ أعطى عمر بن الخطاب لأهل إيلياء الأمان الشامل وذلك تمشياً مع مبادىء التسامح التي درج عليها المسلمون في معاملة أهل الذمة. وقد زاد عمر بن الخطاب في تسامحه مع النصارى حيث أنه عندما دخل بيت المقدس فاتحاً كما تقول المرويات جاء إليه النصارى من أهل إيلياء وطلبوا منه أن يصلي في كنيستهم وذلك إجلالاً له وتعظيماً للكنيسة. . .

لكن عمر بن الخطاب لم يستجب لطلب النصارى وقال لهم: إذا صلى عمر في هذا المكان، فسوف يتخذ المسلمون الكنيسة مسجداً. . . ويأتي زمان تمحى به الكنيسة من الوجود.

وبفعل عمر هذا فقد قدم للنصارى خدمة عظيمة. . . ويداً بيضاء حيث أنه ثبت أقدامهم راسخة في بيت المقدس على مدى الأجيال.

ويا ليت أن هذه الخدمة العظيمة. . . أو اليد البيضاء التي قدمها عمر بن الخطاب للنصارى أعطت ثمارها من الوفاء وعرفان الجميل. . .

ولو حفظها النصارى للمسلمين. لكان عاش المسلمون والنصارى عيشة أمان واطمئنان، ولم تقع حروب بينهم. تلك الحروب التي زرعت الحقد والأضغان في قلوب الناس. ولما كانت الحرب الصليبية التي دارت على أرض المسلمين. . . وما فعله الصليبيون بالمسلمين من

الغدر، والقتل، والتعذيب، والتشريد في بيت المقدس...

فهل هذا الإجرام كان الجزاء لما فعله أجداد المسلمين الأول من الإحسان لهم والعفو عنهم، وحفظ أنفسهم وأموالهم، وكنائسهم عندما دخل المسلمون فاتحين...

مع العلم أن دين المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) يأبى ذلك، ويأمر بالمحبة والعفو والتسامح.

كذلك ما فعله النصارى بالمسلمين في ديار الأندلس من فظائع الأمور لم يسجل مثلها التاريخ على مر العصور من القتل والتعذيب، ما يعجز عنه الوصف وتقشعر له الأبدان. والتاريخ أيضاً شاهد على ما نقول.

خامساً: ـ أعطى عمر بن الخطاب الأمان لمن خرج من أهل إيلياء، فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغ مأمنه، ومن أقام منهم فهو آمن.

سادساً: ـ أعطى عمر عهداً لأهل إيلياء أنه من أحب أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء، حتى يحصد حصادهم...

إلى آخر ما هنالك من المعطيات الكثيرة التي أعطاها عمر بن الخطاب للنصارى يوم فتح بيت المقدس.

كذلك درج المسلمون في جميع فتوحاتهم وعهودهم على التمسك بفضيلة التسامح والعفو عند المقدرة. ولنا أكبر شاهد على ذلك وصية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لمالك الأشتر، حينما بعثه والياً على مصر فقال له: بعد كلام طويل...

أشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، وألطف بهم، ولا

تكونن عليهم سبعاً ضارياً، تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: أما أخ لك في الدين... أو نظير لك في الخلق. يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك.

ولكننا يا للأسف أصبحنا في زمان يرى أهله التسامح والعفو عند المقدرة ضعفاً ووهناً.

ونرى الدول الكبرى تنتهج طريقاً واضحاً من الظلم والاستعمار للدول النامية. وغيرها من الشعوب الضعيفة.

ولو حققنا وتأملنا ونظرنا في سيرة حكام الدول الكبرى بعين الحقيقة والواقع لوجدناهم يعملون ما يشتهون، ويفعلون عكس ما يقولون...

إنهم يقولون أنهم على دين المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) وهذا منهم كذب وافتراء على المسيح عيسى ابن مريم وتعاليمه. لأنه (عليه السلام) لم يأمرهم إلا بالإحسان والعفو، والتسامح والمحبة.

والذي حمل حكام الدول الكبرى والذي يسمونها الآن العظمى على الظلم والطغيان وأفسح أمام هؤلاء الحكام لما يفعلون هم البعض من ملوك وحكام هذه الأيام من العرب والمسلمين، الذين تخلوا عن تعاليم الإسلام العظيمة، وتشريعاته المقدسة، وراحو يلهثون وراء جبابرة حكام هذا الزمان وطواغيته، طمعاً بالمظاهر الخلابة، والألقاب الضخمة، حتى عملوا للسيطرة على الضعفاء، والاستبداد بمقدرات الشعب الكادح. فباعوا دينهم بدنيا غيرهم ولم يراعوا ديناً ولا ضميراً: استحوذ عليهم الشيطان فزين لهم سوء أعمالهم، وأنساهم ذكر الله.

نبذة من قضاء علي بن أبي طالب في عهد عمر

أجمع المؤرخون وأصحاب السير أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يترك فرصة تسمح له بتقديم العون للحكام كلما اعترضتهم مشكلة، أو صعب عليهم حلها إلا بادر إلى شرحها، وبيان ما استعصى عليهم أمرها لأنه (عليه السلام) أوفر القوم علماً وأقومهم قضية... سواء أكان ذلك في زمان خلافة أبي بكر، أو عمر بن الخطاب، مبتغياً في ذلك تركيز دعائم الإسلام، وبيان تشريعاته المقدسة على الأسس الصحيحة. حتى لا يقع أهل الحكم في مخالفة القوانين الشرعية التي شرعها الله سبحانه وتعالى.. وحتى لا يقع الظلم والحيف على غير مستحقيه. يقوم (عليه السلام) بكل هذا طواعية.. وخدمة للدين الحنيف.. لا يمنعه من الإدلاء برأيه مانع.. ولا تأخذه في الله لومة لائم.. وإن كان الجالس على سدة الحكم هو من اغتصب حقه...

أليس علي بن أبي طالب هو أحلم الناس .. وأعلمهم .. وأعدلهم ... وأقضاهم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإجماع ...

ذكر أبو نعيم في حليته أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«يا علي إن الله أمرني أن أدنيك.. واعلمك لتعي - وأنزلت هذه الآية ﴿وتعيها أذن واعية﴾[1] فإنك أذن واعية لعلمي..»[2].

وذكر السيد عبدالله شبر في تفسيره: وتعيها أذن واعية: أي لتحفظها أذن واعية من شأنها أن تعي وتحفظ، وهي أذن علي (عليه السلام) كما رواه العام والخاص[3].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

وعن الإصابة لابن حجر: أن عمر بن الخطاب كان يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن[4].

وقال الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود: «شاء الله لهذا الشاب - علي بن أبي طالب - أن يسد نقصاً في ناحية من خصمه السياسي الثاني - عمر بن الخطاب - لم يكن يستطيع أن يسده سواه... ولندع لابن الخطاب بيان خطر المهمة التي اضطلع بها عنه خصمه بأن نسمعه يقول كلماته البعيدة المعنى، القليلة الألفاظ: «لولا علي لهلك عمر».

ويتابع الأستاذ عبد الفتاح: قوله: هذا جماع رأي رجل يدين بمستقبله الروحي كله لآخر...

لم يكن عمر بالذي يلقي القول بأنه يجامل، ولو جامل لأبعد عن نطاق لين ألفاظه مثل ابن أبي طالب...

ولكنه في خلال زمان قصير من صدر خلافته علم من علي ما لم يكن قد علمه، أو أقر له به بعد كتمان، فعرف له بعد تجربة أي نوع فذ

---

(١) سورة الحاقة - آية - ١٢.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني: ج - ١ - ص - ٦٧.

(٣) تفسير القرآن الكريم: للسيد عبدالله شبر.

(٤) الإصابة لابن حجر العسقلاني: ج - ٢ - ص - ٥٠٩.

في الرجال كان . . . واتسع مكان الصدارة من مجلس عمر لذلك الذي كاد في ذات يوم أن يشعل عليه داره، ويجعله وآله للحطب طعاماً! . .

أجل قد كان ـ عمر ـ يعني القول ويعلمه حق علمه، فقد جنبه هذا الشاب ـ علي ـ الذي افتات مع قريش، على حقه، كثيراً من مواطن الزلل في أمور دينه فضلاً عن تسديده خطأه في كثير من أمور دنياه . . .

واستطاع علي في فترة قصيرة أن يكون الرائد الأول لابن الخطاب إلى الحق الأبلج كلما اشتبهت عليه الأمور، وتعددت مسالك الآراء.

وجلس ـ علي ـ منه بحكمته المستقاة من نبي الله في صدارة المشيرين عليه. . بل هو قد غلب عليهم أجمعين، وسلبهم الألسن إذا نطق وإن لم يسلبهم السمع وحسن الإصغاء، وأصبحوا أمامه طلاب العلم الراغبين في التزود من نبعه، لا ينطقون لأنهم ينقصهم أن يوفوا مثله على الإحسان، أو لأنهم يحرصون أمامه على التزام الصمت والإنصات، إذ هما طريق الصواب كما تبينوا من قول ابن الخطاب:

«لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر. ».

ويروي الأستاذ عبد الفتاح أيضاً: كان ذات يوم جلس فيه عمر إلى الناس بمجلس القضاء. وتقدمت له امرأة أبى القوم إلا أن يلحقوا بها الخزي. . سألهم عمر. . فأجابوه:

إنها ولدت لستة أشهر. . .

فأحرقها عمر بنظراته الغضبى. . وارتفع بصره الملتهب منها إلى الوليد الموسوم بميسم السفاح، وارتعدت الأرض تحت قدمي الأم المتهمة، حتى ودت لو انشقت الأرض عنها، ثم أطبقت شقيها فاستراحت من عناء ما تلقى من هيبة الرجل، وفي موقف كهذا أصاب امرأة حاملاً من خوف عمر ما جعلها تلقي ما في بطنها وتجهض جنيناً ميتاً. .

وأغضى عمر عابساً برهة ينكث فيها الأرض بدرته، فلما رفع ثانية رأسه، كانت الكلمة الرهيبة التي ندت عن شفتيه:

«ارجموها. . !».

على أنه لم يكد يلفظ آخر حروف هذا القصاص الرهيب حتى أحس يداً على منكبه تمسك به، فتلفت صوب صاحبها يهمس: «ما وراءك يا أبا الحسن»؟. .

فقال له علي في صوت ثبت رصين:
لا تفعل!. . فلو خاصمتك المرأة بكتاب الله لخصمتك. .
فارتاع عمر، وارتد وجهه حالكاً.
وراح علي يتم حديثه:

«إن الله تعالى يقول: وحمله وفصاله ثلاثون شهراً. ويقول جل قائلاً: والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة. . فإذا تممت المرأة الرضاعة، وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً، كان الحمل ستة أشهر. .».

فخلى عمر سبيل المرأة في التو. وصار هذا الحكم تشريعاً باقياً على الزمان.

وبمثل هذه البديهة اللماحة، والذهن اليقظ كان علي يهب عونه لعمر ويبصره في أكثر الأحايين بمواطن خطئه. لا يقصر الإرشاد على النواحي الفقهية التي لم يستوعبها مثله أحد من صحب رسول الله في أعلام الإسلام، بل جرى شوطه في كل الميادين، وأدلى بآراء عقمت العقول عنها لولاه[1].

روى الشيخ المفيد في إرشاده أنه: أتي بحامل قد زنت فأمر - عمر - برجمها، فقال له علي: هب أن لك سبيلاً عليها، أي سبيل لك

(١) الإمام علي بن أبي طالب: ج - ١ - ص - ٢٢٧ - ٢٢٨.

على ما في بطنها؟.. والله تعالى يقول: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[1].

فقال عمر: لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن...

ثم قال: فما أصنع بها...؟

قال ـ علي ـ: احتط عليها حتى تلد، فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله، فأقم عليها الحد.

فسرى بذلك عن عمر وعول الحكم به على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وفي الإرشاد أيضاً: أن قدامة بن مظعون شرب الخمر، فاراد عمر بن الخطاب أن يحده، فقال له قدامة: أنه لا يجب عليَّ الحد لأن الله تعالى يقول: **﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾**[2]...

فدرأ عمر عنه الحد.

فبلغ علي (عليه السلام) ذلك، فمشى إلى عمر فقال له: لما تركت إقامة الحد.. على قدامة.. في شرب الخمر..؟

فقال ـ عمر ـ: إنه تلا علي الآية... وتلاها عمر.

فقال علي (عليه السلام): ليس قدامة من أهل هذه الآية، ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرم الله تعالى. ـ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلون حراماً، فأردد قدامة، واستتبه مما قال، فإن تاب فأقم عليه الحد، وإن لم يتب، فاقتله.. فقد خرج عن الملة.. فاستيقظ عمر لذلك.

---

(١) سورة الأنعام ـ آية ـ ١٦٤.

(٢) سورة المائدة ـ آية ـ ٩٣.

وعرف قدامة الخبر، فأظهر التوبة والاقلاع، فدرأ عمر عنه القتل. ولم يدر كيف يحده.

فقال عمر لعلي (عليه السلام): أشر علي في حده؟

فقال علي: حده ثمانين.. إن شارب الخمر إذا شربها سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى..

فجلد عمر ـ قدامة ـ ثمانين ـ جلدة ـ وصار إلى قوله في ذلك.

وفي الإرشاد أيضاً: روي أن مجنونة على عهد عمر بن الخطاب، فجر بها رجل، فقامت البينة عليها بذلك. فأمر عمر بجلدها الحد.

فمرَّ بها علي بن أبي طالب لتجلد، فقال: ما بال مجنونة آل فلان تعتل...؟!

فقيل له: إن رجلاً فجر بها وهرب، وقامت البينة عليها، فأمر عمر بجلدها.

فقال لهم علي: ردوها إليه، وقولوا له: أما علمت أن هذه مجنونة آل فلان، وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: «رفع القلم عن المجنون حتى يفيق» إنها مغلوبة على عقلها ونفسها.

فردت إلى عمر، وقيل له ما قال له علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فقال عمر: فرج الله عنه... لقد كدت أن أهلك في جلدها.. فدرأ عنها الحد[1].

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ص- ١٠٩.

من أقضية علي في عهد عمر

روى ابن شهرآشوب في مناقبه: أن امرأتين تنازعتا في عهد ـ عمر بن الخطاب ـ على طفل. ادعت كل واحدة منهما أنه ولداً لها، بغير بينة... فغم على عمر وفزع فيه إلى علي بن أبي طالب.

فاستدعى ـ علي ـ المرأتين، ووعظهما، وخوفهما. فأقامتا على التنازع.

فقال علي (عليه السلام): إئتوني بمنشار...

فقالتا: ما تصنع به؟...

قال: أقدُّه نصفين، لكل واحدة منكما نصفه..

فسكتت إحداهما، وقالت الأخرى: الله الله يا أبا الحسن... إن كان لا بد من ذلك، فقد سمحت لها به...

فقال: الله أكبر.. هذا ابنك دونها.. ولو كان ابنها لرقَّت عليه وأشفقت. فاعترفت الأخرى بأن الولد لها دونها.

وفي المناقب أيضاً: عن قيس بن الربيع عن جابر الجعفي، عن تميم بن حزام الأسدي أنه دُفع إلى عمر بن الخطاب منازعة جاريتين تنازعتا في ابن وبنت..

فقال عمر: أين أبو الحسن؟.. مفرج الكرب.
فدعي له به، فقص عليه القصة...

فدعا علي (عليه السلام) بقارورتين فوزنهما. ثم أمر كل واحدة فحلبت في قارورة، ووزن القارورتين، فرجحت إحداهما على الأخرى.

فقال علي: الابن للتي لبنها أرجح، والبنت للتي لبنها أخف.
فقال عمر: من أين قلت ذلك يا أبا الحسن؟!

فقال علي: لأن الله جعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وقد جعلت الأطباء ذلك أساساً في الاستدلال على الذكر والأنثى[1].

وروى الشيخ المفيد في إرشاده: استدعى عمر بن الخطاب امرأة كانت تتحدث عندها الرجال، فلما جاءها رسله فزعت وارتاعت، وخرجت معهم، فأملصت[2] ووقع إلى الأرض ولدها، يستهل، ثم مات.

فبلغ عمر ذلك، فجمع أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسألهم عن الحكم في ذلك. فقالوا بأجمعهم: نراك مؤدباً.. ولم ترد إلا خير، ولا شيء عليك في ذلك..

وكان علي بن أبي طالب جالساً لا يتكلم في ذلك.
فقال له عمر: ما عندك في هذا يا أبا الحسن...؟
فقال - علي - قد سمعت ما قالوا...
قال - عمر - : فما عندك؟
قال - علي - : قد قال القوم ما سمعت..
قال - عمر - : أقسمت عليك لتقولن ما عندك...

قال - علي : إن كان القوم قاربوك فقد غشوك، وإن كانوا ارتأوا

---

(١) المناقب لابن شهر اشوب: ج - ٢ - ص - ٣٦٧.
(٢) أملصت الحامل: أسقطت ولدها، فهي مملص - المنجد في اللغة.

فقد قصروا.. الدية على عاقلتك، لأن قتل الصبي خطأ تعلق بك.

«فقال ـ عمر: أنت والله نصحتني من بينهم. والله لا تبرح حتى تجري الدية على بني عدي. ففعل ذلك علي بن أبي طالب[1].

أقول: وهكذا كان عمر بن الخطاب يلجأ في كل معضلة تأتيه أو أمر يعترضه إلى علي بن أبي طالب...

وطالما أفتى عمر بن الخطاب بالحكم.. ثم عاد فنقضه. وطالما دفعته الرغبة في الاصلاح إلى سن الشرعة التي يظنها كفيلة بما يريد، فإذا بها لا تلبث أن تتقوض أمام شرعة أعلى وأصح جرت على لسان علي بن أبي طالب.

انطلق عمر في أكثر أحواله يتزود من نصائح علي الذي أقر بحكمته، وفضله. وتخيره من بين صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلجأ إليه في معضلات الأمور فهو من عرفه علماً، وفقهاً، وحصافة رأي.

ولم ينس عمر ما قاله رسول الله (صلوات الله عليه وآله) في علي بن أبي طالب من الناحية القضائية حيث قال غير مرة: «أقضاكم علي».

ولم ينس عمر أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما بعث علياً على قضاء اليمن في أواخر أيامه انطلق لسانه الشريف بالدعوة المباركة له:

«اللهم أهد قلبه وثبت لسانه».

لقد كانت هذه الدعوة خير ضامن لعلي (عليه السلام) بعدل قضائه، وما ينطلق من بين شفتيه من آراء وأحكام..

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ـ ص ـ ١١٠.

لقد استجاب الله سبحانه وتعالى لنبيه دعوته في حق علي...
حتى كان علي يقول: زودتني كلمات النبي الطاهرة بثقة بالغة... وما شككت بعدها في قضاء بين اثنين.

كان عمر بن الخطاب سريع الاندفاع بالحكم فطالما دفعته هذه السرعة إلى مواقف أنكرها من نفسه. وطالما أفتى بالحكم ثم عاد فنقضه إذ يتروى... أو تأتيه الحقيقة من ناصح أعلم منه... أو إنسان جريء يثنيه عن حكمه بحجة بالغة.

فمن ذلك ما روي عنه أنه بينما كان ذات يوم على المنبر أراد أن يسن شرعة تقف من زيادة مهور النساء إلى حد معلوم لا تتعداه، فقال:

لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي إلا ارتجعت ذلك منها...

فإذا بامرأة من بين النساء تنبري له... تقاطعه قائلة:
ما جعل الله ذلك يا عمر!...
إنه سبحانه وتعالى قال في كتابه: ﴿**وآتيتم أحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾[1].

فعجب عمر لنفسه كيف غابت عنه هذه الآية وأكبر المرأة في التفاتها وجرأتها ورباطة جأشها. ولم يستطع بعد هذا الاعتراض إلا أن يسحب شرعته ويجيب صاحبة الاعتراض بما هو أبلغ من الاعتذار.

... كل الناس أفقه من عمر حتى ربات الحجال!... ثم استطرد قائلاً:
ألا تعجبون أيها الناس من إمام أخطأ، وامرأة أصابت.. فاضلت إمامكم ففضلته.

وفي شرح نهج البلاغة أنه ـ مرَّ عمر بن الخطاب يوماً بشاب من

(١) سورة النساء ـ آية ـ ٢٠ .

فتيان الأنصار وهو ظمآن، فاستسقاه فجدح[1] له ماء بعسل.. فلم يشربه، وقال: إن الله تعالى يقول: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾.

فقال له الفتى: إنها ليست لك ولا لأحد من هذه القبيلة اقرأ ما قبلها: ﴿ويوم يُعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾[2].

فقال عمر: صدقت... كل الناس أفقه من عمر...

وفي أعيان الشيعة عن نهج البلاغة أنه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة، وكثرتها، فقال قوم: لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر. وما تصنع الكعبة بالحلي؟

فهمَّ عمر بذلك، وسأل عنه علياً (عليه السلام): فقال ـ علي ـ: إن هذا القرآن أنزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والأموال أربعة. أموال المسلمين، فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفيء فقسمه على مستحقيه. والخمس فوضعه الله حيث وضعه. والصدقات فجعلها الله حيث جعلها. وكان حلي الكعبة فيها يومئذٍ، فتركه على حاله، ولم يخف عنه مكانه، فأقره حيث أقره الله ورسوله.

فقال عمر: لولاك لافتضحنا... وترك الحلي بحاله[3].

---

(١) جدح الماء أي خلطه.

(٢) سورة الأحقاف ـ آية ـ ٢٠.

(٣) أعيان الشيعة: للسيد الأمين: ج ـ ٣ ـ ص ـ ٣٢٦ ـ الطبعة القديمة.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وضع التاريخ الهجري

مما لا جدال فيه من أن علي بن أبي طالب كان متفوقاً على جميع أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي جميع الميادين، فعلاوة على ما تميز به من الشجاعة والإقدام، والتفاني في نصرة الإسلام... وعلاوة على النواحي الفقهية، والقضائية التي لم يستوعبها مثله أحد من أعلام الإسلام... كان عنده الرأي والتدبير.

كان علي (عليه السلام) يدلي بآرائه الصائبة التي عقمت عنها عقول غيره من معاصرين، وذوي النفوذ في أيامه...

وليس بالمستغرب أن يلم علي بن أبي طالب بجميع النواحي العلمية والفكرية فعلمه مستقى من النبي محمد... وهو خريج مدرسته.

لقد فاض علي بن أبي طالب بآرائه السديدة في كثير من الأمور التي لا مجال إلى سردها جميعاً، سواء أكان ذلك في عهد أبي بكر.. أو عمر، أو عثمان، أو في أيام وصول السلطة إليه شخصياً.

ومن آرائه السديدة، وبديهته اللماحة، وذهنه اليقظ اشارته على عمر بن الخطاب في وضع التاريخ الهجري حين دعت الحاجة إليه. والذي بقي على توالي القرون يعمل به.

ولوضع التاريخ الهجري، قصة طريفة ذكرها كثير من المؤرخين وأصحاب السير، والكتاب، منهم الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود حيث يقول:

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يخاصم آخر بدين له عليه، وكان معه صك مكتوب بحلّ به الأداء في شعبان، فلما ألقى الخليفة عمر بصره عليه، بادر يسأل الدائن:

«أي شعبان..؟ أمن هذه السنة، أم التي قبلها، أم التي بعدها؟..».

فأجابه صاحب الصك،.. ولكنه كان ينقصه البرهان، فمن ذا يدري مدى الصدق في قوله ما دامت الكتابة لم تنص صراحة على حقيقة تاريخ الأداء...

وفي الحق لم يكن إهمال النص عن العام الذي يحدد الشهر يمكن إلقاء تبعته على صاحب الدين وحده، لأنه كان خطأ شائعاً بين الناس أجمعين، ما داموا لم يستنبطوا الوسيلة لتحديد الأعوام على وجه ثابت معلوم.

ولعل عمر بن الخطاب وضح لعينيه إذ ذاك هذا النقص، فالتفت إلى صحبه يقول:

«ضعوا للناس شيئاً يعرفون فيه حلول دَينهم».

قال أحدهم:

«نفعل كما تفعل الفرس: فإنهم يؤرخون بملوكهم، كلما هلك ملك أرخوا بولاية من هو بعده».

وقال آخر:

«نؤرخ بتاريخ الروم، من زمان الاسكندر».

وقال ثالث:

«أرخوا من مولد رسول الله».

«بل من مبعثه».

وتضاربت هكذا الآراء، ولم يستقر نقاشهم عند حد، لولا أن جاء علي بن أبي طالب من لدنه بالمعهود من الرأي السديد..

قال ـ علي بن أبي طالب ـ:

«نؤرخ من يوم هاجر رسول الله إلى المدينة من أرض الشرك، فإنه أظهر من المولد والمبعث».

فهتف عمر مصوباً معجباً:

«لا زلت موفقاً يا أبا الحسن».

وبدأت الأعوام من تلك اللحظة بأبرز أحداث هذه الدنيا وأبلغها أثراً في حياة البشر، بهجرة محمد بن عبد الله سيد البشر[1]..

وهكذا كان ابتداء التاريخ الهجري..

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب: الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود: ج ـ ١ ـ ص ـ ٢٢٩.



مقتل عمر بن الخطاب

ذكر الطبري في تاريخه عن المسور بن مخرمة أنه قال: خرج عمر بن الخطاب يوماً يطوف في السوق، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، فقال: يا أمير المؤمنين، أعدني -أي أعني وانصرني- على المغيرة بن شعبة، فإن علي خراجاً كثيراً.

قال عمر: وكم خراجك؟

قال -أبو لؤلؤة-: درهمان في كل يوم.

قال -عمر-: وأيش صناعتك؟

قال -أبو لؤلؤة-: نجار، نقاش، حداد.

قال -عمر-: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال.... قد بلغني أنك تقول: لو أردت أن أعمل رحى تطحن بالريح فعلت.

قال -أبو لؤلؤة-: نعم.

قال -عمر-: فاعمل لي رحىً..

قال -أبو لؤلؤة-: لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب، ثم انصرف عنه.

فقال عمر رضي الله عنه: لقد توعدني[1] العبد آنفاً... ثم انصرف عمر إلى منزله[2].

ويدعي المؤرخون كما في الطبري وغيره أن كعب الأحبار جاء إلى عمر بن الخطاب وقال له: يا أمير المؤمنين أعهد، فإنك ميت في ثلاثة أيام.

قال ـ عمر ـ: وما يدريك؟

قال ـ كعب ـ: أجده في كتاب الله عز وجل التوراة.

قال عمر: آلله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟

قال ـ كعب ـ: اللهم لا... ولكني أجد صفتك وحليتك، وأنه قد فني أجلك... وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً.

فلما كان من الغد جاءه كعب، فقال: يا أمير المؤمنين، ذهب يوم وبقي يومان.

ثم جاءه من غد الغد، فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبيحتها.

فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة، وكان يوكل بالصفوف رجالاً، فإذا استوت جاء هو فكبر.

وتقول المرويات: دخل أبو لؤلؤة في الناس، في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات، احداهن تحت صرته، وهي التي قتلته، وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي، وكان خلفه. وقتل جماعة غيره.

وجاء في تاريخ ابن الأثير: فلما وجد عمر حر السلاح سقط، وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس، وعمر طريح، فاحتمل فأدخل بيته،

---

(١) وفي ابن الأثير ـ والنويري: أوعدني.

(٢) تاريخ الطبري: ج ـ ٤ ـ ص ـ ١٩١.

ودعا عبد الرحمن فقال له: إني أريد أن أعهد إليك، قال: أتشير علي بذلك؟

قال ـ عمر ـ: اللهم لا.

قال عبد الرحمن: والله لا أدخل فيه أبداً...

قال ـ عمر ـ: فهبني صمتاً حتى أعهد إلى النفر الذين تُوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو عنهم راض[1].

وذكر ابن سعد في طبقاته: أنه لما قتل عمر انطلق ولده عبيد الله بن عمر ومعه السيف، حتى أتى الهرمزان فدعاه إليه. فلما خرج إليه قال له: انطلق معي حتى ننظر إلى فرس لي...

وتأخر عبيد الله عنه حتى إذا مضى ـ الهرمزان ـ بين يديه علاه بالسيف...

قال عبيد الله: فلما وجد ـ الهرمزان ـ حرَّ السيف قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثم دعا عبيد الله بن عمر جفينة، وكان ظئراً لسعد بن أبي وقاص، أقدمه المدينة، وكان يعلم الكتاب بالمدينة. فقتله عبيد الله.

ثم انطلق عبيد الله فقتل ابنة لأبي لؤلؤة صغيرة تدعي الإسلام. وأراد عبيد الله أن لا يترك سبياً بالمدينة إلا قتله فاجتمع المهاجرون الأولون عليه فنهوه وتوعدوه، فقال: والله لأقتلنهم وغيرهم.. وعرّض ببعض المهاجرين.

وذكر الطبري في تاريخه أن عمر بن الخطاب قال لابنه عبدالله: يا عبدالله بن عمر اذهب إلى عائشة فسلها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبي بكر...

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ ٣ ـ ص ـ ٢٧.

ثم قال: يا عبدالله إئذن للناس... فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار، فيسلمون عليه، ويقول لهم: أعن ملأ منكم كان هذا؟ فيقولون: معاذ الله!..

ودخل في الناس كعب، فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول:

فأوعدني كعب ثلاثا أعدها ولا شك أن القول ما قال لي كعب
وما بي حذار الموت إني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

فقيل له: لو دعوت الطبيب؟..

فدعي طبيب من بني الحارث بن كعب، فسقاه نبيذاً.. فخرج النبيذ مشكلا.

قال: فاسقوه لبناً.. فخرج اللبن محضاً... ثم تُوفي - عمر - ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين. فخرجوا به بكرة يوم الأربعاء، فدفن في بيت عائشة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأبي بكر... وتقدم صهيب فصلى عليه...

وفي تاريخ اليعقوبي: كانت سني عمر يوم توفي ثلاثاً وستين سنة، وقيل: أربعاً وخمسين سنة. وكانت ولايته عشر سنين وثمانية أشهر. ودفن عمر إلى جانب أبي بكر.

وفي مروج الذهب للمسعودي: كان له من الولد: عبد الله، وحفصة زوج النبي(صلّى الله عليه وآله)، وعاصم، وعبد الله، وزيد من أم، وعبد الرحمن وفاطمة، وبنات أخر، وعبد الرحمن الأصغر - وهو المحدود في الشراب، وهو المعروف بأبي شحمة - من أم.

بعض من سيرة سلمان الفارسي وتاريخ وفاته

المشهور أن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) كان والياً ـ عاملاً ـ لعمر بن الخطاب على المدائن في العراق وقد تُوفي فيها أيام خلافته. وقد تقدم الكلام في الجزء الأول من هذا الكتاب صفحة ـ ٢٣٣ ـ ذكر قصة سلمان وكيفية إسلامه. وما لاقاه من المصاعب والمتاعب...

وإتماماً للفائدة نذكر الآن لمحة موجزة عن حروبه وجهاده في سبيل الإسلام مع الإشارة إلى زهده وتقواه حتى اختاره الله سبحانه وتعالى إلى جواره .

ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه: سلمان الفارسي، يكنى أبا عبدالله من أهل مدينة أصبهان ويقال من رامهرمز أسلم في السنة الأولى من الهجرة، وأول مشهد شهده مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الخندق، وإنما منعه عن حضور ما قبل ذلك أنه كان مسترقاً لقوم من اليهود وكاتبهم. وأدى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتابته، وعتق . ولم يزل بالمدينة حتى غزا المسلمون العراق فخرج معهم وحضر فتح المدائن ونزلها حتى مات بها وقبره الآن ظاهر معروف بقرب إيوان كسرى عليه بناء.

وفي تاريخ البغدادي أيضاً: عن محمد بن سعد أنه قال: سلمان

الفارسي يكنى أبا عبدالله أسلم عند قدوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة، وكان قبل ذلك يقرأ الكتب، ويطلب الدين. وكان عبداً لقوم من بني قريظة فكاتبهم، فادى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتابته، وعتق، فهو إلى بني هاشم.

وفي تاريخ البغدادي عن أبي نعيم الحافظ عن أبي كثير بن عبدالله بن سلمان الفارسي عن أبيه عن جده: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أملى كتاب العتق على علي بن أبي طالب: «هذا ما فادى محمد بن عبدالله رسول الله فدى سلمان الفارسي من عثمان بن الأشهل اليهودي ثم القرظي، بغرس ثلثمائة نخلة وأربعين أوقية ذهباً، وقد برىء محمد بن عبدالله رسول الله لثمن سلمان الفارسي وولاؤه لمحمد بن عبدالله رسول الله وأهل بيته، فليس لأحد على سلمان سبيل». شهد على ذلك: أبو بكر. . عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب، حذيفة بن اليمان، أبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، بلال مولى أبي بكر، عبد الرحمن بن عوف. وكتب علي بن أبي طالب يوم الاثنين في جمادى الأولى من سنة مهاجر محمد بن عبدالله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفي تاريخ البغدادي أيضاً: عن أبي نعيم الحافظ: يقول أهل العلم: عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة. فأما مائتين وخمسين سنة فلا يشكون فيه. وكان من المعمرين. قيل أنه أدرك وصي عيسى ابن مريم، وأعطي علم الأول والاخر، وقرأ الكتابين. وتوفي في خلافة عمر، وقيل: في خلافة عثمان والله العالم.

لم يقعد سلمان عن الجهاد طيلة حياته فقد شارك في حروب كثيرة. ذكر أحمد في مسنده عن أبي البختري أنه قال: حاصر سلمان الفارسي قصراً من قصور فارس فقال له أصحابه: يا أبا عبدالله ألا تنهد إليهم؟ قال: لا حتى أدعوهم كما يدعوهم رسول الله. فأتاهم فكلمهم قال: أنا رجل فارسي وأنا منكم والعرب يطيعونني فاختاروا

أحـد ثـلاث : أمـا أن تسلمـوا وأمـا أن تعـطوا الجـزيـة عن يـد وأنتم صاغرون غير محمودين. وأما أن ننابذكم فنقاتلكم. قالوا: لا نسلم ولا نعطي الجزية ولكنا ننابذكم: فرجع سلمان إلى أصحابه قالوا: ألا ننهد إليهم؟ قال: لا. . ودعاهم ثلاثة أيام فلم يقبلوا فقاتلهم ففتحها. وأما الطبري فيقول كان السفير إلى أهل فارس سلمان وكان رائد المسلمين سلمان، وكان المسلمون قد جعلوه داعية أهل فارس وقد كانوا أمروه بدعاء أهل بهرسير وأمروه يوم القصر الأبيض. وكان سلمان على جانب عظيم من الزهد والتقشف فكان يسف الخوص ويبيعه ويأكل منه وهو أمير المدائن. ودخل رجل عليه يوماً فلم يجد في بيته إلا سيفاً ومصحفاً، فقال له: ما في بيتك إلا ما أرى؟! قال إن أمامنا عقبة كـؤودا. . . وقيل أنه وقع الحريق فأخـذ سلمان سيفـه ومصحفه وقـال: هكذا ينجـو المخفون.



وقفة تأمل حول مقتل عمر بن الخطاب

بعدما ذكرنا قصة مقتل الخليفة عمر على يد أبي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة كما رواها المؤرخون وأصحاب السير، لا بد لنا من وقفة تأمل لتتضح لنا الأسباب التي دفعت هذا العبد على ارتكاب جريمته المنكرة. . .

أقول: من المستبعد أن يكون أبو لؤلؤة أقدم على قتل عمر صاحب السلطان المهاب في ذلك الوقت لمجرد أنه شكى مولاه المغيرة بن شعبة واستنصر عمر عليه وأنه يأخذ منه درهمين في اليوم ويرهقه بهذه الضريبة، ولم يستجب عمر لشكايته. . .

هذه القضية البسيطة لا تكون العامل الأساسي الوحيد أو السبب الوجيه في قتل رجل عظيم مثل عمر. . .

لو أخذنا بعين الاعتبار هذه المسألة لاتضح لنا بكل بساطة أنها غير جديرة بالاقناع بالشكل الذي رواه المؤرخون، لأنه لو كان الخراج الذي على أبي لؤلؤة هو العامل الوحيد لكان الأولى به أن يقتل مولاه المغيرة الذي يأخذ منه هذا الخراج. . . لا أن يقتل الخليفة عمر.

والذي يُستنتج من تتبع الأحداث الاجتماعية في ذلك الوقت، أن

هناك عوامل وأسباب ـ غير الضريبة أو الخراج ساعدت وشجعت بل دعمت أبا لؤلؤة ودفعته على ارتكاب الجريمة من قتل عمر. . .

ومن جملة العوامل أو الأسباب تبرم أهل الأطماع والنفوذ، وأهل النفوس الشريرة، أمثال المغيرة بن شعبة مولى أبي لؤلؤة ـ فيروز ـ وأبي سفيان بن حرب الأموي الزعيم القرشي في الجاهلية. وسعد بن أبي وقاص الزهري، وطلحة بن عبيد الله التيمي، وعمرو بن العاص الداهية وغيرهم الكثير من الذين في قلوبهم مرض. . .

أما المغيرة بن شعبة وهو المالك لأبي لؤلؤة والذي سعى جهده لدى الخليفة عمر ليسمح له بالدخول إلى المدينة بعد أن كان عمر قد أصدر أمراً بعدم دخول السبي إلى مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

كانت مراجل الحقد تغلي في صدر المغيرة على عمر لأنه عزله عن ولاية البصرة بعد أن جعله والياً عليها عندما نُمي إلى عمر بأن والي البصرة المغيرة قد ارتكب جريمة الزنا بشهادة الشهود. . . فعزله ولم يقم الحد عليه بحجة أن شهادة الرابع لم تكن شهادة صريحة واضحة. وهذا ما جعل عمر يدرأ الحد عن المغيرة.

وتقول المرويات: أن عمر كان كلما رأى المغيرة بعد ذلك يقول له: تعنيفاً وتأنيباً: «كلما رأيتك خفت أن يرجمني الله بحجارة من السماء» تذكيراً له بفعلته الشنعاء وهي الزنا.

وكان عمر يقول للمغيرة كلما لقيه: والله لا أظن أبا بكرة قد كذب عليك. . . وأبو بكرة هذا هو الذي رأى المغيرة على الرقطاء في البصرة وأشهد عليه ثلاثة من الشهود. وكان المغيرة معروفاً بالزنا والفحشاء بين المسلمين[1].

---

(١) في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ان المغيرة بن شعبة وحرير بن عبدالله البجلي والأشعث بن قيس كانوا قد اجتمعوا بالكناسة يوماً، فطلع عليهم أعرابي لا يعرفهم ولا =

فلهذا وغيره من الأسباب كان المغيرة يحقد على عمر، ويكن له في نفسه كل مكروه.. لكنه لم يكن ليجرأ على التصريح بذلك خوفاً من بطش عمر وسطوته.

وأما أبوسفيان بن حرب الذي كان ينظر إلى عمر بن الخطاب بأنه كان دونه مرتبة في الجاهلية... فليس من السهل عليه أن يجلس في حضرة عمر خافض الرأس يتلقى الأوامر ويجب عليه أن يسمع ويطيع. مع العلم أن أبا سفيان وهو زعيم بني أمية يرى أن بني أمية خيراً من بني عَدي القبيلة التي هي من قبائل قريش بالمرتبة الأخيرة فكيف يرضى أن يبسط عمر بن الخطاب سلطانه عليه.

وأما سعد بن أبي وقاص الزهري فإنه لم يكن على صلة جيدة، ومودة حسنة بعمر بن الخطاب فلا يبعد أن يكون له ضلع في المؤامرة لاشتراك جفينة غلامه بالجريمة فقد ذكر ابن سعد في طبقاته عن سعيد بن المسيب: أن عبد الرحمن بن أبي بكر حين قُتل عمر قال: قد مررت على أبي لؤلؤة قاتل عمر ومعه جفينة والهرمزان وهم نجيٌّ ـ يتشاورون ـ فلما بغتهم ثاروا، فسقط من بينهم خنجر له رأسان ونصابه وسطه، فانظروا ما الخنجر الذي قتل به عمر.. فنظروا فوجدوه الخنجر الذي نعت عبد الرحمن بن أبي بكر...

وأما طلحة بن عبيد الله فقد ذكر المؤرخون أنه كان يكره عمر، وبين الرجلين عداء مستحكم يدلنا على هذا ما دار بين أبي بكر وطلحة حينما أراد أبو بكر أن يستخلف عمر بن الخطاب على المسلمين.

تقول الروايات أن طلحة دخل على أبي بكر حينما نمي إليه خبر وصية أبي بكر واستخلافه عمر بن الخطاب...

= يعرفونه، فقال لهم المغيرة: دعوني أحركه، فقالوا: لا تفعل فإن للأعراب جواباً يؤثر، فأصر على التحرش به وقال: يا أعرابي، أتعرف المغيرة بن شعبة، قال: نعم أعور، زاني، يرجم، ويجلد...، ثم سأله عن الأشعث وجرير فوصف كلا منهما بما هو فيه.

فقال طلحة لأبي بكر معارضاً: ما أنت قائل لربك غداً... وقد وليت علينا فظاً غليظاً، تفرق منه النفوس، وتنفض عنه القلوب...

وتقول الروايات: كان عمر كلما شاهد طلحة يقول له: لقد مات رسول الله وهو ساخط عليك يا طلحة، للكلمة التي قلتها يوم نزلت آية الحجاب.

فقد كان طلحة قال على مسمع من عمر وغيره: ما يغني محمد حجابهن ـ أي نساءه ـ وسيموت غداً وننكحهن من بعده.

وأما عمرو بن العاص ذلك الداهية الذي كان ينظر إلى عمر بن الخطاب بأنه ليس بأحسن منه. تقول الروايات أنه كان يردد ويقول: لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر بن الخطاب والله لقد رأيته وأباه على كل واحد منهما عباءة قطوانية لا تتجاوز ركبتيه، وعلى عنقه حزمة حطب... ورأيت العاص بن وائل في مزراة الديباج.. الخ.

وأما كعب الأحبار الذي كان ظاهره الإسلام وباطنه الشرك والنفاق فقد كان على صلة متينة بالمغيرة بن شعبة وجميع المنافقين أمثاله الذين كان لا همَّ لهم إلا الهدم والتخريب.

والظاهر أن كعباً كان على علم بالمؤامرة لذلك نراه جاء إلى عمر بن الخطاب يلبس ثوب العالم بالغيب، النافذ البصيرة، ليلقي إليه حديثه المزعوم، من أنه رأى صفته في كتاب التوراة، وأنه ميت بعد ثلاثة أيام إلى آخر ما هنالك من الأضاليل.

لقد اتفق في تلك الفترة من الزمن المنافقون من أصحاب الغايات الذين لم يكن لهم من هم إلا تمزيق الإسلام وتشتيته. ومن غير المستبعد أن يكون من ذكرنا وغيرهم من الذين ضيق عليهم عمر، وضاقوا به ذرعاً، ولم تتسع صدورهم لصلابته وشدته، وفرض الرقابة عليهم وعلى تصرفاتهم قد اجتمعوا على تدبير المؤامرة.

علاوة على ذلك أن عمر كان ظاهراً بالتقشف والزهد، والعطف على الفقراء والعدل، ويحاسب الولاة على ما كان يبدر منهم من التصرف، حتى أصبح محبوه يذكرونه بالخليفة العادل. وعلاوة على هذا أيضاً: بلغ عمر من السلطة والهيبة حتى كان يخشاه القاصي والداني.

وخلاصة القول: أن الحقيقة هي ما كان لعبد مملوك أمثال أبي لؤلؤة في تلك الفترة من تاريخ المسلمين أن يقدم على جريمة تهتز لها الدولة التي دانت لها رقاع واسعة من الأقطار لمجرد أنه لم يتوسط له مع مولاه بتخفيف الخراج عنه كما يدعي المؤرخون.

كلا وألف كلا... إننا لو نظرنا بعين الحقيقة والواقع لوجدنا أن وراء أبي لؤلؤة جماعة من المنافقين ثقل عليهم وجود عمر في سدة الحكم كما أسلفنا. وكانوا يضمرون له العداء والكراهية وكان عمر بدوره يعاملهم بشدة. وما ضربة أبي لؤلؤة لعمر إلا نتيجة عمل مدروس ومكيدة محكمة.



قصة الشورى

قصة الشورى التي وضعها عمر بن الخطاب من بديهيات التاريخ التي ذكرها جميع المؤرخين ونذكرها الآن كما رواها صاحب شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد المعتزلي حيث قال: «إن عمر بن الخطاب لما طعنه أبو لؤلؤة، وعلم أنه ميت، استشار فيمن يوليه الأمر بعده، فأشير عليه بابنه عبدالله، فقال: لاها الله!.. لا يليها رجلان من ولد الخطاب!.. حسب عمر ما حمل.. حسب عمر ما احتقب.. لاها الله، لا أتحملها حياً وميتاً، ثم قال: إن رسول الله مات وهو راض عن هذه الستة من قريش: علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف.

وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم. ليختاروا لأنفسهم. ثم قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ـ يعني أبا بكر ـ وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ـ يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ.

ثم قال: ادعوهم لي، فدعوهم.. فدخلوا عليه وهو ملقى على فراشه يجود بنفسه.

فنظر إليهم، فقال: أكلكم يطمع في الخلافة بعدي؟..

فوجموا. . فقال لهم ثانية: فأجابه الزبير، وقال: وما الذي يبعدنا منها!. . وليتها أنت فقمت بها، ولسنا دونك في قريش ولا في السابقة، ولا في القرابة.

فقال عمر: أفلا أخبركم عن أنفسكم!. .

قال ـ الزبير ـ: قل، فإنا لو استعفيناك لم تعفنا.

فقال ـ عمر ـ: أما أنت يا زبير. . فوعق لقس[1]، مؤمن الرضا كافر الغضب، يوماً إنسان، ويوماً شيطان، ولعلها لو أفضت ـ الخلافة ـ إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مد من شعير. أفرأيت إن أفضت إليك، فليت شعري، من يكون للناس يوم تكون شيطاناً، ومن يكون يوم تغضب!. . وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة وأنت على هذه الصفة.

ثم أقبل عمر على طلحة، وكان له مبغضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر[2] فقال له: أقول أم أسكت؟

قال ـ طلحة ـ: قل. . فإنك لا تقول من الخير شيئاً.

قال ـ عمر ـ: أما أني أعرفك منذ أصيبت أصبعك يوم أحد وائباً[3] بالذي حدث لك، ولقد مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب[4].

---

(١) الوعق: الضجر المتبرم، واللقس: من لا يستقيم على وجه.

(٢) دخل طلحة على أبي بكر يوم استخلف عمر وقال له: ما أنت قائل لربك وقد وليت علينا فظاً غليظاً، الخ. .

(٣) وائباً: أي غاضباً.

(٤) يقول صاحب شرح النهج: قال شيخنا أبو عثمان الحافظ: الكلمة المذكورة أن طلحة لما أنزلت آية الحجاب، قال بمحضر ممن نقل عنه إلى رسول الله (ص): ما الذي يعنيه حجابهن اليوم، وسيموت غداً فننكحهن قال أبو عثمان أيضاً: لو قال لعمر قائل: أنت قلت أن رسول الله (ص) مات وهو راض عن الستة، فكيف تقول الآن لطلحة أنه مات (عليه السلام) ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها ـ لكان قد رماه =

ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص فقال: إنما أنت صاحب مقنب[1] من هذه المقانب، تقاتل به، وصاحب قنص، وقوس، وأسهم، وما زُهرة[2] والخلافة، وأمور الناس!..

ثم أقبل على عبد الرحمن بن عوف، فقال: وأما أنت يا عبد الرحمن، فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانك به، ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك، وما زُهرة وهذا الأمر. !

ثم أقبل على علي (عليه السلام)، فقال: لله أنت. لولا دعابة فيك، أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح، والمحجة البيضاء.

ثم أقبل على عثمان، فقال: هيها إليك!.. كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب، فذبحوك على فراشك ذبحاً. والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن، ثم أخذ بناصيته، فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي فإنه كائن.

ثم قال ـ عمر ـ: ادعوا إلي أبا طلحة الأنصاري، فدعوه له، فقال: أنظر يا أبا طلحة، إذا عدتم من حفرتي، فكن في خمسين رجلاً من الأنصار، حاملي سيوفكم، فخذ هؤلاء النفر ـ الستة أصحاب الشورى ـ بامضاء الأمر وتعجيله، واجمعهم في بيت، وقف بأصحابك، على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم، فإن اتفق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه، وإن اتفق اربعة، وأبى اثنان فاضرب أعناقهما، وإن اتفق ثلاثة، وخالف ثلاثة، فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن ـ بن

= بمشاقصه ـ والمشقص هو نصل السهم إذا كان طويلاً ـ ولكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا . . . فكيف هذا ؟!

(١) المقنب : جماعة الخيل .

(٢) زهرة : قبيلة سعد بن أبي وقاص وكذلك قبيلة عبد الرحمن بن عوف .

عوف ـ فارجع إلى ما قد اتفقت عليه. فإن أصرَّت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها.

وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر، فاضرب أعناق الستة، ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم[1].

وفي رواية الطبري: أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: يا أمير المؤمنين، لو استخلفت.

قال: من استخلف؟.. لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: «إنه أمين هذه الأمة».

ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: «إن سالماً شديد الحب لله».

وفي الطبري أيضاً: قال عمر بن الخطاب لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة، إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار، فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم.

وقال عمر أيضاً للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم.

وقال عمر لصهيب: صلِّ بالناس ثلاثة أيام.

وقال للمقداد أيضاً: أدخل علياً، وعثمان، والزبير، وسعداً، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة إن قدم، وأحضر عبدالله بن عمر ولا شيء له من الأمر. وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه ـ أو اضرب رأسه بالسيف ـ وإن اتفق أربعة ورضوا رجلاً منهم وأبى اثنان، فاضرب رأسيهما فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم، فحكموا عبدالله بن عمر فأي الفريقين حكم له

(١) شرح نهج البلاغة لابن الحديد: ج ـ ١ ـ ص ـ ١٨٧.

فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس.

فخرجوا، فقال علي بن أبي طالب لقوم كانوا معه من بني هاشم: ان أطيع فيكم قومكم لم تؤمَّروا أبداً.

وتلقاه العباس، فقال له ـ علي ـ: عدلت عنا!..

فقال له العباس ـ عمه ـ وما علمك؟

فقال علي: قُرن بي عثمان.. وقال ـ عمر ـ: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلاً، ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن، وعبد الرحمن صهر عثمان، لا يختلفون، فيوليها عبد الرحمن عثمان، أو يوليها عثمان عبد الرحمن فلو كان الآخران معي لم ينفعاني، بله اني لا أرجو إلا أحدهما.

فقال له العباس: لم أرفعك في شيء إلا رجعت إلي مستأخراً بما أكره.

أشرت عليك عند وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أن تسأله فيمن هذا الأمر، فأبيت. وأشرت عليك أيضاً: بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن تعاجل الأمر فأبيت... وأشرت عليك حين سماك عمر في الشورى ألا تدخل معهم.. فأبيت. إحفظ عني واحدة، كلما عرض عليك القوم، فقل: لا، إلا أن يولوك، واحذر هؤلاء الرهط، فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا، وأيم الله لا يناله[1] إلا بشر لا ينفع معه خير[2].

---

(١) وفي نسخة: لا تناله.

(٢) تاريخ الطبري: ج ـ ٤ ـ ص ـ ٢٣٠.

ذكر صاحب شرح النهج أنه «لما دفن عمر بن الخطاب: جمعهم أبو طلحة، ووقف على باب البيت بالسيف في خمسين من الأنصار، حاملي سيوفهم، ثم تكلم القوم وتنازعوا. . .

فأول ما عمل طلحة أنه أشهدهم على نفسه أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان، وذلك لعلمه أن الناس لا يعدلون به علياً وعثمان، وأن الخلافة لا تخلص له وهذان موجودان، فأراد تقوية أمر عثمان واضعاف جانب علي (عليه السلام)، بهبة أمر لا انتفاع له به، ولا تمكن له منه.

فقال الزبير في معارضته: وأنا أشهدكم على نفسي أني قد وهبت حقي من الشورى لعلي، وإنما فعل ذلك لأنه لما رأى علياً قد ضعف بهبة طلحة حقه لعثمان، دخلته حمية النسب، لِأنه ابن عمة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) - وهي صفية بنت عبد المطلب، وأبو طالب خاله.

وإنما مال طلحة إلى عثمان لانحرافه عن علي (عليه السلام) باعتبار أنه تيمي، وابن عم أبي بكر الصديق، وقد كان حصل في نفوس بني هاشم من بني تيم حنق شديد لأجل الخلافة، وكذلك صار في صدور تيم على بني هاشم. وهذا أمر مركوز في طبيعة البشر، وخصوصاً طينة العرب وطباعها. فبقي من الستة أربعة.

فقال سعد بن أبي وقاص: وأنا قد وهبت حقي من الشورى لابن عمي عبد الرحمن - وذلك لأنهما من بني زُهرة، ولعلم سعد أن الأمر لا يتم له - فلما لم يبق إلا الثلاثة. . .

قال عبد الرحمن لعلي وعثمان: أيكما يخرج نفسه من الخلافة، ويكون إليه الاختيار في الاثنين الباقيين؟ فلم يتكلم منهما أحد.

فقال عبد الرحمن: أشهدكم أنني قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن أختار أحدهما، فأمسكا. . .

فبدأ ـ عبد الرحمن ـ بعلي (عليه السلام)، وقال له: أبايعك على كتاب الله، وسنة رسول الله وسيرة الشيخين.. أبي بكر وعمر.

فقال له ـ علي ـ بل على كتاب الله، وسنة رسوله، واجتهاد رأي.

فعدل ـ عبد الرحمن إلى عثمان، فعرض ذلك عليه...

فقال عثمان: نعم...

فعاد عبد الرحمن إلى علي (عليه السلام)، فأعاد قوله...

فعل ذلك عبد الرحمن ثلاثاً، فلما رأى أن علياً غير راجع عما قاله، وأن عثمان ينعم له[1] بالإجابة، صفق على يد عثمان وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

فيقال: أن علياً (عليه السلام) قال له: والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه... دق الله بينكما عطر منشم»[2].

ويُروى أيضاً: أن علي بن أبي طالب الذي هُضم حقه من خلافة المسلمين، فإنه بعدما صفق عبد الرحمن بن عوف على يد عثمان وافرغ له البيعة وقف وهو يقول:

«سيبلغ الكتاب أجله».

ثم أن علياً (عليه السلام) قال لعبد الرحمن: «حبوته حبو دهر».

ثم قال: «والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك..».

ثم التفت علي (عليه السلام) نحو قريش المتألبة الأحقاد عليه وقال لهم متألماً:

---

(١) أنعم له: إذا قال مجيباً (نعم).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ١ ـ ص ـ ١٨٧ ـ ١٨٨.

عطر منشم: قال الأصمعي: منشم بكسر الشين: اسم امرأة كانت بمكة عطارة، وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم، فكان يقال: أشأم من عطر منشم. فصار مثلاً. صحاح الجوهري ـ ٥ ـ ٢٠٤١.

«ليس هذا بأول يوم تضاهرتم فيه علينا... فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون» ثم وقف علي ليبين للناس بمنطقه السليم الذي اعتاده أن يخاطب الناس به وليكشف لهم الخط الذي سيمضي عليه في عهد عثمان، وأنه لا يهمه إلا رضى الله والمحافظة على الشريعة الإسلامية والعمل لمصلحة المسلمين.

قال (عليه السلام): أيها الناس لقد علمتم أني أحق الناس بهذا الأمر من غيري...

أما وقد انتهى الأمر إلى ما ترون... فوالله لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين... ولم يكن جور إلا علي خاصة... التماساً لأجر ذلك، وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه... الخ.

وهكذا نرى أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مضى في السبيل الذي اختاره لنفسه ، وبايع لعثمان بأبسط ما يكون بعد أن كان في مقدوره أن يرفض البيعة ولو فعل لوجد أنصاراً كثيرين وكلهم ذو سابقة في الإسلام .

لكن علياً آثر مصلحة المسلمين وعدم تفرقتهم، وسلامة الإسلام على مصلحة نفسه. وراح يعمل ما وسعه العمل في سبيل الإسلام، والصالح العام. لا يبخل على أحد بآرائه ونصحه كما كان من قبل في عهد أبي بكر وعمر.

لكن ثالث الخلفاء عثمان الأموي أبى هو والمحدقون به من بني أمية وغيرهم إلا أن يسيروا طبق هواهم، وحبهم لذاتهم... فاستأثروا بالأموال، والمراكز، وخيرات البلاد والعباد، وكأنها إرث لهم كما وصفهم علي (عليه السلام) في خطبته المعروفة بالشقشقية حيث قال:

«إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع[1].

---

(١) الخضم: أكل بكل الفم، وضده القضم وهو الأكل بأطراف الأسنان ـ راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ١ ـ ص ـ ١٩٧.

عرض وتحليل لقصة الشورى

قصة الشورى قصة جديرة بالبحث، والتحليل والتدقيق، لأن فيها خروج على مبدأ الشورى.. الذي يمليه الوجدان، أو تسنه القوانين...

وفيها أيضاً: تحكم الفرد في الجماعة، إذ يُلزمها أن تتبع رأياً رآه هذا الفرد شخصياً في نفر إختاره وفق تقديره.

وفيها أيضاً: تعسف التسوية، وعدم المساواة بين ستة أشخاص متفاوتي الأهلية، والكفاءة لأمرة المسلمين، والفوارق بينهم ظاهرة عياناً في جميع الميادين.. علماً، وفضلاً، وشجاعة، وسابقة في الإسلام، وتحملاً لأعباء منصب الخلافة الجليل.

وفي الشورى أيضاً: تكتيل للقوى العصبية، وللأحقاد القبلية، التي كانت لا تزال راسخة في أعماق بعض النفوس من قريش.

وفيها أيضاً: علاوة على كل هذا نكوص عن الرأي الصائب الذي كانت تفرضه منذ البدء مصلحة المسلمين لو اتبعوها وأعطوا الحق لأهله بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخلافة.

وإذا تأملنا جيداً نجد أن عمر بن الخطاب قد بنى سياجاً من الفولاذ حول الخلافة لا تستطيع مشيئة المسلمين اجتيازه...

ولئن كان الأصل في الشورى أن يكون للمسلمين حق اختيار الخليفة.. فماذا ترك لهم عمر من حق الاختيار؟!

وأين شورى عمر الشكلية من الشورى الإسلامية الصحيحة ـ أمرهم بينهم شورى ـ ؟!

وفي الحق لو أنصف الحكم لقد كانت الشورى العمرية ضرباً جديداً من العهود.. لا هي بالشورى الحقة.. ولا هي بالوصية الظاهرة.. ولم يكن لها مثيل في الإسلام.. فهي بشكلها الخاص نوع من الاختيار قبل الانتخاب.

لقد سلب الخليفة عمر من المسلمين حق الانتخاب، ونحله نفراً ستة لا يمكننا إلا القول أنه مهما علت أقدارهم لا يملكون إلا ستة آراء من المسلمين فأين الشورى والمساواة بين المسلمين؟!..

وأين الانتخاب وجمع الآراء من بقية الصحابة الأجلاء، المرموقين ذوي العقول الناضجة، والآراء الصائبة، والسابقة في الإسلام؟!..

لكن عمر بن الخطاب لم يلتزم الشورى التي هي بالمعنى الصحيح ـ أمرهم بينهم شورى ـ التي دعت إليها تعاليم الإسلام، ولم يسلم الخلافة لصاحبها الشرعي الذي نص عليه الرسول يوم غدير خم.. بل انتهج نهج صاحبه أبي بكر الخليفة الأول، فكلا الرجلين آثر أن يحول بين شعبه من المسلمين، وبين مزوالة هذا الشعب حق انتخاب واليه.

لنقف في منعطف التاريخ، ونعود قليلاً إلى الماضي حيث نتصور الخليفة عمر بن الخطاب على فراشه طعيناً.. ونستمع إليه وهو يخاطب عبد الرحمن بن عوف الزهري بقوله: إني أريد أن أعهد إليك.. فأجابه: أتشير علي بذلك؟ فقال له عمر: اللهم لا.

وعندما أجابه عبد الرحمن: والله لا أدخل فيه أبداً قال عمر: فهبني صمتاً حتى أعهد إلى النفر الذين تُوفي رسول الله وهو عنهم راض.. وهم

علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وأنت يا عبد الرحمن.

ولو أمعنا النظر نرى أن عمر قد رسم حدود الاختيار للخلافة، وحصرها في ستة نفر كما أسلفنا.

ومع ذلك فإن كل باحث منصف لا يستطيع إلا أن يقول: أن عمر بن الخطاب حدد موقفه من علي بن أبي طالب غاية التحديد، وقطع بالتلميح دون التصريح الطريق على علي بن أبي طالب كي لا يصل إلى خلافة المسلمين التي هي حقه الشرعي.

إن عمر بن الخطاب وإن لم يناد صراحة باقصاء علي عن الخلافة ولكن وضعه إياه مع أولئك الخمسة الآخرين على السواء.. هو تصريح واضح منه بأن علياً لا يبزهم ولا يعلو عليهم مرتبة في الشأن الذي اختيروا له ـ الخلافة ـ وهذا منتهى الظلم والاجحاف بحق علي بهذه المساواة.

ثم لنقف قليلاً أيضاً: ونستعرض أسماء الأشخاص الذين جعلهم عمر أنداداً لعلي ونتعرف على مكانتهم في المجتمع الإسلامي.. وفي صفوف ذوي الأحقاد من المجتمع القرشي، لنرى أنه ما من ريب من أن الحسد والحقد على علي وآله قد لفهم وكمن في قلوبهم. ولنبدأ بخيرهم لجهة علي وقرابته منه وهو ابن عمته الزبير ابن صفية بنت عبد المطلب.

والزبير مع كونه أقرب الخمسة ـ من أهل الشورى ـ رحماً من علي بن أبي طالب لكننا لا نستطيع إلا أن نذكر خيره مشوباً بالغيرة والحسد.. وموقفه من علي يوم الجمل مذكور ومعروف. ودونه منايا وحتوف.

وأما طلحة التيمي.. فإن الخليفة يعلم حق العلم أن بني تيم لا يرضون بعلي بعد أن طالب علي بحقه في الخلافة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ضد أبي بكر وامتنع عن البيعة. وهذا أحد الخمسة طلحة التيمي الذي سوف يستغل رأيه بالانتخاب ليثأر من علي ويفرغ ما في نفسه من حقد وضغينة.

وأما عثمان بن عفان الذي وجه عمر الأنظار إليه بل كاد ينص عليه. . فليس بخاف على كل ذي بصيرة أن عمر قد ألَّب القوم عامداً على سليل هاشم، ووصي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأثار أحقاد قريش، وكتب لعلي مصيراً مآله الفشل إذ جعله في الشورى مع أولئك الخمسة.

فمن لعلي بن أبي طالب بمحو الأحقاد الأموية على بني هاشم من قديم الزمان؟ فقد توارث الأمويون الأحقاد على الهاشميين أجيالاً، وكانوا يغرسون الأحقاد في قلوب الأبناء والأحفاد لعله يأتي يوم يثأر فيه سليل أمية من سليل هاشم. . والآن يأتي الخليفة عمر ليضم في شوراه الشكلية عثمان الأموي بعد أن يوجه أمر الخلافة إليه .

ونرى في عهد عمر أيضاً: أو شوراه الشكلية صورة واضحة من الإمعان في تأليف العصبية كلها ضد خليفة الحق علي بن أبي طالب.

فعلاوة على طلحة التيمي وعثمان الأموي فقد ضمت الشورى أيضاً: سعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وكلا الرجلين من زُهرة، ولكليهما نسب موصول ببني أمية ـ أي أقرباء عثمان ـ فسعد بن أبي وقاص من ناحية أمه حمنة بنت أبي سفيان، وعبد الرحمن بن عوف من ناحية زوجه أم كلثوم بنت عقبة أخت عثمان لأمه.

فإذا علمنا هذا ما الذي يبقى لعلي في ميدان الشورى للفوز بالخلافة؟!

وأي بطن من قريش ينصف علياً وقضيته. . ويسلمه حقه الشرعي في الخلافة التي حرم منها مرتان؟!

مع العلم أن علياً لم يدع في جهاده في سبيل الإسلام في أكثر بطون قريش بطناً إلا وتره ليحملهم على التوحيد والاقرار بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). وخلف جهاده هذا في الكثير من قريش ثارات وأحقاد حتى أصبحت قريش وكأنها كلها خصومات لعلي في آن واحد.

وليت شعري إذا كان عمر بن الخطاب أراد جعل الأمر شورى. . فلماذا قال لعبد الرحمن بن عوف عندما طعن ـ عمر ـ : أريد أن أعهد إليك!

وعندما نصح عمر عبد الرحمن بعدم توليه الخلافة، لماذا قال له عمر: أعرني صمتاً حتى أعهد إلى النفر الذين كان عنهم رسول الله راضٍ . .؟! وتوضيحاً لما نقول لا بأس باعادة الحوار الذي دار بين عمر وأهل الشورى ولا بأس بالقاء نظرة سريعة على متناقضات الخليفة عمر: فإذا كان يعلم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مات وهو راض عن هؤلاء الستة فكيف قال لطلحة حينما جمعهم: لقد مات رسول الله وهو ساخط عليك؟!

ثم قال للزبير: أنت يا زبير وعق لقس، مؤمن الرضا، كافر الغضب، يوماً إنسان ويوماً شيطان ولعلها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مد من شعير فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً ومن يكون يوم تغضب. . . الخ.

ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص وقال له: إنما أنت صاحب مقنب من هذه المقانب تقاتل به، وصاحب قنص، وقوس، وأسهم، وما زهرة والخلافة وأمور الناس. . . الخ.

ثم أقبل على عبد الرحمن بن عوف وقال له: أما أنت يا عبد الرحمن فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانك به ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك وما زُهرة وهذا الأمر. . . الخ.

ثم أقبل على علي فقال له: لله أنت لولا دعابة فيك أما والله لئن وُليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء. . . الخ.

ثم أقبل على عثمان فقال له: هيها إليك كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر فحملت بني أمية على رقاب الناس. . . الخ.

في هذا الحوار أمور تستلفت النظر، **أولاً**: أن الخليفة عمر قد عاب

كلا من الزبير، وطلحة، وسعدا وعبد الرحمن - وهم الذين رشحهم للشورى - بأمر يبعدهم عن الخلافة، ولكنه اعترف لعلي أنه لو وليَّ الأمر ليحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء، وشهد له بذلك مؤكداً بالقسم، وكل ما أراد أن يغمز من حقه بأن قال له: لله أنت لولا دعابة فيك. ! وليس فيها ما يضر إن لم تكن صفة مدح...

ثانياً: اعتذر عمر عن عدم تولية الأمر علي بن أبي طالب بأنه لا يريد أن يتحملها حياً وميتاً... مع أن جعل الأمر شورى بين ستة لا يخرجه عن تحملها حياً وميتاً.

ثالثاً: بعد أن قال عمر: لو وليَّ علي الخلافة يحملهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء... كان عليه أن يأمر بترجيح الجانب الذي فيه علي بن أبي طالب وليس الجانب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف كما أسلفنا. وعلى الأقل لا يأمر بأي ترجيح لفريق دون فريق.

رابعاً: أن عمر أمر أبا طلحة الأنصاري بقتل من خالف من الستة - أهل الشورى - وهو يعلم أن علياً لا بد وأن يخالف لأنه يرى الحق له لا لسواه، وأنه مظلوم بانداده، محروم من حقه الشرعي الذي سلب منه منذ وفاة الرسول كما عبر عن ذلك علي نفسه في بعض خطبه حيث يقول: «متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر»!

وأما ما ذكره بعض المؤرخين وأصحاب السير من مجابهة العباس بن عبد المطلب لابن اخيه علي بن أبي طالب بقوله: لم أرفعك في شيء إلا رجعت إليَّ مستأخراً بما أكره، أشرت عليك عند وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن تسأله فيمن هذا الأمر وأشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر، فأبيت.

وأشرت عليك حين سماك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم، فأبيت.. الخ.

أقول: هذه الرواية باطلة من أساسها لأمور.

منها: ـ أن العباس (رضي الله عنه) كان أعرف الناس بمقام علي (عليه السلام)، وأشد تعظيماً له من أن يجابهه بمثل هذا الكلام. . .

ومنها: ـ أن العباس نفسه سأل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): هل يكون الأمر فيهم من بعده، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنتم المستضعفون بعدي». فكيف يلوم العباس علياً على عدم سؤاله؟!

ومنها: ـ أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طلب في مرضه دواة وكتفاً ليكتب لهم ما لا يضلون بعده، فلم يفعلوا. . . فما فائدة السؤال من علي له بعد هذا. . .!

ومنها: ـ أن علياً قد أجاب عمه العباس عندما قال له: أشرت عليك أن تعجل الأمر بعد وفاة النبي فأبيت ـ بقوله: لم أكن لأدع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلا دفن واشتغل بذلك ـ أي بأمر الخلافة ـ فكيف يلومه العباس بعد هذا كله.؟

وكيف يلوم العباس علياً على الدخول في الشورى ولم يكن ذلك اختيارياً بظاهر الحال.

وخلاصة القول: أن عمر بن الخطاب قد أوصى كما شاء، ولغير الصالح العام كان عهده المعهود لأنه كان يعرف منذ البدء أي الستة كان أولى بأن يوكل إليه أمر المسلمين. .

فالخليفة عمر له هواه. . وقد أرضاه. . فأرضى قريشاً من ورائه لأنه وطد سلطانها بشوراه. . .

وبعد هذه الجولة حول قصة الشورى وما دار فيها من تناقضات لا بد لنا من القول: كان عمر بن الخطاب في الشورى رجلاً من قبيله وقومه، له مشاعرهم، وإن جنحت إلى حيف تجاه البيت الهاشمي، وكانت وصيته وسيلة لتنفيذ السياسة التقليدية التي استنتها لنفسها قريش منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم هي متممة للسياسة التي جرى عليها سلفه

الخليفة الأول ـ والتي جرى من قبلهما عليها قومهما حيال بني هاشم بضعة أجيال. . ولا أدل على أنها كانت طابعاً وسموه، ونهجاً التزموه، من قول علي (عليه السلام) عنهم في بعض خطبه حيث يقول:

«إني لأعلم ما في أنفسهم. . إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر في صلاح شأنها فتقول: إن ولي الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبداً، وما كان في غيرهم فهو متداول في بطون قريش.» فلينصف القارىء، وليتأمل المتأمل.


الفَصْل
الثالث والخمسون



علي بن أبي طالب (عليه السلام) في عهد عثمان بن عفان

نفذ عبد الرحمن بن عوف الزهري وصية الخليفة عمر بن الخطاب، ومثل دوره في تنحية علي بن أبي طالب عن الخلافة أحسن تمثيل، ووقف هو مع سعد بن أبي وقاص وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله أمام سليل الهاشميين وصاحب الحق الشرعي علي بن أبي طالب.

وتم أمر الخلافة بأبسط ما يكون لعثمان ـ وأصبح عثمان خليفة المسلمين ـ بإرادة أهل الشورى المنحازين له لقرابته وعصبيته.

أصبح عثمان بن عفان خليفة للمسلمين رغم إرادة جل الصحابة الأجلاء من المهاجرين والأنصار أصحاب العقيدة الراسخة، والمبادىء الصحيحة، والمثل العليا. الذين وهبوا حياتهم للحق وعاشوا به.

ورغم عدم استشارة هؤلاء الصحابة الموثوقين الذين حملوا أرواحهم على الأكف أبان الصراع الذي كان قائماً بين الشرك والإيمان، والذين هم جند الحق وكلهم ذو سابقة وقدم في الإسلام، وذو يد عملت جاهدة لرفع دعائم الإسلام منذ بزوغه وما في هؤلاء الأبطال إلا المتشوق إلى الموت في سبيل الدين الزاهد في الحياة مع الضلال والطغيان.

ورغم عدم استشارة هذه الثلة الصالحة. . أنصار الله ورسوله، والفئة

الأولى التي أسلمت وجاهدت وآزرت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أصعب الأيام وأحلكها مندفعة معه من شعاب مكة حيث قاومت أنصار الشرك وطغاته بقوة اليقين حتى ارتفعت راية الإسلام عالية، ودوى صوت الحق مجلجلاً.. الله أكبر..

ورغم عدم استشارة هؤلاء الصالحين وتناسي عمر لهم، وإنكاره لحقهم المشروع في الرأي والانتخاب وعدم جعلهم من أهل الشورى ـ مع أنهم أصحاب القوة في ذات الله يعرفون بعين الحق من هو صاحب الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ وفي هذا الحال ورغم الضغوط التي استعملت لم يتمكن هؤلاء الصفوة من السكوت على الباطل... وإن أعوزتهم عدة السلاح لم تعوزهم الجرأة على إنكار المنكر، ورفع صوت الحق عالياً في وجه الظلم والاستبداد، وذلك لما رأوا أن عبد الرحمن بن عوف أتم البيعة لعثمان بتنفيذ الخطة المرسومة من اقصاء علي بن أبي طالب عن الخلافة...

عندها قام من بين هؤلاء القادة المؤمنين الأحرار الصحابي الجليل عمار بن ياسر وقد ثار الغضب في وجهه حتى كاد أن يتلون بحمرة الدم وصاح منذراً...

«يا معشر قريش!.. أما إذا صرفتم هذا الأمر ـ الخلافة ـ عن أهل بيت نبيكم، ها هنا مرة... وها هنا مرة... فما أنا بآمن أن ينزعه الله فيضعه في غيركم، كما نزعتموه من أهله، ووضعتموه في غير أهله».

وهتف من بعده المقداد:

«ما رأيت مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم...!».

وكأنما خشي عبد الرحمن بن عوف مغبة هذه الثورة النفسية التي ما زالت نارها تضطرم بين جوانح الصحابة الأوفياء للنبي وأهل بيته منذ سلب علي حقه بعد وفاة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). فسارع ابن عوف يحول بين المقداد وبين الاستمرار في حديثه فقال له:

«وما أنت وذاك يا مقداد..؟!».

فابتسم له المقداد بسمة كالعبسة وصاح به: وقد أخذ منه الغضب مأخذه، «إني والله لأحبهم بحب رسول الله، وأن الحق معهم وفيهم...

يا عبد الرحمن... أعجب من قريش!.. وأنت تطولهم على الناس قد تألبوا على أهل هذا البيت.. وقد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله بعده من أيديهم...».

وعلا جرس صوته، ورن داوياً كالزئير وهو يتم كلامه:

«أما وأيم الله... يا عبد الرحمن، لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم... كقتالي إياهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر!».

وفي غمرة هذا الاستنكار والهيجان الحافل بالآراء السديدة بين خيرة الصحابة من المهاجرين والأنصار، وبين أصحاب الأهواء والأحقاد، استقبل عثمان بن عفان عهده الجديد من خلافته.. بالخلافات، والفرقة بين الناس. هذه الفرقة التي مشت بين صفوف المسلمين وشتّتت شملهم، بعد أن كان مجتمعاً بالألفة التي كانت تسود أفرادهم بفضل التعاليم السماوية التي جاء بها النبي العظيم محمد بن عبدالله من لدن عزيز حكيم.

أحاط بنو أمية وأعوانهم الراكضون وراء بهارج الدنيا اللاهثون وراء سلطانها والتفوا حول شيخهم عثمان الخليفة الأموي الجديد، وقد أخذتهم نشوة النصر، وفاضت قلوبهم بالفرحة الغامرة التي استشعروها في هذا اليوم المشهود الذي أتاح لهم هذه الفرصة الخالدة، والتي لم يكونوا ليحلموا بها في يوم من الأيام فضلاً عن تحقيقها.

أجل إنها الحلم الذي نفذ من الأجيال المتعاقبة خلال عبد شمس، وأمية، وحرب، ثم استقر الآن حقيقة ماثلة أمام أحفادهم الحالمين فيه.

أجل . . إنه ليـوم مشهود في حيـاة بني أمية . . ومشؤوم في حيـاة المسلمين المخلصين .

أجل. . انه اليوم الخالد الذي أزاح عن بني أمية كابوس العار الذي لحقهم من عهد قديم، من يوم هاشم حتى البعثة النبوية الشريفة، والهـزائم التي لحقت بهم في المعـارك التي دارت بين المسلمين والمشركين والتي سالت فيها دماء بني أمية بسيف علي بن أبي طالب ـ واترهم بأشياخهم يوم بدر وغيره. . .

وطافت ببني أمية وأعوانهم نشوة الظفر بالغد المـرتقب الذي سيـلي خلافة عثمان والذي ستشـرق شمسه على بني أميـة فتجعلهم ملوك عصرهم.

حف بعثمان بنو أمية وأعوانهم من كل جانب، يزفونه إلى المسجد النبوي الشريف ليعلنوا سلطانه على الناس. . . ومشى عثمان يستخفه الطرب بصحبة أعوانه الذين انطلقوا معه خفافاً يكادون أن يسيروا على الهواء. . .

وصل عثمان وصحبه إلى المسجد الشريف، وفي نشوة نصره دفع قدمه إلى المنبر ليخطب بالناس، على عادة من تقلد الخلافة قبله، لقد طغى الفرح والسرور عليه، فأفقده صوابه.

تقدم نحو منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يكن ملقياً باله إلى خطواته أين يضعها. . بل تقدم بلا وعي. . يعلو درجات المنبر، حتى وقف على نفس الدرجة التي كانت تطؤها أقدام الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم). . .

كان هذا الفعل الجدير به أن يثير على عثمان الاستنكار وغضب الناس، وقد رأوا أي مكان كان يقفه الخليفة الأول أبو بكر، ويقفه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب. .

اعتاد الناس أن يروا أبا بكر وعمر جالسين على درجتين تاليتين من المنبر، ويكون مجلسهما دون مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وأنه ما جال يوماً بذهن السلفين ـ أبي بكر وعمر ـ أن يضعا أقدامهما وقدمي رسول الله على سواء، من هذا المنبر كما يفعل الآن هذا الخليفة الجديد...

وسرت الهمهمة... وأخذ الناس ينظر بعضهم إلى بعض متسائلين... أهي الكبرياء والعظمة ؟! .. أم الإستعلاء ؟! .. أم نشوة النصر.. ؟! أم ماذا ؟ ! ..

ويروي المؤرخون وأصحاب السير أنه: بعد مكيدة عبد الرحمن بن عوف من تقليد عثمان بن عفان خلافة المسلمين بالشورى المزعومة.. وبعد أن حف بالخليفة الجديد أصحابه وذووه وذهبوا به إلى المسجد لاعلان فوزه بالخلافة والسلطان، رجعوا به إلى داره...

وقبيل غروب يوم نصر عثمان كانت داره قد غصت بأهله، وأعوانه، ـ والمحاسيب ـ وضمتهم معه الدار، وكل من فيها طافت به نشوة الظفر في تلك السويعات المعدودة في تاريخ بني أمية، أقبل أبو سفيان بن حرب الأموي، وكان رجلاً دميماً، قد اشتعل رأسه بالشيب، وشوه الجدري وجهه فزاده من قبحه ودمامته، وتغورت احدى عينيه فبدت كالفجوة.. وكان بديناً بادي القصر، يتلمس طريقه في ظلام بصره وقد شاخ وفقد ضياء ناظريه، في حين أمضى شبابه وكهولته إلى حد شيخوخته في الحرب ضد المسلمين.. وضد كلمة ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ وكان من جملة جبابرة مكة وطواغيت قريش.

أقبل أبو سفيان الشيخ الهرم على بني أمية وعلامات الفرح بادية على وجهه وقد انفرج شدقه عن بسمة الحقود الشامت ببني هاشم وعلى الأخص علي بن أبي طالب واتره بأشياخه...

أدار أبو سفيان وجهه يميناً وشمالاً قائلاً للحاضرين المجتمعين في

دار عثمان: «أفيكم أحد من غيركم . . . ؟» .

وعندما أجابوه بالنفي: نصب قامته ورفع من احناءة رأسه التي خفضها العمر، في حين أن أحلام أيامه الماضية كلها حضرته في هذه الآونة فتكلم وهو يهتف بالحاضرين ويهيب بهم:

«يا بني أمية. . . تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان. . ما من جنة ولا نار، ولا حساب ولا عقاب. . . ولقد كنت أرجوها لكم. . . ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة. .».

كانت كلمات أبي سفيان بمثابة العهد الذي حدد به أمام بني أمية طموح أسلافه وأحلامهم المتعاقبة. . خلال عبد شمس. . وأمية. . وحرب. . ولم يعد هناك هاشم يفض من حولهم الناس بكرمه فيفوز بالزعامة وتنحني له رؤوس قريش سامعة مطيعة. . .

وقد مضى محمد (صلوات الله عليه وآله) الذي قهرتهم شريعته السماوية السمحاء وأيدته عناية الله سبحانه وتعالى في كفاحه ضد باطلهم. . . ولم يبق أمامهم من يخشونه على السلطان الذي كانوا يحلمون به سوى علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يشتري الضمائر بالمال من أصحاب النفوس المريضة التي استولى عليها الجشع. . . ولا يستهويه الجاه ولا تهفو نفسه إلى الأمارة والسلطنة إلا أن يقيم حقاً أو يدحض باطلاً . . .

إنما علي بن أبي طالب هو صاحب حق كان في أيام كادت أن يكون طابعها المميز. . . استباحة الحقوق. . . نعم لم يبق أمام الأمويين إلا محاربة علي وأبنائه الميامين.

لذلك نرى أن أبا سفيان يهيب ببني أمية ويحرضهم على التمسك بالخلافة المغتصبة من صاحبها الشرعي ـ علي ـ إنها فرصة الدهر المؤاتية للأمويين.

لم يكتف أبو سفيان بهذا القدر من التحريض لإظهار ما تنطوي عليه نفسه من الحقد والكراهية لبني هاشم بل قام من مجلس عثمان الحافل بالأمويين واتباعهم، وخرج يستحث الخطى يقوده غلامه. وما أن أصبح خارج الدار حتى أمره بالتوجه به نحو جبال أحد.

سار أبو سفيان برفقة غلامه وقد اصطخب في قلبه الفرح الممزوج بنشوة النصر يتمايل عن تيه وخيلاء حتى وصل إلى مقبرة المسلمين في أحد فقال لغلامه: دلني على قبر حمزة بن عبد المطلب... ليفرغ ما يعتلج في صدره من الحقد الكامن طيلة أعوام...

وقف على القبر وانفرج فمه الأدرد القبيح عن أقسى بسمة تستطيع أن تصوغها شفاه إنسان حقود لئيم ليعبر بها عن الشماتة وعن الضغائن التي تراكمت في صدره على مر الليالي والأيام. وخرج من فمه كلام كأنه فحيح أفعى سامة.. وركل القبر الشريف برجله.

وقال: يا أبا عمارة... إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا يتلعبون به...

ثم مضى مثلوج الصدر وهو يظن أنه قد أصاب ثأره وثأر أسلافه من لدن هاشم حتى يومه الذي هو فيه. غير مكتف بما صنعه يوم أحد في جسد حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله.

فالتاريخ يعيد نفسه وهل كان إلا صورة مكررة لقد وقف أبو سفيان ذات يوم مضى ـ يوم أحد ـ على جسد حمزة سيد الشهداء وهو ملقى بأرض المعركة بعد أن رماه وحشي اللعين بحربته فأرداه قتيلاً. وكان ذلك باغراء وتحريض من هند بنت عتبة الأموية زوجة أبي سفيان الأموي ووالدة معاوية التي فاقت بوحشيتها ضراوة وحوش الغاب. وذلك عندما بقرت بسكينها بطن حمزة وعبثت أصابعها بأحشائه، ولاك فمها الخبيث كبده الطاهر وذهبت بلقب آكلة الأكباد.. مدى الدهر..

وأقبل من بعدها زوجها أبو سفيان ليشتفي.. ويشفي غله من جسد حمزة، فهذه بضعة من هاشم على ثرى أحد... وقد وضع الرمح على الجسد الطهور واتكأ عليه وهو يقول: ذق عقق... ذق عقق. وهذه بعض أفعال أبي سفيان شيخ أمية وقد ذكرناها من باب الشاهد والمثال.

بعض أعمال عثمان بن عفان في أيام خلافته

استهل عثمان بن عفان أعماله في أيام خلافته بأمور جعلت عامة المسلمين ينقمون عليه، سوى أفراد عشيرته الذين أخذ يُسوِّدهم ويرفعهم عالياً فوق رقاب الناس... وجعل يقيم في البلاد.. هنا.. وهناك، عمالاً من ذويه، ويضم في أكفهم صوالج السلطة. فما كان من أفراد الأسرة الأموية إلا أن انتشروا في البلاد الإسلامية، أمراء.. وولاة، من قبل الخليفة عثمان على الرعية والجند... يمسكون بالزمام في البصرة، والكوفة، ومصر، والشام، وغير هذه الأماكن من بلدان.

ولم يمض سوى قليل من الزمن حتى قفز إلى أماكن الصدارة أمثال مروان بن الحكم، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعبدالله بن عامر، وعبدالله بن أبي سرح، وسعيد بن العاص ممن كانوا إلى عهد قريب من المغمورين والأطراف من الناس، ليس لهم أي شأن...

لم يلتزم الخليفة عثمان بتعاليم الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهديه.. ولم يتبع سيرة الشيخين أبي بكر وعمر بل سار مقوداً بنزعة قديمة انتقلت إليه مع الأجيال الأموية المتعاقبة وسرت في عروقه. وسار على خطة رسمها له شيخه أبو سفيان وأصبح يهتدي بهدي مروان بن الحكم طريد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وحينما وضع عثمان يده على مقاليد الحكم نأى بجانبه عن المهاجرين والأنصار.. وانحاز تحت ضغط عوامل خاصة إلى فئة من أهله مكانهم في الذيول والأعقاب.. إذا ذكرت منازل ذوي الفضل من المسلمين السابقين إلى الإسلام، وترك زمام الحكم بأيدي شرذمة مفتونة من غلمان بني أمية ـ على حد تعبير أبي سفيان ـ ينفذون به إلى استعباد أهل الأمصار..

وكان عثمان أيضاً: يستعمل سلاحاً بذي حدين.. واحد قاطع قمع به شكوى المظلوم، والفقير والمحروم.. والثاني مثلوم داعب به بغي الظالم الذي يستظل بآلائه، ويغرف من نعمائه. ولا مقياس له عند الحساب إلا شريعة الأنساب كما تقول الروايات.

وأنكر جماعة من خيرة صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على عثمان أخطاءه التي ارتكبها تباعاً، وفي مقدمتها إيواء طريد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحكم بن أبي العاص وولده مروان الذي أصبح وزيراً له وحتى أصبح عثمان ينصاع لإرادة ابن الحكم ويعمل وفق أمره.

وقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه علي بن أبي طالب: قد استأثر مروان عند عثمان بثلاثة: فكان صاحب سره، والموجه لسياسته، والمشير عليه في كل أموره.

مروان بن الحكم وزير عثمان

روى المؤرخون وأصحاب السير من أن عثمان بن عفان بعد انقضاء الشورى واستقرار الأمر له، سلك طريقاً ملتوياً ونهج نهجاً معوجاً، وارتكب أخطاء جسيمة. فكان سما ارتكبه إيواء أرحامه المجرمين ذوي النفوس المريضة، الجشعة بحب الدنيا، الذين همهم سلب أموال الناس والتسلط على رقاب العباد.

كان الأولى بالخليفة عثمان أن يسلك سلوكاً معتدلاً ولو على أعين الرعية، وخصوصاً هو في صدر الدولة الإسلامية التي قوامها الصدق والعدل والمساواة كما أسلفنا. وكان الأحرى به على الأقل أن يسلك سلوك الشيخين أبي بكر وعمر.. لا أن يأتي بكل نقيض لهما كايوائه الحكم بن أبي العاص، وولده مروان اللذين طردهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخصوصاً بعد أن رفض أبو بكر ومن بعده عمر إيواءهما، ولم يقبلا بهما شفاعة المتشفعين ولم يسمحا لهما بدخول المدينة بعد أن طردهما رسول الله منها قائلاً : « والله لا يساكنني الحكم وولده في بلد واحد » .

كان الحكم بن أبي العاص على ما يرويه المؤرخون من الذين آذوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشتموه عند البعثة النبوية.. حينما

صدع بالرسالة السماوية عن أمر ربه، وقام بالناس داعياً ومبشراً ونذيراً. . .

ويروي المؤرخون أيضاً: أنه بينما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمشي ذات يوم والحكم بن أبي العاص يمشي من خلفه ويحكيه في حركاته ومشيته مستهزئاً، ويخلج بأنفه وفمه، التفت إليه الرسول العظيم فوجده يخلج بأنفه وفمه، فقال له: «كن كذلك. . ».

فبقي الحكم على حالته تلك كالمخبول. . .

وكان إذا صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قام الحكم خلفه مشيراً إليه بأصابعه. . . إلى غير ذلك. . .

ويوم فتح الله سبحانه وتعالى على رسوله الأعظم مكة المكرمة، ودخلها فاتحاً مؤيداً بنصر الله، خاف المشركون انتقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منهم لما كانوا يلحقون به من الأذى وبأصحابه من التعذيب.

وعندما رأى المشركون أيضاً: أن أمر محمد (صلوات الله عليه وآله) قد ظهر، وأنهم لا طاقة لهم بمناوءته والوقوف في وجه جيش المسلمين الزاحف نحو البيت العتيق. . . أيقنوا أنه لم يعد أمامهم سوى خيارين. . . إما الإسلام. . . أو القتل.

عند ذلك أظهر الكثير من مشركي قريش الإسلام ومن جملتهم الحكم بن أبي العاص وولده مروان. . . وبعد الفتح قدما المدينة وأقاما فيها.

وأجمع المؤرخون أيضاً: أن الحكم بن أبي العاص أطلع على رسول الله يوماً وهو في بعض حجر نسائه، فخرج إليه النبي (صلوات الله عليه وآله). . وبيده عنزه[1] وقال: «من عذيري من هذه الوزغة

---

(١) العنزة: جمع عنز وعنزات: شبيه العكازة لها زج من أسفلها ـ عنزة الفأس: حدها.

اللعين.. لو أدركته لفقأت عينيه.. والله لا يساكنني وولده في بلد واحد..».

وأخرجهم جميعاً إلى الطائف في موضع يقال له ـ بطن وج ـ كما جاء في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري.

ويروي المؤرخون أيضاً: أن الحكم بن أبي العاص لم يزل خارج المدينة بعد أن طرده رسول الله مع ولده مروان طيلة خلافة أبي بكر وعمر إلى أن استخلف عثمان فرده وولده وكان ذلك مما أنكره المسلمون.

جاء في تاريخ اليعقوبي عن بعض الرواة أنه قال: رأيت الحكم بن أبي العاص يوم قدم المدينة عليه فزر[1] خلق، وهو يسوق تيساً.. حتى دخل دار عثمان، والناس ينظرون إلى سوء حاله، وحال من معه. ثم خرج ـ الحكم من دار عثمان ـ وعليه جبة خز وطيلسان[2].

ولم يكتف عثمان بإيواء عمه الحكم مخالفاً بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر الذين قالا: لا نسمح لإيواء طرداء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). بل ولّى الحكم صدقات ـ قضاعة ـ حي باليمن ـ فبلغت ثلاثمائة ألف درهم، فوهبها له حين أتاه.

وجاء في شرح النهج: تصدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بموضع سوق بالمدينة، يعرف بمهزور، على المسلمين، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم.

واقطع ـ عثمان ـ مروان فدك[3]، وقد كانت فاطمة (عليها السلام)

---

(١) فزر خلق: ثوب بال فيه شقوق وصدوع.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ـ٢ـ ص ـ ١٥٤.

(٣) فدك: قرية في الحجاز بينها وبين المدينة يومان نحلها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لابنته فاطمة (عليها السلام) وقد تقدم ذكرها في قصة فدك من هذا الكتاب.

طلبتها بعد وفاة أبيها رسول الله الذي نحلها إياها طلبتها تارة بالميراث وتارة بالنحلة فدُفعت عنها.

وحمى ـ عثمان ـ المراعي حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم إلا عن بني أمية.

وجاء في شرح النهج أيضاً: لقد أوطأ ـ عثمان ـ بني أمية رقاب الناس، وولاهم الولايات، واقطعهم القطائع، وأفتتحت أفريقيا في أيامه، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان بن الحكم. فقال في ذلك عبد الرحمن بن حنبل الجمحي:

أحلف بالله رب الأنام   ما ترك الله شيئاً سدى
ولكن خلقت لنا فتنة   لكي نبتلي بك أو تبتلى
وأعطيت مروان خمس البلاد   فهيهات سعيك ممن سعى

ويتابع صاحب شرح النهج فيقول: أعطى ـ عثمان ـ أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال أيضاً: وكان قد زوجه ابنته أم أبان. . .

فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان. . . وبكى. . .

فقال عثمان: أتبكي إن وصلت رحمي!.

قال ـ زيد بن أرقم ـ: لا، ولكن أبكي لأني أظنك أنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في حياة رسول الله. والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً. . .

فقال ـ عثمان ـ: الق المفاتيح يا ابن أرقم، فإنا سنجد غيرك.

وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة، فقسمها كلها في بني أمية. وأنكح الحارث ابن الحكم ابنته عائشة، فأعطاه مائة ألف من بيت

المال أيضاً بعد صرف زيد بن أرقم عن خزنه[1].

وذكر اليعقوبي في تاريخه: أنه زوج عثمان ابنته من عبيد الله بن خالد بن أسيد، وأمر له بستمائة ألف درهم، وكتب إلى عبدالله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة.

ويتابع اليعقوبي: حدث أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن يسار قال: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة، إذا أمسى أتاه عثمان فقال له: ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص.

وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال. فجعل ـ عامل الصدقات ـ يدافعه ويقول له: يكون فنعطيك إن شاء الله.

فألح عليه... فقال ـ عثمان ـ: إنما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ، وإذا سكتنا عنك، فاسكت.

فقال: ... والله ما أنا لك بخازن... ولا لأهل بيتك، إنما أنا خازن المسلمين.

وجاء بالمفتاح يوم الجمعة، وعثمان يخطب فقال: أيها الناس زعم عثمان أني خازن له ولأهل بيته، وإنما كنت خازناً للمسلمين... وهذه مفاتيح بيت مالكم... ورمى بها... فأخذها ودفعها إلى زيد بن ثابت[2].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ١ ـ ص ـ ١٩٩.
(٢) تاريخ اليعقوبي ـ ج ـ ٢ ـ ص ـ ١٥٨.



وقفة مع تصرفات الخليفة عثمان التي أهاجت الرأي العام

ذكر المؤرخون وأصحاب السير: أن التصرفات التي كان يتصرفها عثمان عن قصد أو غير قصد هي التي أشاعت الفوضى بين الناس، والنقمة عليه من المسلمين، واستفزت الرأي العام ضده، ومن جملتها: أنه كان قد منح مروان بن الحكم زوج ابنته ـ أم أبان ـ يوم عرسه مائتي ألف من بيت المال، سوى ما كان قد أقطعه إياه من قطائع.

على أن هذه المنحة أو غيرها، لم تكن إلا حلقة من حلقات سخاء عثمان وحرصه على أن يتخم آله وأقرباءه بأسباب الجاه والثراء...

على أننا حيثما تصفحنا تاريخ عثمان، نجد إغراقاً في البذل والعطاء حتى ليحسبه القارىء من خيالات الأوهام، أو ضرباً من الأساطير...

ففي اليوم الأول من خلافته.. منح أبا سفيان شيخ بني أمية وطاغية قريش مائتي ألف درهم.

وطلب منه عبدالله بن خالد بن أسيد صلة، فأعطاه أربعمائة ألف درهم كما روى ذلك صاحب شرح النهج...

وافتتحت أفريقيا في أيامه، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان بن الحكم.

وأعطى صدقات قضاعة البالغة ثلاثمائة ألف للحكم بن أبي العاص.

واقطع الحارث بن الحكم سوقاً بالمدينة يعرف ـ بمهزور ـ الذي تصدق به رسول الله (صلوات الله عليه وآله) على المسلمين.

واقطع مروان بن الحكم أيضاً: ـ فدك ـ وقد كان رسول الله أنحلها لابنته فاطمة الزهراء...

وأعطى عبدالله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله على المسلمين من فتح أفريقيا بالمغرب، وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة، من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين.

وأتاه أبو موسى الأشعري بأموال من العراق جليلة، فقسمها كلها في بني أمية.

وزوج عثمان ابنته من عبدالله بن خالد بن أسيد، وأمر له بستمائة ألف درهم، وكتب إلى عبدالله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة. كما جاء في رواية اليعقوبي كما أسلفنا إلى غير ذلك من المنح، والهبات، والعطايات التي لا تكاد تحصى كما أسلفنا ففيما هذا الكرم المغرق.. والسخاء العجيب.. يا ترى..؟!

هذا الاغراق في السخاء كان حرياً بأن يثير نقمة المسلمين على عثمان.. فهو شيء جديد هذا الذي رآه الصحابة في عهد خلافته. لم يعهدوه في حياة الرسول.

وهم بعد لم تغب عنهم سيرة النبي (صلوات الله عليه وآله)، وتعاليمه القيمة، وحرصه على العدل والمساواة بين كافة المسلمين، وخصوصاً أن جل الصحابة الأخيار باقون إلى عهد عثمان. وهؤلاء لا

يمكنهم التغاضي عن الأعمال التي لا تتلائم والسنة النبوية الشريفة . . . أو تتماشى مع تعاليم الرسول ولو كانت صادرة عن الجالس على منبر الخلافة .

ساد الاستغراب والاستنكار أجواء المدينة، وخيمت الدهشة على الصحابة، وارتفعت أصواتهم قائلين: هذه الأموال يجب أن تنفق في سبيل مصلحة المسلمين . . .

إذ المفروض على عثمان أن يضع أموال المسلمين حيث كان يضعها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). في وجوهها المشروعة. لا أن يكون جوابه للناصح الأمين زيد بن أرقم صاحب بيت المال عندما أتاه بالمفاتيح واستقاله وهو يبكي . . ـ أتبكي يا ابن أرقم إذ وصلت رحمي . . . الخ .

هذه الأموال المبذولة بسخاء من الخليفة عثمان إن جاءت بالنفع على بني أمية واتباعهم من المنافقين الطلقاء وانقذتهم من الحضيض، وقوتهم وجعلتهم في أعلى المراتب الدنيوية . . فما جدواها على الأمة الإسلامية وعلى مصالحها من تقوية جيوش المسلمين وغير ذلك.

وما الفائدة التي تعود على المسلمين، وفقراء المسلمين المحرومين، والمعوزين في زمن عثمان إذا تزوج مروان من ابنة الخليفة أم أبان ليمهرها ذلك المهر الغالي حتى يفرغ بيت مال المسلمين؟! مما يؤدي إلى الإرباك الاقتصادي وزيادة الضرائب التي تلقى على الشعب الكادح . . !

كذلك، ما الفائدة العائدة على المسلمين أيضاً: إذا تزوجت عائشة بنت عثمان الحرث بن الحكم وأمهرها أبوها الخليفة أغلى ما تمهر به النساء؟! وبعد هذا أجزل العطاء للصهرين ولدي الحكم بن أبي العاص الذي لعنه رسول الله وطرده من المدينة كما أسلفنا . .

كان الحري بعثمان أن يكون هذا الإغراق بالسخاء من ماله

الخاص... لا من بيت مال المسلمين...!

وإذا كان عثمان ثرياً كما يزعم البعض فبوسعه أن يبذل العون لأهله وذويه، ويصل رحمه من ماله الخاص كما تقدم.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: أي ثروة هذه التي تحتمل في ذلك الوقت. هذه الهبات والعطايا الكثيرة التي مرَّ ذكرها لبني أمية، من آل أبي سفيان، إلى آل الحكم، وآل أبي معيط وغيرهم من الأقرباء والأتباع؟!

مع العلم أن عطاء عثمان طوال حكم الخليفة عمر بن الخطاب كان لا يزيد على خمسة آلاف درهم في العام...

أجل.. لقد أعطى عثمان وأجزل العطاء.. لآله وذويه، من بيت مال المسلمين بلا هوادة.. مما أثار حفيظة الصحابة، وهيج الرأي العام ضده... وحمل خازن بيت المال على الاستقالة والقاء المفاتيح إليه كما مرَّ ذكر ذلك.

ولم يكتف عثمان بعطاياه الجزيلة على من أراد، بل أخذ يعزل الولاة الصالحين إجمالاً وأبدلهم بأرحامه وأعوانه الغارقين في بحار الشهوات والملذات ومعصية الله تعالى. وقد أنكر الصحابة اقامة نفر من بني أمية ولاة على الأمصار، بعد أن عزل عنها ولاتها من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل السابقة في الإسلام.

ولم يكن هؤلاء النفر الذين ولَّاهم عثمان ممن يصلحون للقيام على شؤون المسلمين في الوقت الذي لا تزال فيه ريح النبوة، ومشاهد الرسول قائمة، ولا تزال فيه بقية صالحة من صحابة الرسول الأعظم.

علاوة على أن هؤلاء النفر الذين ولَّاهم عثمان كانوا ممن دخلوا في الإسلام حين أرغمتهم الظروف على الدخول فيه مع الطلقاء وأنهم كانوا من أبناء رؤوس الكفر والشرك والمحادة لله ولرسوله. والكيد

للإسلام والمسلمين، ومن أسلم منهم فقد أسلم بلسانه ولم يخالط الأيمان قلبه.

وانضم إلى أعمال عثمان أمور أخرى نقمها عليه المسلمون، كتسيير أبي ذر رحمه الله تعالى إلى الربذة، ـ ومنع الناس من وداعه ـ وضرب عبدالله بن مسعود حتى كُسرت أضلاعه، وما أظهر من الحجّاب، والعدول عن طريقة من سبقه في اقامة الحدود، ورد المظالم، وكف الأيدي الظالمة إلى غير ذلك وختم ذلك كله ما وجدوه من كتابه إلى معاوية يأمره فيه من قتل قوم من المسلمين على ما سيأتي تفصيله إن شاء الله .



لمحة عن ولاة عثمان الذين كانوا سبب الثورة عليه

تقدم الكلام في قصة الشورى، وما قاله الخليفة عمر بن الخطاب لأصحابها، وما بيَّنه لعثمان بن عفان في ذلك الوقت حسب فراسته فيه، حيث التفت إليه قائلاً:

«هيهاً إليك.. ! كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب، فذبحوك على فراشك ذبحاً... الخ».

وعلى كل حال.. إن صحت الرواية، فقد تحققت فراسة عمر فيه.. فما أن استقرت الخلافة لعثمان حتى تهافت عليه بنو أمية من كل حدب وصوب، وأحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم، وكلهم طامع بالمال.. والجاه.. والإمارة. فغمرهم عثمان بهباته الكثيرة وعطاياه الجزيلة، واقطعهم القطائع، وولاهم الولايات كما أسلفنا.

ومما زاد نقمة المسلمين على عثمان عبثه بالأموال من بيت مال المسلمين، وتوليته لفتيان من بني أمية مستهترين فسقة.. ليسوا بأهل للامارة، ولا يصلحون للمراكز التي أناطهم بها.. وخاصة أنه عزل من كان له صحبة وقدم في الإسلام. وولىَّ أقرباءه مكانهم. فساروا في

الناس سيرة أنكرها عليهم المسلمون. . .

ومن هؤلاء الأمراء الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي ولاه عثمان الكوفة بعد أن عزل عنها سعد بن أبي وقاص الذي كان أمير جيش القادسية يوم افتتحها المسلمون وأحد أفراد الشورى العمرية.

الوليد بن عقبة بن أبي معيط

الوليد بن عقبة أبوه عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو، وكان عمرو هذا عبداً لأمية بن عبد شمس، ثم تبناه...

وأم الوليد أروى بنت كريز، وهي أم عثمان بن عفان، كان قد تزوجها عفان بعد عقبة بن أبي معيط، وبعد أن ولدت له الوليد، وخالدا، وعمارة، وأم كلثوم، فهؤلاء أخوة عثمان لأمه.

وكان عقبة بن أبي معيط جاراً لرسول الله بمكة، وكان يكثر مجالسته، ويحسن معاشرته. ثم تحول بعد هذا، فكان أشد الناس على رسول الله، وأكثرهم أذى له.

وفي عقبة بن أبي معيط نزل قوله تعالى: **﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ـ يا ويلتي ليتني لم أتخذ: فلاناً خليلا ـ لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾**[1].

روى الطبرسي في تفسيره ـ مجمع البيان ـ عن ابن عباس أنه قال: نزل قوله تعالى: **﴿ويوم يعض الظالم... الآيات﴾** في عقبة بن أبي

---

(١) سورة الفرقان ـ آية ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩.

معيط، وأبي بن خلف، وكانا متخالين[1].

وذلك أن عقبة بن أبي معيط كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً، فدعا إليه أشراف قومه، وكان يكثر مجالسةرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).

فقدم ـ عقبة ـ من سفره ذات يوم، فصنع طعاماً، ودعا الناس، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى طعامه.

فلما قربوا الطعام، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما أنا بآكل من طعامك.. حتى تشهد: أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...

فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وبلغ ذلك أبي بن خلف، ـ فأتاه ـ وقال له: صبأت ياعقبة[2] ؟!

قال ـ عقبة ـ: لا.. والله ما صبأت، ولكن دخل علي رجل فأبى أن يطعم من طعامي، إلا أن أشهد له، فاسحييت أن يخرج من بيتي، ولم يطعم، فشهدت له فطعم...

فقال أبي بن خلف: ما كنت براض عنك أبداً حتى تأتيه فتبزق في وجهه.

ففعل ذلك عقبة، وارتد... وأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال النبي (صلوات الله عليه وآله): ـ لعقبة ـ: لا ألقاك خارجاً من مكة.. إلا علوت رأسك بالسيف.

وأما أبي بن خلف، فقتله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم

---

(١) الخليل الصديق. لسان العرب لابن منظور.

(٢) صبأ: خرج من دين إلى دين آخر.

أخذ بيده في المبارزة.

وقال الضحاك: لما بزق عقبة بن أبي معيط في وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. عاد بزاقه في وجهه - أي في وجه عقبة - فأحرق خديه، وكان أثر ذلك فيه حتى مات[1].

وفي كتاب أنساب الأشراف للبلاذري: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما هاجر إلى المدينة قال عقبة بن معيط يخاطبه:

يا صاحب الناقة القصواء هاجرنا عمـا قليل تـراني راكب الفرس
أعـلي رمحيَ فيكم بعـد تهتله[2] والسيف يأخذ منكم كل ملتمس

وقد خرج عقبة مع المشركين إلى حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر فوقع في أيدي المسلمين أسيراً. فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقتله صبراً.

فقال له عقبة: أتقتلني من بين هؤلاء؟

قال رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم): نعم، بكفـرك، وفجورك وعتوك على الله ورسوله.

وقيل: يا رسول الله أتقتله من بين الأسرى من قريش؟

فأجابهم النبي (صلوات الله عليه وآله): نعم.. لقد بلغ به العداء لله، أنه وطـأ على عنقي، وأنا ساجد، فما رفع رجله حتى ظننت أن عيني قد سقطتا، وجاء يوماً بسلا شاة وأنا ساجد، فألقاه على رأسي.

وفي كتاب الأغاني: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أمر بقتل عقبة بن أبي معيط قال: يا محمد، أأنا خاصة من دون قريش؟

قال له الرسول: نعم.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن - للطبرسي.
(٢) هكذا وردت في الأصل.

قال: فمن للصبية من بعدي؟

قال ـ النبي الرسول ـ : النار. . فلذلك سُمي بنو أبي معيط صبية النار.

ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام) بضرب عنق عقبة بن أبي معيط.

هذا عن عقبة بن أبي معيط. أما ابنه الوليد الذي هو شقيق عثمان لأمه أروى بنت كريز فإنه نشأ في أحضان أبيه أعدى أعداء الله ورسوله. ونشأ من بعده عند الأمويين، وتأثر بأخلاقهم وبتلك الروح الأموية التي لم تكن تعرف الجزيرة العربية ألأم وأخبث منها فهو من الطلقاء أسلم يوم فتح مكة مع من أسلم مكرهاً وخوفاً من القتل. . .

وبالرغم من أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد عفا عنهم يوم الفتح ـ فتح مكة ـ وأحسن إليهم ليتألف قلوبهم بل كان يعهد إليهم في بعض الأعمال على أمل أن يخففوا ما يضمرونه للإسلام من حقد وكراهية.

ولكن هيهات فإن نواياهم الخبيثة بما انطوت عليه من الشر، وما نشأت عليه نفوسهم من اللؤم والكيد لمحمد وأهل بيته، ورسالته المقدسة جعلتهم يتحينون الفرص والمناسبات لإظهار ما تنطوي عليه خفاياهم من حقد وكراهية للإسلام وأهله كما أسلفنا.

وفي مجمع البيان للطبرسي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة من أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط في صدقات بني المصطلق، فخرجوا يتلقونه فرحاً به. . .

وكانت بينهم ـ أي بين بني المصطلق وبين الوليد ـ عداوة في الجاهلية، فظن أنهم هموا بقتله.

فرجع الوليد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال:

أنهم منعوا صدقاتهم. . . وكان الأمر بخلافه.

فغضب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهمَّ أن يغزوهم، فنزلت الآية وهي قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**[1].

وفي رواية ثانية أن الوليد عندما بعثه النبي لجباية صدقات بني المصطلق، عاد إلى المدينة وأخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بارتدادهم زوراً وكذباً.

فأرسل النبي (صلوات الله عليه وآله) سرية من المسلمين بقيادة خالد بن الوليد لاستطلاع الحال فوجدهم على الإسلام لم يغيروا شيئاً كما تركهم النبي وبهذه الحادثة نزل قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ. . .﴾** الآية.

وبعدما وليَّ الخلافة عثمان بن عفان، والتف حوله أهله وذووه، وتحرك شباب بني أمية إلى طلب الإمارة، وتقلد السلطان، وبعد أن تخطوا الحواجز التي كانت قائمة في وجوههم حيث كانوا منبوذين، منهم الطريد. . . ومنهم الفاسق اللعين مكانه في الأعقاب بين المسلمين.

وبعد أن اتخذ عثمان ـ صهره ـ مروان بن الحكم كاتباً له ووزيراً ومشيراً . . أرسل الوليد بن عقبة بن أبي معيط والياً على الكوفة، ليحل محل سعد بن أبي وقاص مما أثار نقمة المسلمين عليه.

ويذكر الرواة: أن الوليد بن عقبة حين جاء إلى الكوفة والياً عليها، ودخل على سعد بن أبي وقاص، قال له سعد:

والله ما أدري. . أكست ـ أي صرت كيساً عاقلاً حكيماً ـ بعدنا. . . أم حمقنا بعدك؟!

---

(١) سورة الحجرات ـ آية ـ ٦.

فأجابه الوليد: لا تجزعن أبا إسحاق، فإنما هو الملك... يتغداه قوم... ويتعشاه آخرون...

فقال سعد: أراكم ستجعلونها ملكاً..!!

فساء الناس ذلك وقالوا: بئسما تبدلنا عثمان.. عزل أبا إسحاق صاحب رسول الله.. الهين اللين، وولىَّ أخاه الفاسق الفاجر، العاجز، الأحمق، الماجن!

تولىَّ الوليد ولاية الكوفة ليقيم للمسلمين صلاتهم، ويتولى أمور دينهم ودنياهم، كما هو شأن الولاة قبله.. لكنه سلك طريقاً معوجاً مناقضاً لمبادىء الإسلام وتشريعاته، مما كشف عن سوء نيته وخبث طويته فأخذ يشرب الخمر ويصلي بالناس وهو سكران إلى غير ذلك من أفعاله المنكرة.

قصة اقامة الحد على الوليد بن عقبة لشربه الخمر

ذكر المسعودي في مروجه: أن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل إلى الصباح. فلما آذنه المؤذنون بالصلاة، خرج متفضلاً في غلائله. فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح، فصلى بهم أربعاً، وقال:

أتريدون أن أزيدكم . . ؟

فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأول:

ما تزيد . . ؟! لا زادك الله من الخير . . والله لا أعجب إلاّ ممن بعثك إلينا والياً وعلينا أميراً. وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفي.

وقيل: إنه قال في سجوده وقد أطال: اشرب واسقني. . .

وخطب الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد ، فدخل قصره يترنح ، ويتمثل بأبيات لتأبّط شراً :

ولست بعيداً عن مدام وقينة ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكنني أروي من الخمر هامتي وامشي الملا بالساحب المتسلسل

ويتابع المسعودي: وأشاعوا بالكوفة فعله، وظهر فسقه ومداومته على شرب الخمر، فهجم عليه جماعة من المسجد، منهم أبو زينب بن

عوف الأزدي، وجندب بن زهير الأزدي وغيرهما، فوجدوه سكراناً مضطجعاً على سريره لا يعقل، فأيقظوه من رقدته، فلم يستيقظ.. ثم تقيأ عليهم ما شرب من الخمر، فانتزعوا خاتمه من يده، وخرجوا من فورهم إلى المدينة.

فأتوا عثمان بن عفان، فشهدوا عنده على الوليد أنه شرب الخمر..!

فقال عثمان: وما يدريكما أنه شرب خمراً..؟

فقالا: هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية، وأخرجا خاتمه فدفعاه إليه. فزجرهما.. ودفع في صدورهما، وقال: تنحيا عني..

فخرجا من عنده وأتيا علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأخبراه بالقصة..

فأتى ـ علي ـ عثمان وهو يقول: دفعت الشهود، وأبطلت الحدود..!

فقال له عثمان: فما ترى؟

قال ـ علي ـ: أرى أن تبعث إلى صاحبك فتحضره، فإن أقاما الشهادة عليه في وجهه، ولم يدرأ عن نفسه[1] بحجة، أقمت عليه الحد.

فلما حضر الوليد، دعاهما عثمان: فأقاما الشهادة عليه، ولم يدل بحجة.. فألقى عثمان السوط إلى علي، فقال علي لابنه الحسن:

قم يا بني.. فأقم عليه ما أوجب الله عليه..

فقال الحسن: يكفنيه بعض من ترى.. فلما نظر إلى امتناع الجماعة عن اقامة الحد عليه توقياً لغضب عثمان لقرابته منه.. أخذ علي السوط ودنا منه...

---

(١) وفي بعض النسخ: ولم يدل بحجة.

فلما أقبل ـ علي ـ نحوه سبه الوليد. . . فقال عقيل بن أبي طالب وكان ممن حضر: إنك لتتكلم يا ابن أبي معيط!. . كأنك لا تدري من أنت. .؟! وأنت علج من أهل صفورية ـ وهي قرية بين عكا واللجون، من أعمال الأردن من بلاد طبرية ـ في ذلك الوقت ـ وكان ذكر أن أبا الوليد كان يهودياً منها.

فأقبل الوليد يروغ من علي، فاجتذبه علي، فضرب به الأرض، وعلاه بالسوط. .

فقال عثمان: ليس لك أن تفعل به هذا. . .

فقال علي: بل وشراً من هذا. . إذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه[1].

وجاء في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: أنه لما جاء وفد الكوفة إلى المدينة وشهدوا على الوليد بشرب الخمر عند عثمان. . قال لعلي: أقم عليه الحد. فأمر علي ابنه الحسن بجلده، فقال الحسن: ولِّ حارها من تولى قارها[2]. فجلده علي، وقيل: أمر ـ علي ـ عبدالله بن جعفر فجلده. قيل: أربعين. . والثابت في الجلد ثمانون. وروى ابن

---

(١) مروج الذهب للمسعودي: ج ـ ٢ ـ ص ـ ٣٤٥.

(٢) ول حارها من تولى قارها: الحار: العمل. ول حارها ـ أي عمل الجلد. والقار: قار الرجل مقارة، قر معه ووافقه ـ وأقر فلاناً في المكان ثبته وسكنه فيه. ولعل مراد الحسن (عليه السلام) بقوله: ول حارها من تولى قارها هو أن يتولى أمر الجلد من أقر الوليد ووافقه وولاه الامارة. . وهو عثمان بن عفان الذي أخذته الشفقة والحمية على أخيه لأمه الوليد المذنب السكير. وأحنقه ما شاهده من هوان أخيه وخزيه قبل أن يوجعه الجلد. حتى قال عثمان بلهجة غضب كأنها عتاب: ليس لك أن تفعل به هذا!. فأجابه علي والسوط يتحرك على جسد الوليد في صعود وهبوط: بلى وشر من هذا إذا فسق ومنع حق الله.

أقول: فهل غاب عن ذاكرة عثمان أن علياً وولده الحسن (عليه السلام) هما من أحرص ممن يطبق الشريعة الإسلامية حسب أصولها ولو لم يقم أحد بجلد الوليد لقام الحسن بجلده. وإنما قال لأبيه: يكفنيه من ترى لاعتقاده أنه لا بد من أن يقوم أحد من حضر بإقامة الحد على الوليد شارب الخمر.

عبد البر في الاستيعاب بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال: جلد علي الوليد بن عقبة في الخمر أربعين جلدة بسوطٍ له طرفان، قال: وأضاف الجلد إلى علي لأنه أمر به. وكان جلده بسوط له طرفان قائماً مقام جلده ثمانين. قال ابن الأثير: وكان على الوليد خميصة فأمر علي بن أبي طالب بنزعها لما جلد.

وفي مروج الذهب للمسعودي: ومن فعل الوليد بن عقبة في مسجد الكوفة ذلك أنه بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل، يقال لها زرارة. يعمل أعمالاً من الشعبذة والسحر يعرف ببطروني، فأحضره. فأراه في المسجد ضرباً من التخييل، وهو أن أظهر له في الليل فيلاً عظيماً على فرس يركض في صحن المسجد. ثم صار اليهودي ناقة يمشي على حبل، ثم أراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره، ثم ضرب عنق رجل ففرق بين رأسه وجسده، ثم أمرَّ السيف عليه، فقام الرجل... الخ.

وكان جماعة من أهل الكوفة حضوراً منهم جندب بن كعب الأزدي، فجعل يستعيذ بالله من فعل الشيطان، ومن عمل يبعد من الرحمن، وعلم أن ذلك هو ضرب من التخييل والسحر.. فاخترط سيفه، وضرب به اليهودي ضربة أدار بها رأسه ناحية من بدنه، وقال: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا).. وقد قيل إن ذلك كان نهاراً، وأن جندباً خرج إلى السوق، ودنا من بعض الصياقلة وأخذ سيفاً ودخل فضرب به عنق اليهودي، وقال: إن كنت صادقاً فأحيي نفسك.

فأنكر عليه الوليد ذلك، وأراد أن يقيده به[1] فمنعته الأزد، فحبسه وأراد قتله غيلة...

ونظر السجان إلى قيامه ليله إلى الصبح، فقال له: أنج بنفسك...

---

(١) القود: قتل النفس بالنفس ـ والقود: القصاص ـ واقدت القاتل بالقتيل: أي قتلته به.

فقال له جندب: تقتل بي...

قال السجان: ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من أولياء الله.

فلما أصبح الوليد، دعا به، وقد استعد لقتله، فلم يجده، فسأل السجان: فأخبره بهربه، فضرب عنق السجان، وصلبه بالكناسة[1].

ويقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه علي بن أبي طالب: وقد أخذ أهل الكوفة على الوليد أموراً كثيرة... منها: شرب الخمر... والصلاة بالناس وهو سكران. وصداقته المتصلة بأبي زبيد الشاعر النصراني، الذي اتخذه صفياً له، ونديماً على الشراب ،ووهب له داراً كانت لعقيل بن أبي طالب، وكانت على باب مسجد الكوفة، وأجرى على زبيد النصراني أيضاً وظيفة خمر... وخنازير[2].

---

(١) الكناسة. اسم موضع بالكوفة.

(٢) راجع كتاب علي بن أبي طالب للأستاذ عبد الكريم الخطيب: ص- ٢٠٠.



سعيد بن العاص

لما توالت الشكاوى على الوليد بن عقبة بن أبي معيط من أهل الكوفة بعدما ساد الهرج والمرج فيها من تصرفاته وأعماله المنكرة عزله الخليفة عثمان عن ولاية الكوفة تحت ضغط الصحابة والأجلاء من بقية المسلمين، وولىًّ مكانه أموياً آخر هو سعيد بن العاص الذي تظاهر في المرحلة الأولى من ولايته بالإنكار على ما فعله سلفه الوليد.. ولكن بعد ذلك أتى بأعمال أنكرها عليه المسلمون.

ذكر المسعودي في مروجه: أن عثمان ولىًّ الكوفة بعد ـ الوليد ـ سعيد بن العاص، فلما دخل سعيد الكوفة والياً، أبى أن يصعد المنبر حتى يغسل... وأمر بغسله، وقال: إن الوليد كان نجساً.. رجساً.

فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة، ظهرت منه أمور منكرة، فاستبد بالأموال. وقال في بعض الأيام.. أو كتب به عثمان: إنما هذا السواد قطين لقريش...

فقال له الأشتر، وهو مالك بن الحارث النخعي: أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا، ومراكز رماحنا... بستاناً لك ولقومك؟!..

ثم خرج الأشتر إلى عثمان في سبعين راكباً من أهل الكوفة،

فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص، وسألوا عزله عنهم.

فمكث الأشتر وأصحابه أياماً لا يخرج لهم من عثمان في سعيد شيء. وامتدت أيامهم بالمدينة.

وقدم على عثمان امراؤه من الأمصار منهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح من مصر، ومعاوية من الشام، وعبدالله بن عامر من البصرة، وسعيد بن العاص من الكوفة.

فأقاموا بالمدينة أياماً لا يردهم إلى أمصارهم مخافة أن يرد سعيداً إلى الكوفة، وكره أن يعزله.

ثم جمعهم عثمان ـ يستشيرهم ـ فقال: ما ترون؟

فتكلم كل واحد منهم برأيه... وقال سعيد بن العاص: إنك إن فعلت هذا ـ أي عزلتني ـ كان أهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون...

وقد صاروا ـ أي أهل الكوفة ـ حلقاً في المسجد ليس لهم غير الأحاديث والخوض، فجهزهم في البعوث حتى يكون همّ أحدهم أن يموت على ظهر دابته.

فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج إلى المسجد، فإذا طلحة والزبير جالسان في ناحية منه، فقالا له: تعال إلينا، فصار إليهما..

فقالا له: ما وراءك؟

قال: الشر.. ما ترك شيئاً من المنكر إلا أتى به.. وأمره به.

وجاء الأشتر فقالا له: إن عاملكم الذي قمتم فيه خطباء قد رُدَّ عليكم، وأمر بتجهيزكم في البعوث، وبكذا، وبكذا...

فقال الأشتر: والله لقد كنا نشكو سوء سيرته، وما قمنا فيه خطباء... فكيف وقد قمنا؟! وأيم الله على ذلك لولا أني انفدت النفقة، وانضيت الظهر لسبقته إلى الكوفة حتى أمنعه دخولها.

فقالا له: فعندنا حاجتك التي تقوم بك في سفرك..

قال: فأسلفاني إذاً مائة ألف درهم...

فأسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم، فقسمها ـ الأشتر ـ بين أصحابه، وخرج إلى الكوفة فسبق سعيداً، وصعد المنبر وسيفه في عنقه ما وضعه بعد، ثم قال:

أما بعد، فإن عاملكم الذي أنكرتم تعديه، وسوء سيرته، قد رُدَّ عليكم، وأمر بتجهيزكم في البعوث، فبايعوني على أن لا يدخلها. فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة.

وخرج ـ الأشتر ـ راكباً متخفياً، يريد المدينة أو مكة، فلقي سعيداً بواقصة[1] فأخبره الخبر.. فانصرف ـ سعيد ـ إلى المدينة.

وكتب الأشتر إلى عثمان: إنا والله ما منعنا عاملك الدخول لنفسد عليك عملك... ولكن لسوء سيرته فينا.. وشدة عذابه.. فابعث إلى عملك من أحببت[2].

---

(١) واقصة: منزل بطريق مكة بعد القرعاء، نحو مكة وقبل العقبة، لبني شهاب من طيء، ويقال لها واقصة الحزون. وقال يعقوب: واقصة أيضاً: ماء لبني كعب. معجم البلدان لياقوت الحموي.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج ـ ٢ ـ ص ـ ٣٤٦.



عبدالله بن أبي سرح

عبدالله بن أبي سرح، أبوه من المنافقين، وقد أظهر عبـدالله إسلامه قبل الفتح، وهاجر إلى المدينة المنورة، وكان يكتب الوحي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم ارتد مشركاً.

عاد عبدالله إلى مكة بعد ارتداده عن الإسلام، وأخذ يحدث قريشاً الكذب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويقول: إني كنت أصرِّف محمداً حيث أريد. . . كان يملي علي: ﴿عزيز حكيم﴾ فأقول: ﴿أو عليم حكيم﴾ فيقول: نعم. . كلٌ صواب.

وفي عبدالله بن أبي سرح نزل قوله تعالى: **﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليَّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾**(١) .

وفي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي: أن الآية نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح فإنه كان يكتب الوحي للنبي (صلى الله

(١) سورة الأنعام ـ آية ـ ٩٣.

عليه وآله وسلم) فكان إذا قال له: اكتب عليماً حكيماً.. كتب غفوراً رحيماً، وإذا قال له: اكتب غفوراً رحيماً كتب عليماً حكيماً، وارتد ولحق بمكة وقال: إني أنزل مثل ما أنزل الله.. عن عكرمة، وابن عباس، ومجاهد، والسدي، وإليه ذهب الفراء، والزجاج، والجبائي، وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام).

وفي مجمع البيان أيضاً: قيل أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أملى على عبدالله بن سعد بن أبي سرح ذات يوم: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾** إلى قوله تعالى: **﴿ثم انشأناه خلقاً آخر﴾** فجرى على لسان أبي سرح: فتبارك الله أحسن الخالقين. فأملاه عليه، وقال: هكذا أنزل.

فارتد عدو الله وقال: لئن كان محمد صادقاً فلقد أوحي إلى كما أوحي إليه، ولئن كان كاذباً فلقد قلت، كما قال...

وارتد عن الإسلام، وهدر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دمه.

فلما كان يوم الفتح جاء به عثمان وقد أخذ بيده إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: يا رسول الله... اعف عنه.

فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم أعاد.. فسكت. ثم أعاد.. فسكت. ثم أعاد.. فسكت.

فقال: هو لك.

فلما مرَّ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأصحابه: ألم أقل من رآه فليقتله!

فقال عباد بن بشر: كانت عيني إليك يارسول الله أن تشير إليَّ.. فأقتله.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): الأنبياء لا يقتلون بالاشارة.

وقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب: لما كان يوم الفتح أهدر الرسول دمه ـ دم عبد الله بن أبي السرح ـ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن جنح إلى الكعبة وألقى السلاح فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن من غير عدو الله ابن أبي السرح».

وقد شفع له عثمان عند رسول الله، وجاء به إليه، فأعرض عنه ثلاث مرات، ثم قال لعثمان: نعم.

فلما انصرف عثمان، قال النبي لأصحابه: «ما صمتّ إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه».

فقالوا: هلا أومأت إلينا؟!

فقال: «إن النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة أعين».

هذا هو بعض تاريخ عبدالله بن أبي السرح في الإسلام... كيد لله ولرسوله، وافتراء على الله وعلى رسوله، وقد دمغه القرآن بهذا الوصف: ﴿افترى على الله كذباً﴾ ثم حكم عليه رسول الله حكماً لازماً: إنه عدو الله. إنه حكم لا ينقض أبداً.

فلما ولاه عثمان مصر سنة ٢٥ هجري وخلع عنها عمرو بن العاص، تلقاه المصريون، وقد سبقه إليهم ما جاء في القرآن، وما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنه، فكان ذلك باعثاً من بواعث التشويش عليه، والزراية له.

وقد تربص المسلمون به، وانتظروا له العثرات والزلات...

وكان أن شغل المصريون بفتح أفريقيا، فسار بهم إليها وافتتحها، فأعطاه عثمان خمس غنائم الغزوة الأولى... فكان ذلك مما هيج النفوس على عثمان، وأفسح للقائلين مجال القول فيه، ثم الثورة عليه[1].

---

(١) علي بن أبي طالب: للأستاذ عبد الكريم الخطيب ـ ص ـ ٢٠٢.

ومن ولاة عثمان الذين بتصرفهم زادوا النقمة عليه معاوية بن أبي سفيان الذي أقره عثمان على عمله في الشام والذي لم يخلص للإسلام والمسلمين هو وأبوه أبو سفيان وهو من المؤلفة قلوبهم باتفاق المؤرخين وسنأتي على ذكره فيما بعد من هذا الكتاب.

ومن ولاة عثمان أيضاً: عبدالله بن عامر ـ ابن خال عثمان ـ الذي ولاه البصرة بعد أن عزل عنها أبا موسى الأشعري.

وكان السبب في عزل أبي موسى وتولية عبدالله بن عامر، أن أهل البصرة كانوا قد نقموا على واليهم أبي موسى الأشعري، الذي بدا لهم في صورة المترف الشديد الإسراف في الالتزام بالمظاهر، حتى كان يحمل متاعه ـ ثقله ـ إذا أراد الخروج، على اربعين بغلاً. وهذا الاسراف من بيت مال المسلمين. على أنه لم يتبع سيرة الصلحاء الذين همهم مصلحة الإسلام.

ولما تضايق أهل البصرة من تصرفات واليهم الأشعري أرسلوا وفداً إلى عثمان، وعلى رأسهم غيلان بن خرشة، الذي قال عند مقابلته لعثمان: يا أمير المؤمنين... في كل أحد عوض من هذا العبد الذي أكل أرضنا... وأحيا أمر الجاهلية فينا...

ثم قال له أيضاً: حتى متى يأكل الشيخ الأشعري هذه البلاد؟...

فولّى عثمان مكان أبي موسى عبدالله بن عامر ـ الذي هو ابن خال عثمان ـ وهو إذ ذاك فتى في الخامسة والعشرين من عمره.

فكان عبدالله بن عامر فتى طائشاً وحاكماً غير رشيد. ولم يكن بعد قد تمَّ نضجه، ولم تكسبه سنوات عمره الحنكة...

فما كاد يستقر في مقعد الامارة، حتى ولىَّ وجهه شطر قومه، يحشدهم في مناصب دويلته وتنكر للصالحين من أهل البلاد. وفاق بأعماله سلفه الشيخ الأشعري، وكان تصرفه هذا باباً للثورة على عثمان.

عثمان وموقفه من عبدالله بن مسعود

سبق منا القول أن الخليفة عثمان حمل أهله وذووه على رقاب الناس، وجعلهم ولاة على الأمصار، ولم يلتفت من أن هؤلاء آلة هدامة، وسوسة تنخر في عظام سلطانه لأنهم من المؤلفة قلوبهم، ولأنهم لم يكونوا أيضاً مبتعدين عن الحرمات، ولأنهم ضعاف الدين، ضعاف الإيمان لا يهمهم إلا الامارة والتسلط على رقاب الناس. حتى جعلوا مال الله لهم نهباً، وعبيد الله خولاً. واستولوا على عثمان حتى أصبح لا يسمع إلا كلامهم... وأصمَّ أذنيه عن كل ناقد وناصح.

لم يكتف عثمان بحمل بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس بل كان ينزل العقاب بكل من قدم له نصيحة.. أو أخبره بخبر من شأنه أن يحد من صلاحية أغيلمة بني أمية.. فمن ذلك ما جرى لعبدالله بن مسعود أحد القراء، ومن صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

روى المؤرخون وأصحاب السير: أنه كان عبدالله بن مسعود خازناً لبيت مال الكوفة، ولما ولىَّ عثمان أخاه لأمه الوليد بن عقبة بن أبي معيط الكوفة، استقرض الوليد مالاً كثيراً من بيت المال على أن يرجعه، كما كان يفعل الناس بالقرض والوفاء فيما بينهم. فأقرضه ابن مسعود المبلغ الذي أراده.

وذهبت الأيام، وتمادى الوليد في غيه وأخذ بالمماطلة، فأتاه ابن مسعود يطالبه بإرجاع المال الذي استقرضه من خزينة الدولة ـ بيت مال المسلمين ـ وقال له: المال للمسلمين وأنا خازن له.

ولما ألح عليه ابن مسعود وطالبه بإرجاع المال كتب الوليد إلى عثمان في المدينة يخبره الخبر وأن ابن مسعود جاد في الحاحه باسترجاع المال.

فما كان من عثمان إلا أن كتب إلى ابن مسعود: إنما أنت خازن لنا، فلا تتعرض للوليد فيما أخذه من المال.

عند ذلك غضب ابن مسعود، والقى مفاتيح بيت المال في وجه الوليد قائلاً: كنت أظن أني خازن للمسلمين، وأما إذا كنت خازناً لكم.. فلا حاجة لي إلى ذلك.

وتقول الروايات: أقام ابن مسعود بالكوفة بعد هذه الحادثة، يتحدث إلى الناس ويتحدثون إليه، بما كان بينه وبين الوليد وعثمان.

وكانت هذه الحادثة من جملة الحوادث التي هيجت الناس على عثمان. فبدلاً من زجر واليه من التلاعب بأموال المسلمين وأمره له بإرجاع المال إلى الخزينة، عمل العكس فأقره على فعله حتى تمادى الوليد في غيه واستهتاره.

هذا والمسلمون والصفوة المختارة من الصحابة، يراقبون ما يحدث من ابن عفان وولاته بمرارة وألم، في حين كان يتعرض بعضهم للضرب، والشتم، والاهانة، والطرد، والنفي... كلما أنكر أحدهم أمراً أو حاول تقديم النصيحة.

لم يكتف الوليد بن عقبة بالمال الذي أخذه من بيت مال المسلمين وإخباره عثمان بذلك، بل أرسل إليه: أن ابن مسعود قد أفسد عليك الكوفة، فإنه يعيبك، ويطعن عليك...

فما كان من عثمان إلا أن أجابه: أن ارسل إلي ابن مسعود إلى المدينة...

عندها اجتمع أهل الكوفة إلى ابن مسعود، وأرادوا أن يمنعوه وقالوا له: أقم ونحن نمنعك من أن يصل إليك شيء تكرهه.

فأجابهم: لا...

ثم خرج من الكوفة قاصداً المدينة المنورة... وشيعه الكوفيون بحفاوة بالغة.

وصل ابن مسعود المدينة... ودخل المسجد النبوي الشريف، وكان عثمان يخطب على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما رآه عثمان قال من على المنبر:

«ألا أنه قدمت عليكم دويبة سوء... من يمشي على طعامه يقيء ويسلح».

فأجابه ابن مسعود: لست كذلك يا عثمان... ولكني صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر.. ويوم بيعة الرضوان[1].

وتقول الروايات: أن أم المؤمنين عائشة عندما سمعت مقالة عثمان في عبدالله بن مسعود.. لم تستطع السكوت، بل نادت وهي في حجرتها:

«أي عثمان: أتقول هذا لصاحب رسول الله؟!..».

فأجابها عثمان حنقاً وبكل جفاء: اسكتي...

وبعد هذا أمر عثمان بإخراج ابن مسعود من المسجد.. فأخرج صاحب رسول الله من مسجد رسول الله إخراجاً عنيفاً. وضرب به

(١) يعرض ابن مسعود في هذا القول.. بعثمان. حيث أن عثمان لم يشهد يوم بدر، ولم يشهد بيعة الرضوان، بل تخلف عن بدر والرضوان.

عبدالله بن زمعة الأرض فدق ضلعه.

وذكر المؤرخون وأصحاب السير: أن عثمان بن عفان كلف زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحرث بجمع القرآن وكتابته بلغة قريش. فلما اكملوا عملهم أرسل القرآن إلى جميع المناطق التي كانت تخضع لحكم الإسلام، وأمر ولاته في تلك الأمصار أن يجمعوا المصاحف التي كانت في أيدي الناس ويحرقوها.

وفي رواية اليعقوبي: «جمع عثمان القرآن وألفه، وصير الطوال مع الطوال، والقصار مع القصار من السور، وكتب في جمع المصاحف من الآفاق، حتى جمعت، ثم سلقها بالماء الحار والخل.

وقيل: أحرقها عثمان فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك، خلا مصحف ابن مسعود.

وكان ابن مسعود بالكوفة، فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبدالله بن عامر.. وكتب عثمان: أن أشخصه إن لم يكن هذا الدين خبالاً.. وهذه الأمة فساداً..

فدخل المسجد وعثمان يخطب، فقال عثمان: أنه قد قدمت عليكم دابة سوء.. فكلم ابن مسعود بكلام غليظ: فأمر به عثمان فجر برجله حتى كسر له ضلعان.

وتكلمت عائشة وقالت قولاً كثيراً...

وبعث عثمان ـ بنسخ ـ إلى الأمصار، وبعث بمصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى البصرة، ومصحف إلى المدينة، ومصحف إلى مكة، ومصحف إلى مصر، ومصحف إلى الشام، ومصحف إلى البحرين، ومصحف إلى اليمن، ومصحف إلى الجزيرة.

وقيل أن ابن مسعود: كان كتب بذلك إلى عثمان، فلما بلغه أنه

يحرق المصاحف قال: لم أرد هذا. .

وقيل: كتب إليه بذلك: حذيفة بن اليمان.

واعتل ابن مسعود فأتاه عثمان يعوده، قال له: ما كلام بلغني عنك؟

قال: ـ ابن مسعود ـ ذكرت الذي فعلته بي أنك أمرت بي فوطىء جوفي، فلم أعقل صلاة الظهر. . ولا العصر. . . ومنعتني عطائي.

قال ـ عثمان ـ : فإني أقيدك من نفسي. . . فافعل بي مثل الذي فُعل بك. . . .

قال ـ ابن مسعود ـ : ما كنت بالذي افتح القصاص على الخلفاء. . . .

قال ـ عثمان ـ : فهذا عطاؤك فخذه. . .

قال ـ ابن مسعود ـ : منعتنيه وأنا محتاج إليه. . . وتعطينيه وأنا غني عنه. . لا حاجة لي به. . فانصرف.

فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى تُوفي. . وصلى عليه عمار بن ياسر. . وكان عثمان غائباً، فستر أمره، فلما انصرف رأى عثمان القبر. . .

فقال: قبر من هذا؟!

فقيل له: قبر عبدالله بن مسعود. . .

قال ـ عثمان ـ : فكيف دُفن قبل أن أعلم؟. .

فقالوا: ولي أمره عمار بن ياسر. . .

وذكر أنه ـ أوصى ابن مسعود ـ أن لا يخبر به. .

ولم يُلبث إلا يسيراً حتى مات المقداد، فصلى عليه عمار، وكان أوصى إليه، ولم يؤذن عثمان به ـ وقد ذكرنا بعض أحوال المقداد في الجزء الثاني من هذا الكتاب ـ ص ـ ١٠٣.

فاشتد غضب عثمان على عمار وقال: ويلي على ابن السوداء.. أما لقد كنت به عليماً[1].

وفي رواية أن عثمان جاء إلى ابن مسعود يعوده ويواسيه، ولعله يريد أن يكفر عن سوء عمله فقال له:

ما تشتكي يا أبا عبد الرحمن؟

فأجابه بصوت ضعيف بعد أن صرف وجهه عنه: لا اشتكي غير ذنوبي...

فقال له عثمان: فما تشتهي؟

أجابه: لا اشتهي غير رحمة ربي...

قال عثمان: ألا أدعو لك طبيباً؟

قال ابن مسعود: الطبيب أمرضني...

قال عثمان: أفلا آمر بعطائك؟

أجابه: منعتنيه وأنا محتاج إليه، وتعطنيه.. وأنا مستغن عنه!

قال عثمان: يكون لولدك...

أجابه: رزقهم على الله...

وأخيراً قال له عثمان: استغفر لي أبا عبد الرحمن...

فأجابه ابن مسعود مغاضباً: اسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي...

وأوصى ابن مسعود أن يصلي عليه عمار بن ياسر، وألا يصلي عليه عثمان، فدفن بالبقيع، وعثمان لا يعلم، فلما علم غضب، وقال: سبقتموني به..

فقال عمار: إنه أوصى أن لا تصلي عليه.

وراح عثمان بعد وفاة عبدالله بن مسعود يترحم عليه ويقول: لقد رفعتم والله أيديكم عن خير من بقي منكم، فقال الزبير:

لألفينـك بعـد المـوت تنـدبني وفي حيـاتي مـا زودتني زادي

(١) تاريخ اليعقوبي: ج -٢- ص- ١٦٠.

عثمان وموقفه من عمار بن ياسر

سبق منا القول بأن الخليفة عثمان كان قد نأى بجانبه عن المهاجرين والأنصار، واحتوشته طغمة فاسدة من بني أمية، وبني أبي معيط وغيرهم، حتى صار لا يعمل إلا برأيهم.. يدني من أحبوا.. ويبعد من كرهوا.. وينزل الاساءة والعقاب بكل من ينكر عليهم أعمالهم.. وينكر على عثمان تصرفه الخاطىء الذي خالف فيه سيرة أبي بكر وعمر الذين كانا قد حافظا إجمالاً على المظاهر الدينية، ولم يسلكا طريقه المعوج.. فمثلاً آوى عثمان بن عفان طرداء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقربهم وجعلهم ولاة على الأمصار، في حين لم يقبل الشيخان في أيام خلافتيهما شفاعة أحد بإيواء من طردهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) احتراماً لرأي النبي رسول الله فيهم وهيبة الإسلام إلى غير ذلك من القضايا التي لا مجال لذكرها الآن.

كانت فترة خلافة عثمان فترة قاسية وصعبة على صحابة رسول الله الأجلاء، فما رأوه في عهده لم يعهدوه في حياة الرسول الأعظم، ولم يعهدوه في عهد أبي بكر وعمر..

لقد رأى الصحابة في خلافة عثمان، قصوراً تقام، وأثاثاً، ورياشاً، وجواري وقياناً... في حين تحفل هذه القصور بكل أنواع الأبهة

والعظمة... فأنكروا ذلك أيما إنكار، وعدُّوه بدعاً في الدين، وخرقاً في سياج الإسلام.

لقد أدارت هذه الأحداث رؤوس الناس، فلا يمكن لصحابة رسول الله أن يصموا عنها الآذان.. أو يعطوها ظهراً، خاصة المخلصين الذين أقاموا هذا الدين، وآثروه على أنفسهم وأهليهم، بالبذل والفداء، أمثال عمار بن ياسر الذي أوذي في سبيل الدين من لدن بزوغ فجر الإسلام أذىً شديداً.. ثم بقي يدافع عن الإسلام وقواعده أشد مدافعة حتى قتل (رضوان الله عليه) شهيداً في معركة صفين على ما سيأتي إن شاء الله .

ذكر ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة: أنه «اجتمع ناس من أصحاب النبي (عليه الصلاة والسلام)، فكتبوا كتاباً، ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله، وسنة صاحبيه، وما كان من هبته خمس أفريقيا لمروان وفيه حق الله ورسوله، ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين...

وما كان من تطاول عثمان في البنيان، حتى عدُّوا سبع دور بناها بالمدينة: داراً لنائلة ـ زوجته ـ ، وداراً لعائشة ـ ابنته ـ ، وغيرهما من أهله وبناته...

وبنيان مروان بن الحكم القصور بذي خُشب، وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله.

وما كان من افشائه العمل والولايات في أهله، وبني عمه، من بني أمية، أحداث وغلمة، لا صحبة لهم من الرسول، ولا تجربة لهم بالأمور..

وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة، إذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ثم قال لهم: إن شئتم أزيدكم صلاة زدتكم،

وتعطيل ـ عثمان ـ اقامة الحد عليه وتأخيره ذلك عنه. وتركه المهاجرين والأنصار، لا يستعملهم على شيء، ولا يستشيرهم. واستغنى برأيه عن رأيهم.

وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة..

وما كان من إدارة القطائع ، والأرزاق ، والأعطيات ، على أقوام بالمدينة ، ليست لهم صحبة من النبي (عليه الصلاة والسلام) ، ثم لا يغزون ولا يذبون .

وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط، وأنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس... وإنما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة[1] والخيزران.

ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان، وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود[2]، وكانوا عشرة.

فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان، والكتاب في يد عمار، جعلوا يتسللون عن عمار، حتى بقي وحده، ومضى حتى جاء دار عثمان. فاستأذن عليه، فأذن له في يوم شات.

دخل عليه عمار وعنده مروان بن الحكم، وأهله من بني أمية، فدفع إليه الكتاب فقرأه، فقال له ـ عثمان ـ : أنت كتبت هذا الكتاب؟.

قال ـ عمار ـ : نعم.
قال ـ عثمان ـ : ومن كان معك؟..
قال ـ عمار ـ : كان معي نفر تفرقوا فرقاً منك. ـ أي خوفاً منك ـ
قال ـ عثمان ـ : من هم؟..

---

(١) الدرة بالكسر: التي بها يُضرب: عربية معروفة، وفي التهذيب: الدرة درة السلطان التي يضرب بها ـ لسان العرب لابن منظور.

(٢) وفي رواية البلاذري: أن طلحة والزبير كانا من بين من شهدوا هذا الكتاب.

قال ـ عمار ـ : لا أخبرك بهم.

قال ـ عثمان ـ : فلم اجترأت علي من بينهم؟..

فقال مروان: يا أمير المؤمنين.. إن هذا العبد الأسود ـ يعني عماراً ـ قد جرأ عليك الناس، وإنك إن قتلته، نكلت به من وراءه.

قال عثمان: اضربوه... فضربوه، وضربه عثمان معهم، حتى فتقوا بطنه، فغشي عليه، فجروه حتى طرحوه على باب الدار.

فأمرت به أم سلمة زوج النبي (عليه الصلاة والسلام) فأدخل منزلها.

وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم، فلما خرج عثمان لصلاة الظهر، عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة، فقال: أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا.. لأقتلن به رجلاً عظيماً من بني أمية..

فقال عثمان: لست هناك[1]..

وفي رواية البلاذري: أن عثمان حين قرأ الكتاب قال لعمار: أعليَّ تقدم من بينهم؟

قال عمار: إني أنصحهم لك.

قال ـ عثمان ـ : كذبت يا ابن سمية..

فقال ـ عمار ـ : أنا والله ابن سمية.. وابن ياسر..

فأمر ـ عثمان ـ غلمانه، فمدوا بيديه ورجليه، ثم ضربه عثمان برجليه وهما في الخفين على مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً، فغشي عليه.

وفي البلاذري أيضاً: لما بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال: رحمه الله.

فقال عمار: نعم.. فرحمه الله من كل أنفسنا...

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ـ ١ ـ ص ـ ٣٢ ـ ٣٣.

فنهره عثمان وشتمه، وأمر به فدفع في قفاه وقال: الحق بمكانه - يريد أن ينفيه حيث نُفي أبو ذر بالربذة -

فلما تهيأ - عمار - للخروج، جاءت بنو مخزوم إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام): فسألوه أن يكلم عثمان فيه.

فأتى علي فقال له:

يا عثمان.. اتق الله، فإنك سيرت رجلاً صالحاً من المسلمين، فهلك في تسييرك - يعني أبا ذر -... ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره!!

وجرى بينهما كلام، حتى قال عثمان: أنت أحق بالنفي منه..

فقال له علي: رُم ذلك إن شئت..!

واجتمع المهاجرون وقالوا لعثمان: كلما كلمك رجل سيرته.. ونفيته؟! فإن هذا شيء لا يسوغ! فكف عن عمار[1] ...

وروي أنه كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حلي وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك فكلموه بكلام شديد، حتى أغضبوه، فخطب فقال:

لنأخذن من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام...

فقال له علي (عليه السلام): إذن تمنع من ذلك، ويحال بينك وبينه...

وقال عمار بن ياسر: أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك...

فقال له عثمان: أعلي يا ابن المتكاء[2] تجترىء؟! خذوه. فأخذ.. ودخل عثمان، ودعا به، فضربه حتى غُشي عليه.

---

(١) راجع الأنساب للبلاذري: ج - ٥ - ص - ٤٩ - وكتاب علي بن أبي طالب لعبد الكريم الخطيب وغيرهما.

(٢) المتكاء: عظيمة البطن.

ثم أخرج فحمل حتى أتي به منزل أم سلمة أم المؤمنين زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلم يصل الظهر والعصر، والمغرب . .

فلما آفاق ـ عمار ـ توضأ وصلى، وقال: الحمد لله . . ليس هذا أول يوم أوذينا فيه في الله . .

وبلغ عائشة أم المؤمنين ما صنع بعمار، فغضبت، وأخرجت شعراً من شعر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وثوباً من ثيابه، ونعلاً من نعاله، ثم قالت:

ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم، وهذا شعره، وثوبه، ونعله لم يبل بعد!!

فغضب عثمان غضباً شديداً، حتى ما درى ما يقول، فالتج المسجد وقال الناس! سبحان الله!! سبحان الله!!

في هذه الوقائع وغيرها مما سنذكرها تبدو لنا ناحية أصيلة كانت متأصلة في طبع عثمان ألا وهي القسوة البالغة التي دعته إلى الامعان بالتنكيل بالمسلمين المخلصين، وما أظنها إلا وراثة ورثها عن أجداده وأسلافه الأمويين.

لم يكن عثمان يرى جوانب الحق التي تنطوي عليه المظالم، والشكايات في أغلب الأحايين، ولم ينظر إلى سنة العدل والمساواة التي أمر بها الإسلام . . بل سار سيرة الجبابرة والسلاطين . . فكان جوابه لكل ناصح أمين، أو متجاهر بالحق الثورة عليه والغضب، والقسوة، والعنف، إما بالضرب، أو التشريد، أو فتق البطون، أو كسر الاضلاع، أو قطع الأرزاق . . . الخ مما زاد في النقمة عليه من الصحابة وبقية المسلمين.

أجل أنكر المسلمون هذا الفعل من عثمان تجاه عمار بن ياسر الصحابي الجليل، الذي عرفه الجميع أنه من المسلمين الأول، والذي

أبلى في الإسلام بلاءً حسناً، ولاقى في بدىء إسلامه من المشركين من التعذيب والاضطهاد الشيء الكثير على يد أبي لهب، وأبي جهل، وأبي سفيان وغيرهم من جبابرة قريش وعتاة مكة الذين آذوا عماراً وعذبوه لأنه آمن برسالة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكفر بالطاغوت، وجاهر بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم...

آذى عثمان عماراً بأشد أنواع الأذى. وقد نسي قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أبغض عمار بن ياسر فقد أبغض الله» وقال أيضاً: «إن عماراً قد ملىء إيماناً إلى أخمص قدميه».

أجل.. لقد نسي عثمان قول رسول الله بعمار يوم شرع (صلوات الله عليه وآله) في بناء مسجده، وكان عمار وجميع المسلمين يعملون وحصل سوء تفاهم بين عثمان وعمار، فقال عثمان: يا ابن سُمية والله إني سأعرض هذا العصا لانفك. فلما سمع رسول الله ذلك من عثمان قال: «ما لهم ولعمار...يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إن عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي..».



عثمان وموقفه من أبي ذر الغفاري

تقدم منا الكلام أن الخليفة عثمان بن عفان كان مفتوناً بأهله معنياً برفعهم إلى أعلى المراتب مع كون ماضيهم الحافل بالمساوىء لا يؤهلهم إلى ذلك فهم أولاد رؤوس الشرك الذين حاربوا الإسلام والمسلمين ولم يظهروا الإسلام إلا خوفاً على أنفسهم من القتل، لم يدخل قلبهم الإيمان، فهم من الطلقاء المؤلفة قلوبهم.

كان هم هؤلاء الطغمة الفاسدة الذين قربهم عثمان وجعلهم بطانة له لاحتواء الأمرة والسلطان، . . وإن كان في ذلك تدمير المسلمين وقتل عثمان. على ما سنذكره فيما بعد.

لقد لمس بنو أمية نقطة الضعف واللين في الخليفة الثالث عثمان الأموي وحبه الشديد لأهله وذويه، وتحامله على كل من ينكر سوء أعمالهم من المسلمين. . .

راح عثمان في أيام خلافته يناجز المصلحين والدعاة إلى الحق، والعدالة، ويقمعهم بسلاح القوي الظالم صاحب السلطة. . . لا يدع وسيلة من وسائل النكال إلا ركبهم بها، بتوجيه من أهله وذويه، عسى أن يقهرهم ويسكت أصواتهم المرتفعة التي ملأت الاسماع.

لم يكن عثمان يقرب أحداً سوى آله وذويه الذين احتوشوه فلا يصل إليه من الشكاوى إلّا ما يريدون ، ولا يفعل إلّا ما يشتهون حتى وصل نكاله بالمصلحين إلى الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري الذي نكل به عثمان أشد التنكيل ، ونسي لهذا الصحابي ماضيه في خدمة الإسلام وصحبته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعزوفه عن ملاذ الدنيا .

نعم كان أبو ذر يجأر بدعوته إلى الحق واتباع نظم الإسلام وتشريعاته، لعله بدعوته إلى الاصلاح يحمل حكام زمانه على سلوك جادة الحق والعدالة. . ليرحموا فقراء المسلمين وبؤسائهم، ولا يكنزون الذهب والفضة، ويبنون الدور والقصور ويصرفون الأموال الطائلة بالرياش والأثاث، واقتناء الجواري. . .

كان أبو ذر ينكر على عثمان وبني أبيه البذخ والإسراف من أموال يجب أن تصرف في مصالح المسلمين ومن أجل خدمة الدين. . والعمل بهدي القرآن. . .

راح أعداء أبي ذر يعملون جاهدين على اسكاته، بكل ما استطاعوا من ضغط وتسلط وتنكيل .

لقد غاب عن هؤلاء أن صوت الحق لا يمكن اخفاته ونسوا أنه لا يقدر أي حاكم متسلط مهما بلغ شأنه أن يخفت صوتاً صارخاً بالحق. . . ولا يتمكن صاحب طول وسلطان أن يقهر من يريد. . إلا بالحق. . .

وأن البطش لكثير الألوان. . . ومتعدد الأساليب. . . ولكن برأي عثمان وذويه. . أن تبعد دار أبي ذر. . . ويشق مزاره. . . ويوارى وجهه بأرض فلاة ـ بأرض الربذة ـ

هناك في تلك الصحراء الموحشة. . وفي ذلك البر الأقفر يكون مسكن أبي ذر. . . فلا يلقاه أحد. . ولا يلقى أحداً. . ولا يسمع صوته أحد. . فتسكت عن ذكره ألسنة الناس.

لكن الخليفة عثمان قد أخطأ بحسابه وفعله ومعاملته ونسي أن أبا

ذر صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن المقربين له. فهو ليس كغيره من الناس فهو كما وصفه أبو نعيم في حلية الأولياء:

«ومنهم العابد الزهيد، القانت الوحيد، رابع الإسلام، ورافض الأزلام، قبل نزول الشرع والأحكام، تعبد قبل الدعوة بالشهور والأعوام، وأول من حيّا الرسول بتحيّة الإسلام، لم تكن تأخذه في الحق لائمة اللوام، ولا تفزعه سطوة الولاة والحكام.

وهو أول من تكلم في علم البقاء والفناء، وثبت على المشقة والعناء، وحفظ العهود والوصايا، وصبر على المحن والرزايا، واعتزل مخالطة البرايا، إلى أن حلّ بساحة المنايا...

أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه)، خدم الرسول، وتعلم الأصول، ونبذ الفضول.

وفي الحلية أيضاً: عن عبدالله بن الصامت عن أبي ذر.. أنه قال: يا ابن أخي، قد صليت قبل أن ألقى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث سنين، قلت: لمن؟

قال: لله عز وجل..

قلت: أين توجهت؟ ..

قال: حيث وجهني الله عز وجل، أصلي عشاء.. حتى إذا كان من آخر السحر.. ألقيت كأني خفاء حتى تعلوني الشمس»[1].

وفي رجال بحر العلوم: جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري، رابع الإسلام، وخادم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأحد الحواريين الذين مضوا على منهاج سيد المرسلين.

شهد مشاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولزم بعده

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني: ج - ١ - ص - ١٥٦.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). وكان من المجاهرين بمناقب أهل البيت (عليهم السلام)، ومثالب أعدائهم، لم تأخذه في الله لومة لائم عند ظهور المنكر، وانتهاك المحارم.

وكان بين ـ أبي ذر ـ وبين عثمان مشاجرة في مسألة من مسائل الزكاة. فتحاكما عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فحكم لأبي ذر على عثمان... الخ.

بقي في نفس عثمان موجدة على أبي ذر من هذه الحادثة، إذ أخذت تتفاعل حتى أيام خلافته فأخذ في التنكيل بأبي ذر وإلحاق الأذى به، وحتى كان يكره أن يرى أبا ذر وقال له مرة: وار وجهك عني. وكان عثمان وبنو أبيه يكرهون أبا ذر، ووجوده بين ظهرانيهم لأنه بإنكاره يعكر صفو دنياهم.

أبو ذر وانكاره على الخليفة عثمان تصرفاته

في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد من كلام للسيد المرتضى رحمه الله قوله: روى جميع أهل السير على اختلاف طرقهم وأسانيدهم، أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم. جعل أبو ذر يقول:

بشر الكافرين بعذاب أليم، ويتلو قول الله تعالى: **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾**[1].

فرفع ذلك مروان إلى عثمان... فارسل إلى أبي ذر نائلا مولاه... أن انته عما بلغني عنك...

فقال ـ أبو ذر ـ: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله! فوالله لئن أرضي الله بسخط عثمان، أحب إلي وخير لي من أن أسخط الله برضاه..

فاغضب عثمان ذلك... واحفظه فتصابر.

---

(١) سورة التوبة ـ آية ـ ٣٤.

وقال ـ عثمان ـ يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال، فإذا أيسر قضى؟..

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.

فقال له أبو ذر: يا ابن اليهوديين، أتعلمنا ديننا!..

فقال عثمان: قد كثر أذاك لي، وتولعك بأصحابي، الحق بالشام. فأخرجه إليها.

فكان أبو ذر ـ بالشام ـ ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية ثلاثمائة دينار...

فقال أبو ذر: إن كانت هذه من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها.. وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها.. وردها عليه.

وبنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبو ذر: يا معاوية، إن كانت هذه من مال الله، فهي الخيانة.. وإن كانت من مالك فهو الإسراف.

وكان أبو ذر رحمه الله تعالى يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله، ولا سنة نبيه. والله إني لأرى حقاً يطفأ، وباطلاً يحيا.. وصادقاً مكذباً.. وأثرة بغير تقى.. وصالحاً مستأثراً عليه...

فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام.. فتدارك أهله إن كانت لكم حاجة فيه.

فكتب معاوية إلى عثمان فيه...

فكتب عثمان إلى معاوية: أما بعد، فاحمل جندباً[1] إلي على أغلظ مركب وأوعره.

فوجه ـ معاوية ـ بأبي ذر ـ مع من سار به الليل والنهار، وحمله على

---

(١) جندب: هو اسم أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه).

شارف[1] ليس عليها الا قتب[2] حتى قدم به المدينة.. وقد سقط لحم فخذيه من الجهد.

فلما قدم أبو ذر المدينة.. بعث إليه عثمان: إن الحق بأي أرض شئت...

فقال ـ أبو ذر ـ: بمكة..

قال ـ عثمان ـ: لا...

قال ـ أبو ذر ـ: فبيت المقدس..

قال ـ عثمان ـ: لا...

قال ـ أبو ذر ـ: فأحد المصرين ـ أي الكوفة.. أو البصرة ـ

قال ـ عثمان ـ: لا.. ولكني مسيرك إلى الربذة، فسيره إليها.. فلم يزل بها حتى مات[3].

وفي تاريخ اليعقوبي: أنه بلغ عثمان أن أبا ذر يقعد في مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويجتمع إليه الناس، فيحدث بما فيه الطعن عليه. وأنه وقف بباب المسجد فقال: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري.. أنا جندب بن جنادة الربذي.. إن الله اصطفى آدم ونوحاً، وآل إبراهيم، وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم. محمد الصفوة من نوح، فالأول من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية من محمد، إنه شرف شريفهم، واستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة، وكالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجرة الزيتونية أضاء زيتها، وبورك زندها[4].

---

(١) الشارف: الناقة المسنة الهرمة.

(٢) القتب: الأكاف الصغير على قدر سنام البعير.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ٣ ـ ص ـ ٥٤ ـ ٥٥.

(٤) زندها: العود الذي يقدح به النار.

ومحمد وارث علم آدم، وما فضلت به النبيون، وعلي بن أبي طالب وصي محمد، ووارث علمه.

أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها، أما لو قدمتم من قدَّم الله.. وأخرتم من أخر الله.. وأقررتم الولاية.. والوراثة في أهل بيت نبيكم، لأكلتم من فوق رؤوسكم، ومن تحت أقدامكم.. ولما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله.. ولا اختلف اثنان في حكم الله، إلا وجدتم علم ذلك عندهم، من كتاب الله وسنة نبيه.

فأما إذا فعلتم ما فعلتم... فذوقوا وبال أمركم... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

وبلغ عثمان أن أبا ذر يقع فيه، ويذكر ما غير وبدل من سنن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسنن أبي بكر وعمر، فسيره إلى الشام، إلى معاوية عامله فيها.

وكان ـ أبو ذر ـ يجلس في المجلس ـ بالشام ـ فيقول كما كان يقول ـ بالمدينة ـ ويجتمع إليه الناس، حتى كثر من يجتمع إليه، ويسمع منه.

وكان يقف على باب دمشق إذا صلى صلاة الصبح فيقول: جاءت القطار.. تحمل النار.. لعن الله.. الآمرين بالمعروف، والتاركين له.. ولعن الله الناهين عن المنكر.. والآتين له.

وكتب معاوية إلى عثمان: إنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر...

فكتب إليه عثمان: أن أحمله على قتب بغير وطاء... فقُدم به إلى المدينة، وقد ذهب لحم فخذيه.

وفي مروج الذهب للمسعودي: كتب معاوية إلى عثمان: أن أبا ذر تجتمع إليه الجموع، ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك في القوم حاجة، فأحمله إليك.

فكتب إليه بحمله، فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به، حتى أتوا به إلى المدينة. وقد تسلخت بواطن أفخاذه، وكاد أن يتلف.

فقيل له ـ لأبي ذر ـ إنك تموت من ذلك، فقال: هيهات لن أموت حتى أنفى، وذكر جوامع ما ينزل به بعد ومن يتولى دفنه ـ كما حدثه رسول الله على ما يروى ـ.

وفي تاريخ اليعقوبي: أنه لما دخل ـ أبو ذر ـ على عثمان، وعنده جماعة قال له عثمان: بلغني أنك تقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «إذا كملت بنو أمية ثلاثين رجلاً، اتخذوا بلاد الله دولاً.. وعباد الله خولاً.. ودين الله دغلاً..».

فقال ـ أبو ذر ـ: نعم سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول ذلك.

فقال ـ عثمان ـ لهم: أسمعتم رسول الله يقول ذلك:؟

فبعث إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأتاه، فقال: يا أبا الحسن أسمعت رسول الله يقول ما حكاه أبو ذر، وقص عليه الخبر...

فقال علي (عليه السلام): نعم..

قال ـ عثمان ـ فكيف تشهد؟

قال ـ علي ـ لقول رسول الله.. ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، ذا لهجة أصدق من أبي ذر..

فلم يقم ـ أبو ذر ـ بالمدينة إلا أياماً حتى. أرسل إليه عثمان، والله لتخرجن عنها...

قال أبو ذر: أتخرجني من حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!

قال ـ عثمان ـ: نعم.. وأنفك راغم.

قال ـ أبو ذر ـ : فإلى مكة . . .

قال ـ عثمان ـ : لا . . .

قال ـ أبو ذر ـ : فإلى البصرة . . .

قال ـ عثمان ـ : لا . . .

قال ـ أبو ذر ـ : فإلى الكوفة . . .

قال ـ عثمان ـ : لا . . . ولكن إلى الربذة . . يا مروان أخرجه، ولا تدع أحداً يكلمه حتى يخرج.

فأخرجه ـ مروان ـ على جمل ومعه امرأته وابنته. فخرج علي والحسن والحسين (عليهم السلام)، وعبدالله بن جعفر (رضي الله عنه) وعمار بن ياسر (رضي الله عنه). ينظرون . . .

فلما رأى أبو ذر علياً قام إليه، فقبل يده ثم بكى، وقال: إني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلم أصبر حتى أبكي.

فذهب علي (عليه السلام) يكلمه فقال مروان إن أمير المؤمنين عثمان نهى أن يكلمه أحد . . .

فرفع علي السوط ، فضرب وجه ناقة مروان ، وقال : تنح نحاك الله إلى النار . . . الخ .

وفي شرح نهج البلاغة عن الواقدي : أن أبا ذر لما دخل على عثمان ، قال له : لا أنعم الله بك عيناً يا جنيدب .

فقال أبو ذر: أنا جنيدب، وسماني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاخترت اسم رسول الله الذي سماني به على اسمي . .

فقال عثمان: أنت الذي تزعم أنا نقول: أن يد الله مغلولة؛ وأن الله فقير ونحن أغنياء . .

فقال أبو ذر: لو كنتم لا تزعمون، لأنفقتم مال الله على عباده، ولكني

أشهد لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دخلاً».

فقال عثمان لمن حضره: اسمعتموها من نبي الله؟

فقالوا: ما سمعناه.

فقال عثمان: ويلك يا أبا ذر.. أتكذب على رسول الله!

فقال أبو ذر لمن حضر: أما تظنون أني صدقت؟

قالوا: لا والله ما ندري.

فقال عثمان: ادعوا لي علياً، فدعي، فلما جاء قال عثمان لأبي ذر: أقصص عليه حديثك في بني أبي العاص.. فحدثه.

فقال عثمان لعلي: هل سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

فقال علي (عليه السلام): لا، وقد صدق أبو ذر.

قال عثمان: بِمَ.. وكيف عرفت صدقه؟

قال: لأني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

فقال جميع من حضر من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لقد صدق أبو ذر..

فقال أبو ذر: أحدثكم أني سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم تتهموني! ما كنت أظن أني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)!..

وفي شرح النهج عن الواقدي عن صهبان مولى الأسلميين أنه قال: رأيت أبا ذر يوم دُخل به على عثمان، فقال له: أنت الذي فعلت.. وفعلت!

فقال له أبو ذر: نصحتك فاستغششتني، ونصحت صاحبك فاستغشني.

فقال عثمان: كذبت.. ولكنك تريد الفتنة وتحبها، وقد انغلت[1] الشام علينا.

فقال له أبو ذر: اتبع سنة صاحبيك، لا يكن لأحد عليك كلام.

قال عثمان: مالك وذلك لا أم لك؟!

قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب، أما أن أضربه، أو أحبسه، أو أقتله، فإنه قد فرق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام.

فتكلم علي (عليه السلام)، وكان حاضراً، وقال: أشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون: **﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾**[2].

فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحب ذكره: وأجابه علي (عليه السلام) بمثله..

ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر، أو يكلموه. فمكث كذلك أياماً. ثم أمر ـ عثمان ـ أن يؤتى به، فلما أتي به وقف بين يديه وقال:

ويحك يا عثمان!.. أما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. ورأيت أبا بكر وعمر.. هل رأيت هذا هديهم!؟

أما إنك لتبطش بي بطش جبار!..

فقال له عثمان: أخرج عنا من بلادنا.

فقال أبو ذر: ما أبغض إلي جوارك..! فإلى أين أخــرج؟

---

(١) انغلت الشام: أي أفسدت أهله، وأصله في الأديم يقال: انغل الأديم. إذا أفسده في الدباغ.

(٢) سورة غافر ـ آية ـ ٢٨.

قال: حيث شئت.

قال أبو ذر: فأخرج إلى الشام، أرض الجهاد..

قال عثمان: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها.. أفأردك إليها !؟

قال أبو ذر: أفأخرج إلى العراق؟

قال عثمان: لا...

قال أبو ذر: ولِمَ؟!

قال عثمان: تقدم على قوم أهل شُبَه وطعن في الأئمة.

قال أبو ذر: أفأخرج إلى مصر؟

قال عثمان: لا.

قال أبو ذر: فإلى أين أخرج؟

قال عثمان: إلى البادية...

قال أبو ذر: فهو إذن التعرب[1] بعد الهجرة.. أأخرج إلى بادية نجد؟

فقال عثمان: إلى الشرق الأبعد.. أقصى فأقصى، أمض على وجهك هذا، ولا تعدون الربذة. فخرج إليها.

وكان يقول بالربذة: ما ترك الحق لي صديقاً.

وكان يقول فيها أيضاً: رَدَّني عثمان بعد الهجرة أعرابياً.

وجاء في مروج الذهب للمسعودي أن أبا ذر دخل على عثمان يوماً ـ بعد أن أرسله معاوية من الشام بأمر من عثمان على مركب صعب فما إن وصل المدينة حتى تسلخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف كما أسلفنا ـ فجلس على ركبتيه وتكلم بكلام كثير، وكان في ذلك اليوم قد أتى عثمان بتركه عبد الرحمن بن عوف الزهري، من المال، فنثرت البدر حتى حالت بين عثمان، وبين الرجل القائم.

فقال عثمان: إني لأرجو لعبد الرحمن خيراً، لأنه كان يتصدق، ويقري الضيف، وترك ما ترون..

---

(١) التعرب: الاقامة بالبادية.

فقال كعب الأحبار: صدقت يا أمير المؤمنين..

فشال أبو ذر العصا، فضرب بها رأس كعب، ولم يشغله ما كان فيه من الألم، وقال: يا ابن اليهودي، تقول لرجل مات وترك هذا المال: أن الله أعطاه خير الدنيا، وخير الآخرة..! وتقطع على الله بذلك، وأنا سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «ما يسرني أن أموت وأدع ما يزن قيراطاً».

فقال له عثمان: وارِ عني وجهك، فإني مسيرك إلى الربذة على ما ذكرنا آنفاً.

قال أبو ذر: الله أكبر صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخبرني بكل ما أنا لاق.

قال عثمان: وما قال لك؟

قال أبو ذر: أخبرني بأني أمنع عن مكة، والمدينة، وأموت بالربذة، ويتولى مواراتي نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز.

وهكذا أصدر الخليفة عثمان حكمه القاسي على أبي ذر الصحابي الجليل، رابع الإسلام ورافض الأزلام كما ذكره أبو نعيم في حليته ـ ولم يمكنه من الاقامة في المدينة المنورة دار هجرته، ولا في مكة المكرمة حيث بيت الله الحرام يتعبد فيه حتى يموت. ولم يسمح له بالتوجه إلى أي قطر من الأقطار العامرة، خوفاً من أن يستميل الناس إليه بأحاديثه الصادقة الصحيحة بشهادة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن أبا ذر من الصحابة الأجلاء الذين ما استهوتهم بهارج الدنيا، ولا خافوا من سطوة الحكام، بل حافظوا على إسلامهم وإيمانهم، وولائهم للنبي الأعظم وعترته الطاهرة.

نفي أبي ذر الغفاري إلى الربذة

بدا عثمان الخليفة الثالث بعد تسلمه السلطة واستتباب الأمر إليه كمن أخذ على نفسه أن لا يسمع إلا صوت أقربائه، لا يصغي إلا إليهم، ولا يلتفت للشاكي إذا اشتكى إليه، ولا يستمع إلى من أتاه بنصيحة.. أو نقد.. سوى ما يوحي إليه مروان وزمرته. وهؤلاء لا يمحضوه النصح إلا ما يوافق مصالحهم.

لذلك نرى الخليفة عثمان آثر الاضطهاد، والتنكيل عند محاسبته لناقديه ولو كانوا من الصحابة الأجلاء، الذين يفوقونه علماً، وورعاً، وتقى..

أخذ عثمان يستذل هؤلاء الناقدين، وينفيهم.. ويضرب بعضهم، ويقطع عن البعض الآخر موارد عيشه، من الفيء والعطاء، نكالاً لهم كلما جاؤوه بنقدٍ، أو أرادوه على التزام طريق الإصلاح، والعدل، والمساواة بين الرعية.

تحدث أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) بما فاض بذهنه من آراء، وما سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أحاديث، فأنكر على عثمان تصرفاته بادىء الأمر في المدينة، فنفاه إلى الشام..

وفي الشام ارتفع صوت أبي ذر عالياً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن

المنكر، صارخاً بما أوجبه الله تعالى عليه، من تنبيه الحكام باتباع قوانين الإسلام، وتشريعاته وأن مال الله لعباد الله ﴿**والذين في أموالهم حق معلوم ـ للسائل والمحروم**﴾[1].

وليست أموال المسلمين لبناء الدور واقامة القصور.. وشراء الضمائر. واستعباد الناس، واقتناء الجواري والعبيد والتمادي في اللهو والبذخ والترف... وبقية المسلمين أكثرهم بحاجة ماسة إلى الكساء والغذاء ناهيك عن المصالح العامة التي تتطلب الأموال لتعود بالنفع على المسلمين.. وعلى كيان الدولة.

تضايق معاوية بن أبي سفيان من وجود أبي ذر في بلاد الشام الداعي إلى الله تعالى، وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، واتباع الحق. وخاف أن يفسد عليه البلاد ويزوي عنه العباد بعد أن ضللهم بالمال والعطاء.. وأخفى عنهم جوهر الإسلام.

خاف معاوية أن يأتي أبو ذر بصوته الداوي.. الداعي إلى الحق الواضح المبين.. فيقوض جميع ما بناه. فاستنجد بعثمان... واستغاث به...

فما أسرع ما سمع عثمان نداء معاوية واستغاثته مما يؤول إليه مسلك أبي ذر واجتماع الناس عليه. وبما يعود بالضرر على سلطان الأمويين. فأمره بحمل أبي ذر الغفاري وارجاعه إلى المدينة على أصعب محمل كما أسلفنا.

لكن أبا ذر الغفاري لم يسكت.. فبقي الداعي إلى الله سبحانه وتعالى الحافظ لوصايا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المنكر على عثمان تصرفاته وأفعاله حتى ضاق به ذرعاً فنفاه الخليفة ـ عثمان ـ مجدداً إلى الربذة[2] ظناً منه أن النفي والتشريد هو السلاح الوحيد القاطع لألسنة

---

(١) سورة المعارج ـ آية ـ ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) الربذة من قرى المدينة، على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز وبها قبر أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه).

الناقدين، والمستنكرين.

وأصدر الخليفة عثمان حكمه على أبي ذر بالنفي إلى الربذة، ومقاطعة الناس له، فلا يسمح لأحد أن يكلمه.. أو يزوره.. أو يجالسه. أو يشيعه عند خروجه إلى منفاه.

وقام بتنفيذ حكم الخليفة وزيره ومستشاره مروان بن الحكم طريد رسول الله.

يا لها من حادثة مؤلمة أذهلت الصالحين من أهل المدينة، من مهاجرين وأنصار. حيث وقفوا واجمين وهم يرون طريد رسول الله راكباً ناقته بخيلاء وصلف، يخرج أبا ذر الغفاري صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وصاحب المواقف الشريفة.. إلى منفاه.

هذا الصحابي الجليل الصادق الأمين بشهادة الرسول الكريم: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

وهكذا في تلك السويعات الحرجة أصاب الناس الذهول الممزوج بالألم والحسرة، والخوف من السلطة الحاكمة إذا أرادوا الخروج لوداع أبي ذر الغفاري أخيهم في الإسلام والجهاد... لأن الحكم أصبح في حينه بيد غلمان بني أمية يتلاعبون به، يفرغون حقدهم على كل مسلم مصلح يخالف هواهم.

لذلك نرى أهل المدينة اكتفوا بالوقوف ينظرون بدهشة إلى مروان بن الحكم طريد رسول الله.. يُخرج صاحب رسول الله.. من مدينة رسول الله!!

لكن علي بن أبي طالب لم يبال بغضب السلطة الحاكمة من بني أمية، ولم يلتفت لما يغلي في صدورهم من حقد عليه، بل خرج لوداع أبي ذر يصحبه الحسن والحسين (عليهم السلام) وعبدالله بن جعفر، وعقيل بن أبي طالب، وعمار بن ياسر (رضي الله عنهم).

خرج علي بن أبي طالب ومن معه لوداع أبي ذر وفاء منه لهذا الصحابي الجليل ولم يبتغ بوداعه إلا رضا الله تعالى.

روى المسعودي في مروج الذهب: بعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته ـ وقيل: ابنته ـ وأمر عثمان أن يتجافاه الناس، حتى يسير إلى الربذة.

فلما طلع ـ أبو ذر ـ عن المدينة، ومروان يسيره عنها، طلع عليه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ومعه ابناه الحسن والحسين، وعقيل أخوه، وعبدالله بن جعفر، وعمار بن ياسر كما أسلفنا.

فاعترض مروان فقال: يا علي.. إن أمير المؤمنين ـ عثمان ـ قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره، ويشيعوه. فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك...

فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط، وضرب بين أذني راحلته[1].

وقال: تنح نحاك الله إلى النار[2]...

وفي أعيان الشيعة للسيد الأمين: لما أخرج أبو ذر إلى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس أن لا يكلمه أحد ولا يشيعه أحد، فتحاماه الناس إلا علي بن أبي طالب، وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً وعماراً، فإنهم خرجوا معه يشيعونه.

ووقف أبو ذر فودعه القوم، ومعهم أبو ذكوان مولى أم هانيء بنت أبي طالب، فحفظ كلام القوم، وكان حافظاً...

فقال علي (عليه السلام): يا أبا ذر.. إنك غضبت لله، أن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فامتحنوك بالقلى.. ونفوك

---

(١) ضرب علي بالسوط بين أذني ناقة مروان.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج ـ ٢ ـ ص ـ ٣٥٠.

إلى الفلا. والله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقا، ثم اتقى الله، لجعل له منها مخرجاً.

يا أبا ذر.. لا يؤنسنك إلا الحق... ولا يوحشنك إلا الباطل...
ثم قال لأصحابه: ودعوا عمكم. فودعوه[1]...

وفي مروج الذهب للمسعودي أنه: لما أراد علي بن أبي طالب الانصراف، بكى أبو ذر، وقال: رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن، وولدك، ذكرت بكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فشكى مروان إلى عثمان، ما فعل به علي بن أبي طالب ـ حيث ضرب بالسوط بين أذني راحلته وقال له: تنح نحاك الله إلى النار ـ فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرني من علي؟! ردّ رسولي عما وجهته له.. وفعل كذا.. والله لنعطينه حقه...

فلما رجع علي ـ من توديع أبي ذر ـ استقبله الناس، فقالوا له: إن عثمان عليك غضبان لتشييعك أبا ذر...

فقال علي: غضب الخيل على اللجم...

فلما كان بالعشي جاء إلى عثمان، فقال له ـ عثمان ـ: ما حملك على ما صنعت بمروان؟ ولم اجترأت علي، ورددت رسولي.. وأمري؟!

قال علي: أما مروان فإنه استقبلني يردني[2] فرددته عن ردي.. وأما أمرك فلم أرده.

قال عثمان: ألم يبلغك أني قد نهيت الناس عن أبي ذر، وعن تشييعه؟!

---

(١) أعيان الشيعة السيد محسن الأمين: ج ـ٣ـ ص ـ ٣٣٦ وقد قال ذلك أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة. وأبو مخنف، وابن أبي الحديد في شرح النهج.

(٢) وفي رواية: استقبلني بردي.

فقال علي: أو كل ما أمرتنا به من شيء نرى طاعة الله والحق في خلافه.. اتبعنا فيه أمرك؟! بالله لا نفعل!.

قال عثمان: أقد مروان.

قال علي: وممَّ أقيده؟

قال عثمان: ضربت بين أذني راحلته، وشتمته، فهو شاتمك، وضارب بين أذني راحلتك..

قال علي: أما راحلتي.. فهي تلك، فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته، فليفعل..

وأما أنا، فوالله لئن شتمني، لأشتمنك أنت مثلها، بما لا أكذب فيه ولا أقول إلا حقاً...

قال عثمان: ولم لا يشتمك إذا شتمته! فوالله ما أنت عندي بأفضل منه؟!

فغضب علي بن أبي طالب، وقال: ألي تقـول هذا القـول؟! وبمروان تعدلني[1] فأنا والله أفضل منك.. وأبي أفضل من أبيك.. وأمي أفضل من أمك.. وهذه نبلي قد نثلتها.. وهلم فانثل بنبلك..

فغضب عثمان وأحمر وجهه، فقام ودخل داره.

وانضرف علي، فاجتمع إليه أهل بيته، ورجال من المهاجرين والأنصار.

فلما كان من الغد، واجتمع الناس إلى عثمان، شكا إليهم علياً، وقال: إنه يعيبني، ويظاهر من يعيبني، يريد بذلك أبا ذر، وعمار بن ياسر وغيرهما.

---

(١) وفي رواية ثانية: غضب علي وقال: إلي تقول هذا يا عثمان، وبمروان الطريد ابن الطريد تعدلني، فأنا والله أفضل منه ومنك، وأبي أفضل من أبيك، وأمي أفضل من أمك، وبي جلست مجلسك هذا... الخ.

فدخل الناس بينهما، حتى اصطلحا، وقال له علي:

«والله ما أردت بتشييع أبي ذر إلا الله تعالى.

وفي أعيان الشيعة عن الجوهري: أن عثمان أرسل إلى علي، فأتاه ومعه بنو هاشم فتكلم علي: فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد، ثم قال:

أما بعد «يا عثمان» فإنك ظننتني في تشييعي أبا ذر، ووداعه.. وأني والله الذي لا إله إلا هو، ما أردت بذاك مساءتك، ولا الخلاف عليك...

وما شيعته، ولا ودعته، إلا إرادة أن أؤدي من حقه، ما يجب على المسلم، أن يؤدي من حق أخيه المسلم، عند شخوصه في سفره، أو قدومه.

وأما ما استقبلت به مروان، فإنه اعترضني، ليردني عن قضاء حق الله، فرددته رد مثلي مثله. وإنما كان ذلك كالأدب مني له أن لا يرد مسلماً عن أداء حق من حقوق الله عليه.

وأما ما كان بيني وبينك.. فإنك عجلت علي، وأجحفت، ففرط مني ما لم أكن أحب أن يفرط، وأنا استغفر الله لي ولكم.

فتكلم عثمان: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد - يا علي - فأما ما مشيت إلي فيه فقد حمدتك على ذلك، ووهبت لك ما كان منك.

وأما ما كان منك إلى مروان فقد عفا لك عنه.

وأما ما حلفت عليه، فأنت البر الصادق، فادن يدك، فأخذ يده فضمها إلى صدره.

ولما خرج علي من عند عثمان، أقبلت سفهاء قريش، وبنو أمية،

على عثمان، فقالوا: أنت رجل قريش، حقرك علي، وضرب راحلتك، وقد تفانت وائل في ضرع ناقة.. وهمدان في قتل قيس[١]، وعبس وذبيان في لطمة فرس ، والأوس والخزرج في تسعة رحل وتحتمل من علي صنعه بك ! ..

فدعو إلى حمية الجاهلية[٢]..

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

(٢) أعيان الشيعة للسيد الأمين ج ـ ٣ ـ ص ٣٣٧ مطبعة الانصاف بيروت.

وفاة أبي ذر بالربذة

سار أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) متوجهاً نحو الربذة ومعه زوجته ـ وقيل ابنته ـ وقد عز عليه إخراج عثمان بن عفان له من حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفراقه أهل بيت النبي الميامين، وبعده عن إخوانه المهاجرين والأنصار، الذين قضى معهم جُل أيام حياته، يجاهد الكفار والمشركين، ويخوض المعارك وإياهم صفاً واحداً تحت لواء رسول الله لتركيز دعائم الدين واعلاء شأن الإسلام والمسلمين.

صعب على أبي ذر الخروج من المدينة المنورة، والاقامة في أرض مقفرة موحشة لا أنيس فيها ولا سمير.

وآلم أبا ذر الرجوع إلى البادية... والتعريب بعد الهجرة، كما أراد له عثمان، ومعاوية، ومروان.

بكى أبو ذر عند وداع علي بن أبي طالب ورفاقه الذين خالفوا أمر عثمان وخرجوا لوداع أخيهم صاحب رسول الله عملاً بمكارم الأخلاق الإسلامية غير راجين إلا رضا الله تعالى.

قال لهم أبو ذر: حينما ودعهم، لقد ثقلت على عثمان بالحجاز، وعلى معاوية بالشام، وكره عثمان أن أجاور أخاه ـ لأمه ـ الوليد بن

عقبة بن أبي معيط في الكوفة، وابن خالـه عبدالله بن عامر بالبصرة. . . وخافوا أن أفسد الناس عليهم، فسيرني عثمان إلى بلد ليس لي فيه ناصر، ولا رافع إلا الله. . والله لا أريد إلا الله صاحباً. وما أخشى مع الله وحشة.

أقام أبو ذر الغفاري في الربذة وحيداً مع ابنته ـ أو زوجته[1] ليس له مؤنس سوى ذكر الله، والأحاديث التي سمعها من رسول الله.

ففي حلية الأولياء عن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: بينا أنا واقف مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال لي: «يا أبا ذر أنت رجل صالح، وسيصيبك بلاء بعدي» قلت: في الله؟ قال: «في الله» قلت: مرحباً بأمر الله.

وفي الحلية أيضاً: عن أبي ذر أنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني؟

قال رسول الله: «أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله».

قلت: يا رسول الله زدني. . .

قال: «عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض، وذكر لك في السماء».

قلت: يا رسول الله زدني. .

قال: «إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه».

قال: «عليك بالصمت إلا من خير، فإنه مطردة للشيطان عنك، وعون لك على أمر دينك».

قلت: يا رسول الله زدني. .

قال: «عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي».

---

(١) بعض الروايات تقول أن الذي كان مع أبي در في الربذة زوجته ـ وفي بعض الروايات ابنته.

قلت: يا رسول الله زدني..

قال: «حب المساكين وجالسهم».

قلت: يا رسول الله زدني..

قال: «أنظر إلى من تحتك، ولا تنظر إلى من فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك».

قلت: يا رسول الله زدني..

قال: «لا تخف في الله لومة لائم».

قلت: يا رسول الله زدني..

قال: «قل الحق وإن كان مراً».

قلت: يا رسول الله زدني..

قال: «يردك عن الناس ما تعرف من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تأتي» ثم ضرب بيده على صدري فقال: «يا أبا ذر.. لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق»[1].

وفي رواية عن أبي الأسود الدؤلي أنه قال: قدمت الربذة، فدخلت على أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) ـ وكان منفياً ـ فحدثني أبو ذر وقال: دخلت ذات يوم على رسول الله في مسجده، فلم أر في المسجد أحداً من الناس إلا رسول الله وعلياً، فاغتنمت خلوة المسجد، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أوصني بوصية ينفعني الله بها.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «نعم.. وأكرم بك يا أبا ذر.. إنك منا من أهل البيت، وإني موصيك بوصية فاحفظها، فإنها جامعة لطرق الخير وسبله، فإنك إن حفظتها كان لك بها كفل.

يا أبا ذر: أعبد الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك.. واعلم أن أول عبادة الله المعرفة به، أنه الله الأول قبل كل شيء فلا

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني: ج ـ ١ ـ ص ـ ١٦٨.

شيء قبله، والفرد فلا ثاني له، والباقي لا إله غيره، فاطر السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وهو الله اللطيف الخبير وهو على كل شيء قدير، ثم الإيمان به والإقرار بإن الله تعالى أرسلني إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

ثم حب أهل بيتي الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

واعلم أن الله عزوجل جعل أهل بيتي في أمتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن رغب عنها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله كان آمناً.. الخ.

ثم قال (صلوات الله عليه وآله) لأبي ذر: «طوبى لمن تواضع لله في غير منقصة، وأذل نفسه في غير مسكنة، وانفق مالاً جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة.

«طوبى لمن صلحت سريرته، وحسنت علانيته، وعزل عن الناس شره، وكان مهدّي[1] بفضل الله وراجياً رحمته».

وذكر أبو نعيم في حليته عن إبراهيم بن الأشتر عن أبيه الأشتر عن أم ذر، قالت: لما حضرت أبا ذر (رضي الله عنه) الوفاة بكيت، فقال: ما يبكيك؟

قالت: قلت: أبكي أنه لا بد لي بتكفينك، وليس لي ثوب من ثيابي يسعك كفناً، وليس لك ثوب يسعك كفناً.

قال ـ أبو ذر ـ: فلا تبكي... فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن منكم رجل بفلاة من الأرض فتشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك النفر رجل إلا وقد مات في قرية وجماعة من المسلمين.. وأنا الذي أموت بفلاة.. والله ما كذبت ولا كذبت فانظري الطريق.

---

(١) هكذا وردت بالأصل، والصحيح مهتدياً.

فقالت: أني.. وقد انقطع الحاج؟! فكانت تشتد إلى كثيب تقوم عليه تنظر، ثم ترجع إليه فتمرضه، ثم ترجع إلى الكثيب.

فبينما هي كذلك، إذ بنفر تخب بهم رواحلهم، كأنهم الرخم[1] على رحالهم فألاحت بثوبها.. فأقبلوا حتى وقفوا عليها. قالوا: ما لك..؟

قالت: امرؤ من المسلمين تكفنونه يموت؟!

قالوا: من هو؟

قالت: أبو ذر الغفاري صاحب رسول الله.

فغدوا بإبلهم، ووضعوا السياط في نحورها يستبقون إليه[2]...

وروى اليعقوبي في تاريخه: لم يزل أبو ذر بالربذة حتى توفي، ولما حضرته الوفاة، قالت له ابنته: إني وحدي في هذا الموضع، وأخاف أن تغلبني عليك السباع..

قال ـ أبو ذر ـ كلا.. أنه سيحضرني نفر مؤمنون، فانظري أترين أحداً؟

فقالت: ما أرى أحداً.

قال ـ أبو ذر ـ: ما حضر الوقت.. ثم قال: أنظري هل ترين أحداً؟

قالت: نعم أرى ركباً مقبلين..

فقال أبو ذر: الله أكبر صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ حيث قال:

«يا أبا ذر.. تعيش وحدك.. وتدفن وحدك.. وتحشر وحدك.. ويسعد فيك ناس من أهل العراق، يتولون غسلك ومواراتك في قبرك».

---

(١) الرخم: طائر من فصيلة النسريات، ورتبة الجوارح، ريشه أبيض ممزوج بسواد وشقرة. يكثر في بلدان عديدة من المتوسط. ويتغذى باللحوم.

(٢) حلية الأولياء لأبي الفرج الأصبهاني: ج ـ ١ ـ ص ـ ١٧٠.

ثم قال أبو ذر لابنته: حولي وجهي إلى القبلة، فإذا حضر القوم فاقرئيهم مني السلام. فإذا فرغوا من أمري، فاذبحي لهم هذه الشاة، وقولي لهم: أقسمت عليكم إن برحتم حتى تأكلوا.

ثم قضي عليه.. فأتى القوم، فقالت لهم الجارية: هذا أبو ذر صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). قد توفي... فنزلوا وكانوا سبعة نفر، فيهم حذيفة بن اليمان.. والأشتر فبكوا بكاءً شديداً، وغسلوه، وكفنوه، وصلوا عليه، ودفنوه.

ثم قالت لهم ـ ابنة أبي ذر ـ: أنه يقسم عليكم أن لا تبرحوا حتى تأكلوا.. فذبحوا الشاة، وأكلوا، ثم حملوا ابنته حتى صاروا بها إلى المدينة[1].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ـ ٢ ـ ص ـ ١٦٣

شيعة أبي ذر في جبل عامل

جبل عامل، هو الموضع المعروف بالجنوب اللبناني في هذه الأيام، وقد أطلق عليه اسم جبل عامل ـ أو ـ بلاد عاملة.. من قديم الزمان.

ويذكر المؤرخون أنه إنما سمي جبل عامل ـ بلاد عاملة، نسبة إلى عاملة بن سبأ بن يشجب بن يعرب[1] بن قحطان، الذي هاجر من اليمن بعد حادثة سيل العرم، وانهيار سد مأرب إلى أطراف الشام قبل الميلاد بثلاثمائة سنة على وجه التقريب، أي بعد ضياع مملكة سبأ وتفرق أهلها في البلاد.

وفي تحديد جبل عامل أو بلاد عاملة... جغرافياً... خلاف لسنا بصدده الآن. والمعول عليه على حد قول الأستاذ محمد جابر آل صفا في كتابه تاريخ جبل عامل: أن بلاد عاملة ـ أنها تحد من نهر القرن من قرب طرشيحا، وضواحي عكا، جنوبي قرية الزيب من أعمال فلسطين جنوباً، إلى نهر الأولي، المعروف قديماً ـ بنهر الفراديس ـ الفاصل مجراه بين مقاطعتي الشوف.. وجزين بالقرب من صيدا شمالاً. ومن شواطىء

(١) يعرب: اسمه في الأصل عامر، قالوا وإنما سُمي يعرب لأنه أول من نسق لغة العرب البائدة على النحو الذي نتكلمه اليوم باللهجة الفصحى.

البحر ـ الأبيض ـ المتوسط غرباً إلى واحة الحولة، والنميط، إلى نهر الغجر ووادي التيم شرقاً.

وقد ألحق قسم وافر منها ـ من بلاد جبل عامل ـ بجبل لبنان كجزين[1] ومشغرة وجبل الريحان.

وتقدر مساحة البلاد العاملية، بنحو ثلاثة آلاف كيلو متر. وسكانها عرب خلص بنسبهم، ولغتهم، وعاداتهم يدينون بالإسلام على مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، بينهم قسم قليل من المسلمين السنيين في الثغور، وقسم من النصارى في الداخل[2].

تتناقل الأجيال الروايات، قصة شيعة جبل عـامل التي أرسـخ جذورها وغرسها في نفوس العامليين الصحابي الجليل ـ أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) حتى أصبحت هذه الروايات المتناقلة في حكم الحقيقة التي لا غبار عليها، وحتى أصبحت هذه الروايات أيضاً على مر السنين والأيام متداولة ينقلها الخلف عن السلف من أن شيعة جبل عامل هم من المسلمين الموالين لعلي بن أبي طالب وأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عملاً بوصيته المتواترة قوله: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً».

شيعة جبل عامل هم البذرة الصالحة التي بذرها أبو ذر الغفاري حتى أصبح يقال فيهم: شيعة أبي ذر...

على أن المعروف والمشهور والمسلم به أن شيعة جبل عامل، اتخذوا مبدأ التشيـع من صدر الإسـلام، وفي أيام الخليفـة الثالث

---

(١) كانت بلدة جزين دار علم وتدريس من ديار الشيعة. وخرج منها فحول العلماء العامليين منهم العلامة محمد بن مكي الجزيني العاملي المعروف بالشهيد الأول، مؤلف كتاب اللمعة الدمشقية، خلال اعتقاله في قلعة دمشق، المقتول ظلماً لأنه شيعي بفتوى القاضي بن جماعة في سنة ٧٨٦ للهجرة في عهد سلطنة برقوق.

(٢) تاريخ جبل عامل: محمد جابر آل صفا العاملي: ص ـ ٢٤.

عثمان بن عفان.

وتفصيل ذلك: أن عثمان بن عفان أبعد أبا ذر الغفاري إلى الشام، التي كان معاوية بن أبي سفيان عليها والياً في ذلك الوقت من قبله.

فكان أبو ذر وهو المعروف بصدقه وإيمانه وتقاه، وصحبته للرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ينكر على الخليفة عثمان إفساحه المجال لعامله معاوية وأمثاله أفعالهم التي كانوا عليها، من الظلم للرعية والاستيلاء على أموال المسلمين التي هي في بيت مال المسلمين ـ خزينة الدولة ـ وبناء القصور والدور، واقتناء الجواري والإسراف في البذخ والترف. ناهيك عن فعل المنكرات التي كان يفعلها بعض عمال عثمان كما فعل الوليد بن عقبة من شربه للخمر في مسجد الكوفة... إلى أخر ما هنالك من الأعمال وقد أتينا على ذكر بعضها فيما سبق.

كان أبو ذر الغفاري ينكر هذه الأمور من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صارخاً بأعلى صوته أنه ليس من أخلاق الإسلام ومبادئه... الترف.. والتجبر.. واستئثار الأغنياء والحكام بأموال الفقراء والمحتاجين. لا يرهب في صرخته أحداً ولا يخشى قوة أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

ضاق الخليفة عثمان بالمدينة ذرعاً بالصحابي أبي ذر، المعروف بتشدده في الله وميله للهاشميين عامة وإلى علي بن أبي طالب خاصة. والذي كان قد تخلف مع علي عن البيعة لأبي بكر بعد وفاة الرسول يوم سقيفة بني ساعدة على ما رواه أبو الفداء وغيره من المؤرخين. فأبعد الخليفة عثمان أبا ذر إلى الشام كما أسلفنا.

وفي الشام لم يسكت أبو ذر بل راح يخطب في الناس ويعلمهم ما خفي عنهم من أمور دينهم، وصلاح دنياهم وآخرتهم. فكان كلامه يأخذ طريقه إلى قلوب مستمعيه، حتى استجاب له قوم في نفس الشام لا يزالون ثابتي المعتقد في التشيع إلى يومنا هذا.

لقد التف الناس حول أبي ذر واستمعوا إليه لأنه المعروف بصحبته، للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أن أبا ذر رابع من أسلم، ومعروف بصدقه بشهادة النبي الأعظم حيث قال: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

لم يكتف أبو ذر بمواعظه وارشاداته لأهل الشام، بل كان يتجول في الكثير من البلاد الشامية، وسار حتى وصل في تجواله إلى ساحل بحر الأبيض المتوسط من بلاد الشام ومرتفعات الجبال. وهو يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويشجب اعمال الأمويين، ويدعو إلى انتهاج سبيل الحق، واتباع وصايا الرسول الأعظم.. والسير على طبق تعاليمه.. والموالاة لوصيه إمام الحق علي بن أبي طالب وأهل بيته الميامين.

تقول الروايات: أن أبا ذر حينما أخذ يطوف ويتجول في بلاد الشام، وصل في تجواله إلى جبل عامل، وتنقل بين مدنه وقراه، وبين ساحله إلى جبله، وهو لايفتر لسانه عن ذكر الله تعالى، والتبشير بتعاليم الإسلام القيمة داعياً إلى احقاق الحق وانكار المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يخشى ما يجره ولاءه لعلي بن أبي طالب من البلاء، من قبل السلطة الحاكمة في زمانه.

استجاب أهل جبل عامل لدعوة أبي ذر في نبذ الحكم الأموي الجائر، واتجهوا إلى موالاة الإمام علي صاحب الحق الشرعي بالخلافة بعد رسول الله... حتى أصبح التشيع لأهل جبل عامل هو المبدأ الوحيد والمذهب الإسلامي الذي لا يحيدون عنه ولا يرتضون به بدلاً فبذور التشيع التي بذرها أبو ذر في نفوسهم أتت ثمارها على أحسن وجه.

وتقول الروايات: أن أبا ذر الغفاري اتخذ في قرية الصرفند من سواحل جبل عامل والواقعة على ساحل البحر الأبض المتوسط مقراً له يعبد ربه فيه وتجتمع الناس إليه.

كذلك اتخذ أبو ذر مقراً آخر له في بعض مرتفعات جبل عامل في الجهة الجنوبية الشرقية على رابية تطل على غور الأردن، في قرية ميس الجبل.

وقد جعل الناس فيما بعد من محل اقامة أبي ذر الغفاري في قريتي ـ الصرفند ـ وميس الجبل ـ مسجدين، للصلاة والتبرك. ولم يزل هذان المسجدان إلى الآن يعرفهما الناس ويذهبون إليهما.

وخلاصة القول: أن شيعة أبي ذر في جبل عامل من المسلمين المخلصين للإسلام وأهله، فقد غرس أبو ذر الغفاري في نفوسهم منذ العهد الأول روح الإسلام والتشيع، والنخوة، والحمية، والدفاع عن الإسلام، والجهاد في سبيل مبادئه وتحرير أرضه وبلاده.

ولم يزل أهل جبل عامل على مرِّ السنين وتوالي الأحداث عليهم هم النخبة الصالحة التي تقاتل، وتدافع، وتناضل، عن عقيدتها وتراثها، ووطنها قتال الأبطال، وتدفع ضريبة الدم.

وأهل جبل عامل هم المثـل الأعلى في الإخلاص والتضحية، وهم القادة المذاويد عن الإسلام والمسلمين والعقيدة والوطن إلى يومنا هذا.

جاء في كتاب ـ أمل الآمل ـ للحر العاملي، قوله: «ما وجدته بخط بعض علمائنا، ونقل أنه وجده بخط الشهيد الأول، نقلاً من خط ابن بابويه عن الصادق (عليه السلام)، أنه سئل:

كيف يكون حال الناس في حال قيام القائم (عليه السلام)؟ وفي حال غيبته، ومن أولياؤه وشيعته من المصابين منهم[1] المتمثلين[2] أمر أئمتهم.. والمقتفين لآثارهم.. والآخذين بأقوالهم؟..

قال (عليه السلام): بلدة بالشام...

---

(١) في النسخة المطبوعة هكذا: «ومن شيعته المصابين».

(٢) هكذا وردت في الأصل: والظاهر ـ الممتثلين.

قيل : يا ابن رسول الله . . . إن أعمال الشام متسعة ؟!

قال: بلدة باعمال الشقيف. . أرنون. . وبيوت. . وربوع، تعرف بسواحل البحار، واوطئة الجبال. . . .

قيل: يا ابن رسول الله. . هؤلاء شيعتكم؟

قال (عليه السلام): هؤلاء شيعتنا حقاً، وهم أنصارنا وإخواننا والمواسون لغريبنا، والحافظون لسرنا، واللينة قلوبهم لنا، والقاسية قلوبهم على أعدائنا، وهم كسكان السفينة في حال غيبتنا. .

تمحل البلاد دون بلادهم، ولا يصابون بالصواعق، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويعرفون حقوق الله، ويساوون بين إخوانهم أولئك المرحومون، المغفور لحيهم. . وميتهم. . وذكرهم. . وأنثاهم . . ولأسودهم . .وأبيضهم. . وحرهم. . وعبدهم. . وأن فيهم رجالا ينتظرون. . . والله يحب المنتظرين»[1] .

أقول: إن الحديث المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) بظاهره يشمل جميع سكان جبل عامل. وربما يشكل البعض بأنه: كما يوجد في جبل عامل أناس من الصالحين، كذلك يوجد أناس من غير الصالحين. . فكيف يشمل الحديث جميع سكان جبل عامل؟!

ويأتي الجواب: بما أن بلاد جبل عامل في أكثرية سكانها من المؤمنين الصالحين، المجاهدين في سبيل الله، فالحكم جاء على الأكثرية هنا. .

وعلى هذا فقوله (عليه السلام): «المغفور لحيهم وميتهم» الخ. إنما عنى بهم أصحاب الصفات التي ذكرها بقوله: «الممتثلين أمر أئمتهم، والمقتفين لآثارهم، والآخذين بأقوالهم». . . ولا يخفى أن المدح والذم في المقامات الخطابية يحسن فيها المبالغة والبناء على

---

(١) أمل الآمل: للحر العاملي -ج- ١ - ص- ١٦.

الأغلب... ونرى بلاد جبل عامل قد دفن فيها الكثير من الأنبياء، والأوصياء، والعلماء، والصلحاء، الذين لا يعدون ولا يحصون كما يقول صاحب كتاب أمل الآمل.





الفصل الرابع والخمسون



حصار الخليفة عثمان بن عفان

ذكر المؤرخون وأصحاب السير وغيرهم من الباحثين قصة الثورة على الخليفة عثمان بن عفان وحصاره في داره، وكيفية مقتله وجوهاً شتى، فمنهم من أسهب.. ومنهم من أوجز..

ولكننا نكتفي الآن بما ذكره الرحالة الكبير، والمؤرخ الجليل ـ المسعودي ـ في كتابه مروج الذهب:

«لما كان سنة خمس وثلاثين، سار مالك بن الحارث النخعي من الكوفة، في مائتي رجل، وحكيم بن جبلة العبدي في مائة رجل من أهل البصرة. ومن أهل مصر ستمائة رجل، عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وقد ذكر الواقدي وغيره من أصحاب السير أنه ممن بايع تحت الشجرة ـ أي من أصحاب بيعة الشجرة الذين بايعوا رسول الله يوم ذاك ـ إلى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الحمق الخزاعي، وسعد بن حمران التجيبي[1] ومعهم محمد بن أبي بكر الصديق، وكان قد تكلم بمصر، وحرض الناس على عثمان لأمر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم.

---

(١) وفي نسخة ثانية: عمرو بن الجموع الخزاعي ـ وسودان بن أحمد التجيبي، ومنهم محمد بن أبي بكر.

فنزلوا في الموضع المعروف بذي الخشب[1] فلما علم عثمان بنزولهم بعث إلى علي بن أبي طالب فأحضره[2] وسأله أن يخرج إليهم، ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة.

فسار علي إليهم، فكان بينهم خطب طويل، فأجابوه إلى ما أراد وانصرفوا.

فلما صاروا إلى الموضع المعروف بحسمى.. إذ هم بغلام على بعير، وهو مقبل من المدينة، فتأملوه فإذا هو ـ ورش ـ غلام عثمان، فقرروه... فأقر وأظهر كتاباً إلى ابن أبي سرح صاحب مصر وفيه:

«إذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان، واقتل فلاناً، وافعل بفلان كذا، وأحصى أكثر من في الجيش، وأمر فيهم بما أمر».

وعلم القوم أن الكتاب بخط مروان، فرجعوا إلى المدينة، واتفق رأيهم ورأي من قدم من العراق.

ونزلوا المسجد وتكلموا، وذكروا ما نزل بهم من عمالهم ـ أي الذين جعلهم عثمان ولاة عليهم ـ ورجعوا إلى عثمان، فحاصروه في داره.. ومنعوه الماء.

فأشرف ـ عثمان ـ على الناس، وقال: ألا أحد يسقينا..

ثم قال: بما تستحلون قتلي، وقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان. أو زنى بعد إحصان.. أو قتل نفس بغير نفس»؟ ووالله ما فعلت ذلك في جاهلية أو إسلام.

---

(١) ذو خشب: واد على مسيرة ليلة من المدينة.

(٢) وفي نسخة ثانية: أحضره.

موقف علي بن أبي طالب من عثمان في أيام حصاره

روى صاحب شرح نهج البلاغة عن أبي جعفر الطبري أنه قال: لما نزل الثائرون ذا خشب، يريدون قتل عثمان ان لم ينـزع عما يكرهون، وعلم عثمان ذلك، جاء إلى منزل علي (عليه السلام)، فدخل وقال:

يا ابن عم، إن قرابتي قريبة، ولي عليك حق، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم، وهم مصبحي، ولك عند الناس قدر، وهم يسمعون منك، وأحب أن تركب إليهم فتردهم عني، فإن في دخولهم علي وهناً لأمري، وجرأة علي.

فقال ـ علي ـ (عليه السلام) : على أي شيء أردهم ؟

قال عثمان : على أن أصير إلى ما أشرت به ورأيته لي .

فقال ـ علي ـ (عليه السلام): إني قد كلمتك مرة بعد أخرى، فكل ذلك تخرج وتقول... وتعد ثم ترجع! وهذا من فعل مروان.. ومعاوية.. وابن عامر.. وعبدالله بن سعد. فإنك أطعتهم وعصيتني..!

قال عثمان: فإني أعصيهم وأطيعك.

فأمر علي (عليه السلام) الناس أن يركبوا معه، فركب ثلاثون رجلاً من المهاجرين والأنصار..

فأتوا المصريين فكلموهم، فكان الذي يكلمهم علي ومحمد بن مسلمة، فسمعوا منهما، ورجعوا بأصحابهم يطلبون مصر.

فرجع علي (عليه السلام) حتى دخل على عثمان، فأشار عليه أن يتكلم بكلام يسمعه الناس منه، ليسكنوا إلى ما يعدهم به من النزوع، وقال له:

إن البلاد قد تمخضت عليك، ولا آمن أنه يجيء ركب من جهة أخرى، فتقول لي: يا علي، اركب إليهم، فإن لم أفعل، رأيتني قد قطعت رحمك، واستخففت بحقك.

فخرج عثمان، فخطب الخطبة التي نزع فيها[1] وأعطى الناس من نفسه التوبة، وقال لهم: أنا أول من اتعظ، واستغفر الله عما فعلت وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب، .. فإذا نزلت فليأتني أشرافكم، فليرون رأيهم، وليذكر كل واحد ظلامته، لأكشفها، وحاجته لأقضيها، فوالله لئن ردني الحق عبداً لأستن بسنة العبيد، ولأذلن ذل العبيد، وما عن الله مذهب إلا إليه، والله لأعطيكم الرضاء، ولأنحّينَّ مروان وذويه، ولا أحتجب عنكم.

فرق الناس له وبكوا حتى خضلوا لحاهم وبكى هو أيضاً.

فلما نزل وجد مروان، وسعداً، ونفراً من بني أمية في منزله قعوداً لم يكونوا شهدوا خطبته، ولكنها بلغتهم..

فلما جلس ـ عثمان ـ قال مروان: يا أمير المؤمنين، أأتكلم أم أسكت؟

فقالت نائلة ابنة الغرافصة امرأة عثمان: لا.. بل تسكت، فأنتم والله قاتلوه، وميتمو أطفاله، إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها.

فقال لها مروان: وما أنت وذاك! والله لقد مات أبوك وما يحسن أن يتوضأ...

---

(١) نزع عن الأمر نزوعاً: انتهى منه ـ تركه.

فقالت له: مهلاً يا مروان عن ذكر أبي إلا بخير، والله لولا أن أباك عم عثمان، وأنه يناله غمه وعيبه، لأخبرتك من أمره بما لا أكذب فيه عليك.

فأعرض عنه عثمان، ثم عاد ـ مروان ـ فقال: يا أمير المؤمنين، أأتكلم أم أسكت؟

فقال ـ عثمان ـ تكلم.

فقال مروان: بأبي أنت وأمي، والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع، فكنت أول من رضي بها وأعان عليها، ولكنك قلت ما قلت، وقد بلغ الحزام الطبيين[1]، وجاوز السيل الزبى[2] وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل،.. والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها.. أجمل من توبة تخوف عليها.. ما زدت على أن جرأت عليك الناس.

فقال عثمان: قد كان من قولي ما كان، وإن الفائت لا يرد، ولم آل خيراً.

فقال مروان: أن الناس قد اجتمعوا ببابك أمثال الجبال.

قال ـ عثمان ـ ما شأنهم؟!

قال ـ مروان ـ أنت دعوتهم إلى نفسك، فهذا يذكر مظلمة، وهذا يطلب مالاً، وهذا يسأل نزع عامل من عمالك عنه، وهذا ما جنيت على خلافتك... ولو استمسكت وصبرت كان خيراً لك.

قال ـ عثمان ـ فاخرج أنت إلى الناس، فكلمهم فإني استحي أن أكلمهم وأردهم.

فخرج مروان إلى الناس، وقد ركب بعضهم بعضاً، فقال: ما

---

(١) جاوز الحزام الطبيين: مثل من الأمثال، يقال لمواضع الأخلاف من الناقة أطباء، واحدها طبى بضم الطاء وكسرها، ـ فإذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى في المكروه.

(٢) وهو مثل: جاوز السيل الزبى، والزبى: جمع زبية، وهي مصيدة الأسد، ولا تتخذ إلا في قلة ـ قلة الجبل ـ أو هضبة، أو رابية.

شأنكم؟ قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب .. شاهت الوجوه[1] .. أتـريدون أن تنزعوا ملكاً[2] من أيدينا؟. اغربوا عنا.. والله إن رمتمونا لنمرّنن عليكم ما حلا، ولنحلن بكم ما لا يسركم، ولا تحمدوا فيه غب[3] رأيكم، ارجعوا إلى منازلكم، فإنا والله غير مغلوبين على ما في أيدينا.

فرجع الناس خائبين، يشتمون عثمان ومروان...

وأتى بعضهم علياً (عليه السلام) فأخبره الخبر. فأقبل علي (عليه السلام) على عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهري، فقال:

أحضرت خطبة عثمان؟..

قال ـ عبد الرحمن ـ: نعم..

قال ـ علي ـ: أحضرت مقالة مروان للناس؟

قال ـ عبد الرحمن ـ: نعم..

فقال علي: أي عباد الله، يالله للمسلمين! إني إن قعدت في بيتي قال لي ـ عثمان ـ تركتني، وخذلتني... وإن تكلمت، فبلغت له ما يريد، جاء مروان فتلعب به حتى قد صار سيقة[4] له، يسوقه حيث يشاء، بعد كبر السن وصحبته الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقام ـ علي ـ: مغضباً من فوره حتى دخل على عثمان، فقال له: أما يرضى مروان منك إلا أن يحرفك عن دينك وعقلك؟! فأنت معه كجمل الظعينة، يقاد حيث يسار به... والله ما مروان بذي رأي في دينه، ولا عقله، وإني لأراه يوردك ثم لا يصدرك... وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك... أفسدت شرفك... وغلبت على رأيك... ثم نهض.

فدخلت نائلة بنت الغرافصة، فقالت: قد سمعت قول علي لك،

(١) شاهت الوجوه: قبحت.
(٢) وفي رواية ابن الأثير تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا.
(٣) غب رأيكم: أي عاقبة رأيكم.
(٤) سيقة له: أي مسوقاً له: يسيره حيث يشاء.

وإنه ليس براجع إليك ولا معاود لك، وقد أطعت مروان يقودك حيث يشاء.

قال ـ عثمان ـ : فما أصنع؟

قالت ـ نائلة ـ : تتقي الله، وتتبع سنة صاحبيك، فإنك متى أطعت مروان قتلك، وليس لمروان عند الناس قدر ولا هيبة، ولا محبة، وإنما تركك الناس لمكانه ـ لأنه طريد رسول الله ـ وإنما رجع عنك أهل مصر لقول علي بن أبي طالب. فارسل إليه فاستصلحه، فإن له عند الناس قدماً، وإنه لا يعصى.

أقول: يعلم من كلام نائلة زوجة عثمان من أنها وهي المرأة كانت أعقل وأنصح لزوجها عثمان من مروان.

ويتابع صاحب شرح النهج قوله: فأرسل عثمان إلى علي، فلم يأته وقال: قد أعلمته أني غير عائد[2].

وفي شرح النهج: قال أبو جعفر: فجاء عثمان إلى علي بمنزله ليلاً، فاعتذر إليه ووعد من نفسه الجميل، وقال: إني فاعل.. وإني غير فاعل.

فقال له علي (عليه السلام): أبعد ما تكلمت على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأعطيت من نفسك، ثم دخلت بيتك وخرج مروان إلى الناس يشتمهم على بابك!!

فخرج عثمان من عنده وهو يقول: خذلتني يا أبا الحسن! وجرأت الناس علي!

فقال علي (عليه السلام): والله إني لأكثر الناس ذباً عنك، ولكني كلما جئت بشيء أظنه لك رضا، جاء مروان بغيره.. سمعت قوله، وتركت قولي.

---

(١) راجع تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٣٨٠ ـ ٣٩٩ ط مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.



بعض من حرض على عثمان

ذكر اليعقوبي في تاريخه: أنه نقم الناس على عثمان بعد ولايته بست سنين، وتكلم فيه من تكلم، وقالوا: آثر القرباء، وحمى الحمى، وبنى الدار، واتخذ الضياع، والأموال بمال الله والمسلمين، ونفى أبا ذر صاحب رسول الله وعبد الرحمن بن حنبل وآوى الحكم بن أبي العاص، وعبد الله بن أبي سرح طريدي رسول الله . وأهدر دم الهرمزان ، ولم يقتل عبيد الله بن عمر به . وولّى الوليد بن عقبة الكوفة ، فأحدث في الصلاة ما أحدث ، فلم يمنعه ذلك من إعادته إياه . وأجاز الرجم ، وذلك أنّه كان رجم امرأة من جهينة دخلت على زوجها فولدت لستة أشهر فأمر عثمان برجمها ، فلما أخرجت دخل إليه علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال : إنّ الله عز وجل يقول : ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهراً** ﴾ وقال في رضاعه : ﴿ **حولين كاملين** ﴾ فأرسل عثمان في أثر المرأة فوجدت قد رجمت وماتت واعترف الرجل بالولد[1] .

وهكذا كان علي بن أبي طالب يمحض النصح لعثمان لعله يجنبه الأخطاء، همه في ذلك تحييد المسلمين من غوغاء الفتن. . .

وكل ما كان علي بن أبي طالب يقوله أو يجيء به هو النصح إلى

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج -٢- ص- ١٦٣.

عثمان، كما كان يمحض النصح لسلفيه الخليفتين من قبله، أبي بكر وعمر.

ولم يكن نقد علي لعثمان في أغلب الأحيان إلا من باب حمله على الصلاح في حكم الناس. هذا طريق علي بن أبي طالب الذي سلكه مع عثمان وسلفيه قبله. وهذا هو النهج الذي انتهجه معهم.. طيلة أيام خلافتهم لم يكن إلا الناصح الأمين المحافظ على الإسلام والمسلمين. في الوقت الذي كان الكثير من الصحابة لم يكتفوا بتوجيه النقد لعثمان وتصرفاته بل كانوا يحرضون الناس عليه ويعيبونه. في حين كان يظنهم عثمان أنهم من المؤيدين له.. إذ هم أوصلوه للخلافة.. وقد غاب عنه ولم يعلم أنهم إنما فعلوا ذلك ضداً بعلي بن أبي طالب.. لا حباً به وتأييداً له.

يقول الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود: وليس أبلغ في هذا المقام من أن نورد ها هنا ما قاله عبد الرحمن بن عوف في عثمان بن عفان، وقد رأى منه ما أنكره وأنكره الناس.

قال عبد الرحمن نادماً على ما سلف من ادلائه بالبيعة إلى عثمان:

«لو استقبلت من أمري ما استدبرت.. ما وليت عثمان... الخ».

وقال ثانية وهو على فراش الموت، وقد شهده يوطد سلطانه، بتولية ذويه: «عاجلوه... عاجلوه.. قبل أن يتمادى في ملكه»[1].

وكذلك كانت السيدة عائشة أم المؤمنين قد نأت بجانبها عن الخليفة عثمان، موجدة، وراح لسانها ينال منه فتنعته بسخرية وتؤلب الناس عليه.

يقول اليعقوبي في تاريخه: وكان بين عثمان وعائشة منافرة..

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب: الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود: ج ـ ٢ ـ ص ـ ٤٣.

وذلك أنه أنقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب، وصيرها أسوة غيرها من نساء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فإن عثمان يوماً ليخطب: إذ دلَّت عائشة قميص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونادت: يا معشر المسلمين.. هذا جلباب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يبل، وقد أبلى عثمان سنته...

فقال عثمان: (رب أصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم)[1].

ونقل الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه علي بن أبي طالب: أنه قال ابن أعتم في تاريخه: صفحة - ١٥٥ - ولما رأت أم المؤمنين عائشة اتفاق الناس على قتل عثمان قالت له:

«أي عثمان.. خصصت بيت مال المسلمين لنفسك، وأطلقت أيدي بني أمية على أموال المسلمين.. ووليتهم البلاد.. وتركت أمة محمد في ضيق وعسر.. قطع الله عنك بركات السماء، وحرمك خيرات الأرض، ولولا أنك تصلي الخمس لنحروك كما تنحر الإبل..».

لقد فسد الأمر بين عثمان وبين عائشة وكان ذلك من الأسباب القوية التي جرأت الناس على عثمان، وأغرت به من كان يوقره ويخشى سلطانه[2].

ولما حُصر عثمان تهيأت عائشة للحج فظن الناس أنها خرجت لتخلي بينهم وبين عثمان ليروا رأيهم فيه لتكون غائبة عن مسرح الأحداث. عند ذلك صار مروان إلى عائشة كما في رواية اليعقوبي، فقال لها: يا أم المؤمنين، لو قمت فأصلحت بين هذا الرجل - يعني عثمان - وبين الناس..؟

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج - ٢ - ص - ١٦٥.
(٢) علي بن أبي طالب الأستاذ عبد الكريم الخطيب: ص - ٢٣٥.

فقالت له ـ عائشة ـ : قد فرغت من جهازي، وأنا أريد الحج . . .
قال ـ مروان ـ : فيدع إليك بكل درهم أنفقته درهمين . . .

قالت ـ عائشة ـ : لعلك ترى أني في شك من صاحبك! أما والله لوددت أنه مقطع في غرارة من غرائري، وأني أطيق حمله، فأطرحه في البحر[1] .

جاء في تاريخ الطبري: عن ابن عباس أنه قال: قال لي عثمان بن عفان: إني قد استعملت خالد بن العاص بن هشام على مكة، وقد بلغ أهل مكة ما صنع الناس، فأنا خائف أن يمنعوه الموقف فيأبى. فيقاتلهم في حرم الله جل وعز وأمنه. وأن قوماً جاؤوا من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم. فرأيت أن أوليك أمر الموسم.

وكتب معه إلى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحق ممن حصره . . .

فخرج ابن عباس، فمر بعائشة ـ أم المؤمنين ـ في الصلصل[2]. . .

فقالت عائشة : يا ابن عباس، أنشدك الله . . . فإنك قد أعطيت لساناً أزعيلاً[3] ، أن تخذل عن هذا الرجل ـ تعني عثمان ـ ، وأن تشكك فيه الناس، فقد بانت لهم بصائرهم، وأنهجت[4]، ورفعت لهم المنار ، وتحلبوا من البلدان ، لأمر قد حمَّ[5] . وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال، والخزائن، مفاتيح ، فإن يلِ يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر . . .

قال ابن عباس: قلت: يا أمَّه لو حدث بالرجل ـ أي بعثمان ـ

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ـ ٢ ـ ص ـ ١٦٥ .
(٢) الصلصل: بضم الصاد جمع صلاصل هو ماء لعامر في واد يقال له الجوف به نخيل كثيرة ومزارع جمة: معجم البلدان لياقوت الحموي.
(٣) الأزعيل: الذلق ـ أي ذلق اللسان.
(٤) نهج الطريق: وضح.
(٥) وفي نسخة ثانية جم.

حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا ـ يعني علي بن أبي طالب (عليه السلام) ـ .

فقالت عائشة: إيها عنك!.. إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك[1] .

وفي شرح النهج: أن طلحة بن عبيد الله كان له أثر في حصار عثمان، وتأليب الناس عليه، حتى أنه اتخذ لنفسه مفاتيح على بيت المال، في الوقت الذي اشتد فيه الحصار على عثمان. فلما بلغ علي بن أبي طالب ذلك، جاء حتى دخل دار طلحة، وهي مملوءة من الناس فقال له: يا طلحة.. ما هذا الأمر الذي صنعت بعثمان؟

فقال ـ طلحة ـ : يا أبا الحسن، أبعد إن مس الحزام الطبيين!

فانصرف علي (عليه السلام) حتى أتى بيت المال، فقال: افتحوه.. فلم يجدوا المفاتيح.. فكسر الباب، وفرق ما فيه على الناس. فانصرف الناس من عند طلحة حتى بقي وحده. وسُر عثمان بذلك.

وجاء طلحة فدخل على عثمان، فقال: يا أمير المؤمنين، إني أردت أمراً فحال الله بيني وبينه، وقد جئتك تائباً.

فقال عثمان: والله ما جئت تائباً ولكن جئت مغلوباً.. الله حسيبك يا طلحة.

لما كلم علي بن أبي طالب الثائرين على عثمان، وأرجعهم، ووعدهم بأن عثمان سوف يرجع عما كان عليه... جاء إلى عثمان وأخبره برجوع القوم وخرج من عنده.

جاءه مروان بن الحكم فقال لعثمان: تكلم واعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا، وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً، قبل أن يجيء

(١) تاريخ الطبري: ج ـ ٤ ـ ص ـ ٤٠٧.

الناس إليك من أمصارهم، ويأتيك ما لا تستطيع دفعه. ففعل عثمان.

فلما خطب عثمان الناس، قال له عمرو بن العاص:

اتق الله يا عثمان... فإنك قد ركبت أموراً، وركبناها معك، فتب إلى الله... نتب..

فناداه عثمان: وأنك هناك يا ابن النابغة!.. قملت والله جبتك منذ عزلتك عن العمل.

فنودي من ناحية أخرى تب إلى الله يا عثمان. ونودي من ناحية أخرى مثل ذلك.

فرفع عثمان يديه وقال: اللهم إني أول تائب. ورجع إلى منزله.

وخرج عمرو بن العاص إلى منزله بفلسطين، وكان يقول: والله إني كنت لألقى الراعي.. فأحرضه على عثمان. وآتي طلحة والزبير وغيرهما فأحرضهم على عثمان.

وفي تاريخ ابن الأثير والطبري وغيرهما أن عمرو بن العاص بينما هو بقصره بفلسطين، ومعه ابناه محمد، وعبدالله، وسلامة بن روح الجذامي إذ مرَّ بهم راكب من المدينة، فسأله عمرو عن عثمان: فقال: هو محصور...

قال عمرو بن العاص: أنا أبو عبد الله ـ وتكلم بكلام يُستقبح ذكره. ثم مرَّ به راكب آخر فسأله: فقال: قتل عثمان...

فقال عمرو بن العاص: أنا أبو عبدالله.. إذا حككت قرحة نكأتها...

فقال له سلامة بن روح: يا معشر قريش، كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه... فما عملكم على ذلك؟

فقال عمرو: أردنا أن نخرج الحق من خاصرة الباطل ـ وفي تاريخ الطبري ـ من حافرة الباطل، ليكون الناس في الحق شرعاً سواء.

بعض أفعال الخليفة عثمان التي أدت إلى جرأة الناس عليه

ذكرنا فيما سبق بعض مواقف الإمام علي مع عثمان، وأنه كان من أكثر الناس ذباً عنه ونصحاً له، وحفاظاً عليه، ولكن عثمان كان مستضعفاً ليناً طمع الناس فيه، وأعان على نفسه بأفعاله المتناقضة، وباستيلاء بني أمية عليه.

وفي شرح النهج عن أبي جعفر الطبري: كان ابتداء الجرأة على عثمان، أن إبلاً من إبل الصدقة قُدم بها عليه، فوهبها لبعض ولد الحكم بن أبي العاص.

فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فأخذها وقسمها بين الناس.. وعثمان في داره. فكان ذلك أول وهن دخل على خلافة عثمان.

وقيل: بل كان أول وهن دخل عليه، أن عثمان مرَّ بجبلة بن عمرو الساعدي، وهو في نادي قومه، وفي يده جامعة.

فسلم ـ عثمان ـ، فرد القوم عليه، فقال جبلة: لم تردون على رجل فعل كذا... وفعل كذا...!

ثم قال لعثمان: والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك، أو لتتركن بطانتك هذه الخبيثة.. مروان، وابن عامر، وابن أبي سرح.. فمنهم من

نزل القرآن بذمه، ومنهم من أباح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دمه .

وفي شرح النهج أيضاً : قيل: إن عثمان خطب يوماً وبيده عصا، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأبو بكر، يخطبون عليها.

فأخذها جهجاه الغفاري من يده، وكسرها على ركبته. . .

فلما تكاثرت أحداث عثمان، وتكاثر طمع الناس فيه، كتب جمع من أهل المدينة، من الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق: إنكم إن كنتم تريدون الجهاد، فهلموا إلينا. . فإن دين محمد قد أفسده خليفتكم فاخلعوه.

فاختلفت عليه القلوب، وجاء المصريون وغيرهم إلى المدينة حتى حدث ما حدث[1].

ولما فقد عثمان شخصيته ونفوذه، أراد أن يستعين على بقائه في منصبه، كتب إلى معاوية يستنجده كما ذكر ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة: أن عثمان بن عفان كتب إلى أهل الشام عامة، وإلى معاوية وأهل دمشق خاصة:

أما بعد، فإني في قوم طال فيهم مقامي،واستعجلوا القدر فيّ. وقد خيروني بين أن يحملوني على شارف من الإبل الدحيل، وبين أن أنزع لهم رداء الله الذي كساني، وبين أن أقيدهم ممن قتلت. ومن كان على سلطان، يخطىء ويصيب. . .

فيا غوثاه. . . يا غوثاه. . . ولا أمير عليكم دوني.

فالعجل. . . العجل. . يا معاوية. وأدرك ثم أدرك. . . وما أراك تدرك[2] .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج -٢- ص- ١٤٩.
(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج -١- ص- ٣٦.

وذكر اليعقوبي في تاريخه: أن عثمان كتب إلى معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه..

فتوجه إليه معاوية في اثني عشر ألف، ثم قال لهم: كونوا بمكانكم، في أوائل الشام، حتى آتي أمير المؤمنين ـ عثمان ـ لأعرف صحة أمره.

فأتى ـ معاوية ـ عثمان، فسأله عن العدة، فقال: قد قدمت لأعرف رأيك وأعود إليهم ، فأجيبك بهم .

فقال ـ عثمان ـ : لا والله، ولكنك أردت أن أقتل، فتقول: أنا ولي الثأر... ارجع فجئني بالناس.

فرجع معاوية، فلم يعد إليه حتى قُتل[1] .

وذكر الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه الإمام علي بن أبي طالب: أنه لم يبادر صاحب الشام ـ معاوية ـ بالنجدة التي كانت توجبها عليه قرابته لعثمان، قبل أن توجبها وظيفته...

وإذا ذكر معاوية فقد ذكرت معه التدابير الخفية، والأغراض المشتبكة الملتوية. فطالما أرسل عثمان إليه يستحثه ويثير فيه العطف، ويقول له: العجل، العجل يا معاوية، فأدرك ثم أدرك ولا أراك تدرك... الخ .

فكان الجواب، أن أعدّ ـ معاوية ـ قوة أمر عليها يزيد بن أسد القسري، وقال يأمره وهو يتأهب بجيشه للمسير:

«إذا أتيت ذا خشب فأقم بها، ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.. فإنني أنا الشاهد وأنت الغائب...».

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ـ ٢ ـ ص ـ ١٦٥.

فكفاه ـ أي معاوية ـ بهذا أنه كان وإن أرسل.. كأن لم يرسل!..
فلم تدخل قواته المدينة ولم تنجد سيده ـ عثمان ـ ولم تفرق عنه الثوار
لأنه أراد لها موقف الغريب المشاهد دون خطة الولي المجالد!...»[1].

(١) الإمام علي بن أبي طالب: للأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود: ج ـ ٢ ـ ص ـ ١٦٧.

ما كان من أمر الخليفة عثمان وتوليته مصر لمحمد بن أبي بكر

ذكر ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة: إن أهل مصر جاؤوا ـ عثمان يشكون ابن أبي سرح عاملهم، فكتب إليه عثمان كتاباً يتهدده فيه.

فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان... وضرب بعض من أتاه به من قبل عثمان من أهل مصر، حتى قتله.

فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل، فنزلوا المسجد، وشكوا إلى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، في مواقيت الصلاة ما صنع بهم ابن أبي سرح. فقام طلحة، فتكلم بكلام شديد...

وأرسلت عائشة إلى عثمان، فقالت له: قد تقدم إليك أصحاب رسول الله، وسألوك عزل هذا الرجل، فأبيت إلا واحدة!.. فهذا قد قتل منهم رجلاً.. فانصفهم من عاملك.

ودخل عليه ـ على عثمان ـ علي بن أبي طالب، وكان متكلم القوم، فقال له: إنما يسألونك رجلاً مكان رجل، وقد ادعوا قبله دماً، فاعزله عنهم، واقض بينهم، فإن وجب لهم عليه حق، فانصفهم منه.

فقال عثمان: اختاروا رجلاً أوليه عليهم..

فقالوا: استعمل محمد بن أبي بكر..

فكتب ـ عثمان ـ عهده، وولاه..

فخرج محمد، وخرج معه عدد من المهاجرين والأنصار، ينظرون فيما بين ابن أبي سرح، وأهل مصر.

ولما خرج محمد ومن معه، حتى إذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة، إذا هم بغلام أسود، على بعير.. يخبط البعير، كأنه رجل يطلب.. أو يُطلب.

فقال له أصحاب محمد: ما قصتك؟ وما شأنك؟ كأنك طالب أو هارب؟!

فقال لهم: أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر.

فقال له رجل منهم: هذا عامل مصر معنا:

فقال: ليس هذا أريد...

فأخبر محمد بن أبي بكر بأمره، فبعث في طلبه رجلاً، فجاء به إليه..

فقال له ـ محمد ـ: غلام من أنت؟

فأقبل الرجل مرة يقول: أنا غلام مروان.. ومرة يقول: أنا غلام أمير المؤمنين.. حتى عرفه رجل أنه لعثمان.

فقال له محمد بن أبي بكر: إلى من أرسلك؟

قال ـ الرجل ـ: إلى عامل مصر..

قال محمد بن أبي بكر: بماذا؟

قال: برسالة.

قال محمد: أما معك كتاب؟

قال ـ الرجل ـ: لا... ففتشوه، فلم يجدوا معه كتاباً.. وكانت معه أداوة قد يبست[1]، فيها شيء يتقلقل، فحركوه ليخرج فلم يخرج،

---

(١) الأداوة: إناء صغير من جلد.

فشقوا أداوته فإذا فيها كتاب من عثمان إلى عبدالله بـن أبي سرح.

فجمع محمد بن أبي بكر من كان معه من المهاجرين والأنصار.. ثم فك الكتاب بمحضر منهم، فقرأه عليهم، فإذا فيه:

إذا أتاك محمد بن أبي بكر، وفلان، وفلان[١] فاقتلهم، وأبطل كتابهم، وقرَّ على عملك حتى يأتيك رأيي.

فلما رأوا الكتاب، فـزعوا منـه، ورجعوا إلى المـدينة. وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتم النفر الذين كانوا معه. ودفعه إلى رجلٍ منهم، ثم قدموا المدينة... فجمعوا.. طلحـة.. والزبيـر.. وعلياً.. وسعداً.. ومن كان من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم... وأخبرهم محمد بن أبي بكر بقصة الغلام، وأقرأهم الكتاب، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان.

وقام أصحاب النبي فلحقوا بمنازلهم.. وحصر الناس عثمان، وأحاطوا به ـ بداره ـ ومنعوه الماء والخروج، ومن كان معه، واجلب عليه محمد بن أبي بكر[٢]..

وفي الإمامة والسياسة أيضاً: لما رأى ذلك علي بن أبي طالب بعث إلى طلحة، والزبير، وسعد، وعمار، ونفر من أصحاب محمد، كلهم بـدري، ثم دخلوا على عثمـان، ومعهم الكتـاب، والغـلام، والبعير...

---

(١) وفي تاريخ الطبري: فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف. وفي تاريخ اليعقوبي: إذا قدم عليك النفر، فاقطع أيديهم وأرجلهم... محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، وكنانة بن بشر، وابن عديس البلوي وغيرهم.

(٢) تاريخ الخلفاء ـ أو الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ـ ص ـ ٣٧.

فقال علي: الغلام غلامك؟ والبعير بعيرك؟

قال عثمان: نعم..

قال علي بن أبي طالب: فأنت كتبت هذا الكتاب؟

قال عثمان: لا... وحلف بالله.. ما كتبت.. ولا أمرت.. ولا علمت..

فقال له علي: فالخاتم خاتمك؟

قال عثمان: نعم..

قال علي: فكيف يخرج غلامك ببعيرك، وكتاب عليه خاتمك لا تعلم به؟!..

فحلف عثمان بالله: ما كتبت هذا الكتاب.. ولا وجهت.. ولا أمرت..

فشك القوم في أمر عثمان، وعلموا أنه لا يحلف بباطل..

فقال قوم منهم: لا يبرأ عثمان عن قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان، حتى نعرف كيف يأمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله، وقطع أيديهم بغير حق، فإن كان عثمان كتبه عزلناه، وإن كان مروان كتبه نظرنا في أمره، وما يكون في أمره وما يكون في أمر مروان. فانصرف القوم عنه ولزموا بيوتهم.

وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان، وخشي عليه القتل.

فبلغ علياً أن عثمان يراد قتله، فقال: إنا أردنا مروان.. فأما قتل عثمان فلا.

ثم قال للحسن والحسين: إذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان ولا تدعا أحداً يصل إليه.

وبعث الزبير ابنه على كره..

وبعث طلحة ابنه كذلك..

وبعث عدة من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ابناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان.. ويسألوه أن يخرج مروان[1].

وفي شرح النهج عن الواقدي: أن الذي أخذت منه الصيحفة أبو الأعور السلمي، وأنهم لما رأوه وسألوه عن مسيره، وهل معه كتاب؟ فقال: لا، فسألوه: في أي شيء هو؟ فتغير كلامه، فأخذوه وفتشوه وأخذوا الكتاب منه، وعادوا إلى المدينة.

وجاء الناس إلى علي (عليه السلام) وسألوه أن يدخل على عثمان فيسأله عن هذه الحال. فقام فجاء إليه فسأله: فاقسم بالله ما كتبته ولا علمته، ولا أمرت به. فقال محمد بن مسلمة: صدق، هذا من عمل مروان، فقال: لا أدري. وكان أهل مصر حضوراً، فقالوا: أفيجترىء عليك ويبعث غلامك على جمل من إبل الصدقة، وينقش على خاتمك، ويبعث إلى عاملك بهذه الأمور العظيمة وانت لا تدري! قال: نعم.

قالوا: إنك أما صادق أو كاذب، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا وعقوبتنا بغير حق، وإن كنت صادقاً فقد استحققت الخلع لضعفك عن هذا الأمر وغفلتك، وخبث بطانتك. ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الأمر بيد من تقطع الأمور دونه لضعفه وغفلته، فاخلع نفسك منه. فقال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله، ولكني أتوب وأنزع.

قالوا: لو كان هذا أول ذنب تبت منه لقبلنا، ولكنا رأيناك تتوب ثم تعود، ولسنا بمنصرفين حتى نخلعك، أو نقتلك، أو تلحق أرواحنا بالله، وإن منعك أصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص إليك.

وقد اتفق المؤرخون وأصحاب السير أنه حينما أحاط الثوار القادمين من عدة أقطار كالبصرة، والكوفة، ومصر، وغيرها بدار عثمان،

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ـ ١ ـ ص ـ ٤٠.

وطلبوا منه إنصافهم من ولاتهم، وتسليمهم مروان بن الحكم...

ولما أبى عثمان الانصياع لمطالبهم، ولم يلتفت لنصح الناصحين، شدّد الثوار عليه الحصار، ومنعوا عنه الماء...

فما إن بلغ علي بن أبي طالب قطع الماء عن عثمان حتى بعث إليه بثلاث قرب.

وكان في الناس المحاصرين لدار عثمان زيادة على القادمين من الأمصار الإسلامية بنو زهرة، لأجل عبدالله بن مسعود لأنه كان من أحلافها.. وهذيل لأنه كان منها.. وبنو مخزوم وأحلافها لأجل عمار.. وغفار وأحلافها لأجل أبي ذر.. وتيم بن مرة مع محمد بن أبي بكر، وغير هؤلاء مما لا يحمل كتابنا ذكره[1].

---

(١) راجع كتاب مروج الذهب للمسعودي: ج ـ ٢ ـ ص ـ ٣٥٣ وغيره من كتب التاريخ.

مقتل الخليفة عثمان ودفنه

ذكر المسعودي في مروجه: لما بلغ علي بن أبي طالب أن الناس يريدون قتل عثمان بعث بابنيه الحسن والحسين، مع مواليه بالسلاح إلى باب عثمان لنصرته.. وأمرهم أن يمنعوه منهم.

وبعث الزبير ابنه عبدالله، وبعث طلحة ابنه محمداً، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا.. فصدوهم عن الدار، فرمي من وصفنا بالسهام، واشتبك القوم، وجرح الحسن بن علي، وشُج قنبر، وجُرح محمد بن طلحة، فخشي قوم أن يتعصب بنو هاشم، وبنو أمية.. فتركوا القوم في القتال على الباب، ومضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوروا عليها ـ أي على دار عثمان ـ.

وكان ممن وصل إليه محمد بن أبي بكر، ورجلان آخران، وعند عثمان زوجته، وأهله ومواليه مشاغيل بالقتال. فأخذ محمد بن أبي بكر بلحية عثمان..

فقال له عثمان: يا محمد والله لو رآك أبوك لساءه مكانك!. فتراخت يده، وخرج عنه إلى الدار. ودخل رجلان فوجداه، فقتلاه[1] ...

---

(١) وفي رواية ثانية: فوجئاه فقتلاه.

فصعدت امرأة عثمان، فصرخت: وقالت: قد قتل أمير المؤمنين... فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني أمية ـ وغيرهم ـ فوجدوه قد فاضت نفسه، فبكوا...

فبلغ ذلك علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وسعداً، وغيرهم من المهاجرين والأنصار. فاسترجع القوم، ودخل علي الدار وهو كالواله الحزين، وقال لابنيه: كيف قتل.. وأنتما على الباب؟ ولطم الحسن، وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة، ولعن عبدالله بن الزبير، فقال له طلحة: لا تضرب يا أبا الحسن، ولا تشتم، ولا تلعن، لو دفع إليهم مروان ما قتل..

وهرب مروان، وغيره من بني أمية، وطلبوا ليقتلوا، فلم يوجدوا.

وقال علي لزوجة عثمان نائلة بنت الغرافصة: من قتله وأنت كنت معه؟

قالت: دخل إليه رجلان، وقصت خبر محمد بن أبي بكر، فلم ينكر ما قالت.

ثم قال محمد بن أبي بكر: والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله، فلما خاطبني بما قال.. خرجت، ولا أعلم بتخلف الرجلين عني.

ثم قال محمد: والله ما كان لي في قتله من سبب، ولقد قتل وأنا لا أعلم بقتله.

ويتابع المسعودي قوله: وكانت مدة ما حوصر عثمان في داره تسعاً واربعين يوماً، وقيل: أكثر من ذلك.

وقتل: في ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة، وذكر أن أحد الرجلين كنانة بن بشر التجيبي، ضربه بعمود على جبهته، والآخر منهما سعد بن حمران المرادي، ضربه بالسيف على حبل عاتقه فحله.

وقيل: أن عثمان قُتل ومعه في الدار من بني أمية ثمانية عشر

رجلاً، منهم مروان بن الحكم... وهربوا بعد مقتله والتحقوا بالشام بمعاوية كما أسلفنا.

وفي مقتله تقول زوجته نائلة بنت الغرافصة:

ألا أن خيـر الناس بعـد ثلاثـة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
ومـا لي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد غيبوا عني فضول أبي عمرو

قُتل الخليفة عثمان بن عفان وله من الأولاد الذكور ثمانية وهم: عبدالله الأكبر، وعبدالله الأصغر، وأبان، وخالد، وسعيد، والـوليد، والمغيرة، وعبد الملك.

وله من الإناث أربعة: أم أبان، وأم سعيد، وأم عمرو، وعائشة.

وبويع عثمان بالخلافة يوم الجمعة غرة المحرم لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين.

وقُتل لاثنتي عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وقيل غير ذلك..

فجميع ما ولي اثنتا عشرة سنة إلا ثمانية أيام، وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. وقيل: وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة. والقول الأول هو المشهور.

ودفن بالمدينة، بموضع يعرف بحش كوكب، وهذا الموضع فيه مقابر بني أمية. وصلى عليه جبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وأبو جهم بن حذيفة.

وقيل: صلى عليه أحدهم[1].

---

(١) راجع كتاب مروج الذهب للمسعودي: ج -٢- ص- ٣٥٣- ٣٥٤.



عرض وتحليل حول حصار عثمان.. ومقتله

كان لتصرف عثمان بن عفان في أيام خلافته، الأثر السيء الذي ضعضع أركان الدولة الإسلامية، المهابة القوية، لأن عثمان من بدىء ولايته حتى مقتله.. كان منصاعاً تمام الانصياع لأوامر ذويه من الأمويين الذين كمن الحقد في قلوبهم وتأصلت الأنانية في نفوسهم، أمثال معاوية بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة، وابن أبي سرح وغيرهم وقد أظهر ذلك أبو سفيان شيخ الأمويين في أول يوم من تولي عثمان الخلافة بقوله: تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة... الخ.

لقد شنف الأمويون آذانهم لكلام أبي سفيان وأخذوا يعملون جاهدين لتوطيد سلطانهم، في الوقت ذاته غير مبالين لأوامر الدين وإلى ما يؤول إليه عزمهم على ذلك.. كما أنهم كانوا في الصدد لا يرون إلا الأمارة ولو أدى ذلك إلى أوخم العواقب.

وهذا يتراءى لنا مما كان قد كتب به عثمان إلى معاوية عامله على الشام يستنجده ليرسل إليه جيشاً من أهل الشام يستنقذه من الحصار المضروب عليه... فما كان من معاوية إلا أن أتى بجيش يقدر باثني عشر ألفاً، وأبقاهم بعيدين عن المدينة وأتى وحده إلى عثمان فلما سأله عثمان عن الجيش قال له: جئت لأعرف رأيك، وأعود إليهم، فأجيئك

بهم. فكان جواب عثمان: لا والله ولكنك أردت أن أقتل فتقول: أنا ولي الثأر... ومن هنا يظهر للقارىء أن معاوية كان يعمل لتركيز دعائم سلطانه، ولا يهمه أمر عثمان إن قُتل أو بقي. لا بل كان يحبذ قتله لينفذ من خلال المطالبة بدمه لتنفيذ مآربه.

وعلى هذا من تتبع الثورة على عثمان يرى أن الأحداث المتلاحقة التي جرت في أيامه كان سببها تصرفاته وأفعاله الملتوية التي أفسحت المجال لتقرير مصيره الذي انتهى إلى قتله.

وانصافاً للحق أن عثمان قد جعل للثائرين من المسلمين عليه سبيلاً إذ فتح لهم باب الثورة عليه، ومناقشته، ومحاسبته على أفعاله، وأهمها ما أفسح لنبي أمية من نفسه، وبما سخى عليهم من بيوت أموال المسلمين، وبما سمح لهم من تبوىء السلطان حتى ساسوا الناس سياسة خرجوا بها عن قواعد الدين الإسلامي ونظمه وتشريعاته..

وخرجوا أيضاً بسياستهم مع الناس عما عهدوه من المعاملة في عهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى الأقل ما عهدوه في عهد أبي بكر وعمر.

هذه الأحداث التي هيجت الأمصار على عثمان وأتاحت لكثير من الناس فرصة تحريك الفتن، وإثارة الشغب، من ثغرات فتحها الخليفة الثالث على نفسه من تصرفات ذويه الذين أرادوا إحياء النزعات الجاهلية والعادات القبلية.

ولما بلغ السيل الزبى.. وتمادى الأمويون في ظلمهم للمسلمين.. وتعسفهم لهم.. وأصم عثمان أذنيه عن كل صوت يرتفع بشكوى أو بظلامة.. في الوقت ذاته لا يستمع لناصح.. أو ناقد أو معاتب. فقد كان ألعوبة في أيدي ذويه المستولين عليه من بطانته الممقوتة عند جميع المسلمين.

كان عثمان على مدى أعوامه في أيام خلافته يعمل برأي غيره،

وليس له أي رأي. وكلما جاءه من ينصحه حفاظاً على شريعة الإسلام وهيبة الخلافة ويطلب منه أن يكون صارماً ويفرض رأيه على ولاته ويكبح من جماحهم، صم أذنيه.. وتمادى في عناده ولينه تجاه ذويه ولم يسمع من أحد ينصحه.

هاج الناس لسوء معاملة ولاة عثمان واضطرب حبل الأمن، وعلت الصرخات من المظلومين احتجاجاً على تصرفات ولاتهم المستهترين الظالمين.

جاءت الوفود إلى المدينة المنورة، عاصمة الإسلام ومركز الخلافة.. ومقر صحابة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) شاكية متظلمة.. ثائرة..

وفي المدينة وجد الثائرون على عثمان أذناً صاغية من الصحابة الذين كانوا قد أنكروا بدورهم على عثمان تصرفاته المضرة بمصلحة المسلمين، فمنهم من أنكر عليه لغاية شريفة.. وانتصاراً للعدل والمساواة، وانصاف المظلوم من الظالم والمحافظة على قوانين الإسلام كالإمام علي بن أبي طالب واتباعه المخلصين أمثال أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر، والمقداد وغيرهم. ومنهم من كان ينكر على عثمان تصرفاته لغاية دنيوية، ومصلحة شخصية كطلحة بن عبيد الله التيمي الذي ألب الناس على عثمان.. واستولى على مفاتيح بيت مال المسلمين في المدينة وهو الذي رشحته أم المؤمنين عائشة ليكون خليفة للمسلمين ـ بدل عثمان ـ لأنه ابن عمها من بني تيم. وقد ذكرنا فيما سبق حوارها مع ابن عباس إذ قالت له من جملة كلامها: «وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن يلِ يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر..».

لقد كان طلحة قوة للثائرين، يجتمعون إليه، ويلوذون به وقد اتفق هو وابن عديس البلوي الذي كان من جملة القادمين من مصر والثائرين

على عثمان أن يشدد الحصار ولا يدع أحداً يدخل عليه ثم أخيراً منع عنه الماء.

وكذلك كانت السيدة عائشة أم المؤمنين من أشد الناس إنكاراً على عثمان.. كانت تؤلب الناس عليه، وتقول فيه قولاً أباحت به دمه ـ اقتلوا نعثلاً ـ وكان قولها هذا هو السيف القاطع الذي سله الثائرون ورفعوه في وجهه... أودى إلى قتله.

وكذلك عمرو بن العاص الذي كان حاقداً على عثمان لعزله له عن ولاية مصر وتعيين عبدالله بن أبي سرح مكانه.

لقد كان عمرو يؤلّب الناس على عثمان حتى أنه كان يقول: «والله كنت لألقى الراعي في غنمه في رأس الجبل فأحرضه على عثمان».

كذلك عبد الرحمن بن عوف الذي كان يقول بعدما وطد الأمر لعثمان وسلمه الخلافة وأزاحها عن صاحبها الشرعي علي بن أبي طالب وبعدما جفاه عثمان ومنع الناس عنه أخذ عبد الرحمن يردد عاجلوه عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه.. ثم يتنفس بحسرة وألم ويقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما وليت عثمان... الخ.

ولما اشتد الحصار على عثمان لم يجد أمامه من يرد عنه الحشود المتزايدة يوماً بعد يوم الناقمة عليه، والمتظلمة من أفعاله وأفعال عماله سوى علي بن أبي طالب العادل المخلص للإسلام الناصح للمسلمين الذي تعب كثيراً في تهدئة الثائرين وفي كل مرة يرجع إلى عثمان ليمحضه النصح ويبين له اخطاءه، ويطلب منه أن يسير بالناس سيراً معتدلاً ويخرج إلى الثائرين ويعلن توبته وأنه سوف يسير بالعدل والإنصاف.

لكن عثمان كان يخرج إلى الناس ويعلن توبته امتثالاً لطلب علي ثم يرجع إلى بيته ليجد مروان بن الحكم بانتظاره فيأخذ بمحاورته واقناعه بنكث عهوده. فيغير مروان رأي عثمان ليأتي هذا الأخير وينقض ما كان

أخذه على نفسه أمام الثائرين من السير بالعدل بالرعية وإنصافهم من ولاتهم.

وتعقدت الأمور بين الثوار وبين خليفتهم ولكن علي بن أبي طالب لم يرض أن يقتل عثمان بل بقي ينصحه من جهة.. ويهدىء الثوار من جهة أخرى... حتى اطفأ عثمان بسياسته السقيمة كل بصيص للأمل في تسوية الأمور بينه وبين الثائرين.

روى المؤرخون أن علي بن أبي طالب دخل على عثمان وقال له: «إن الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك.. فاسمع منهم وأنصفهم.. الخ».

يقول الطبري في تاريخه: دخل على عثمان جماعة من رؤساء الثوار، وتكلموا معه ثم قالوا: إنا لا نعجل عليك، وإن كنا قد اتهمناك.. أعزل عنا عمالك الفساق، واستعمل علينا من لا يتهم على دمائنا وأموالنا ... وأردد علينا مظالمنا.

قال عثمان: ما أراني إذاً في شيء إن كنت استعمل من هويتم، وأعزل من كرهتم.. ثم صرخ بهم: الأمر إذاً أمركم..!

فقالوا له: والله لتفعلن، أو لتُعزلن، أو لتُقتلن.. فانظر لنفسك أو دع.

فأبى عليهم وقال: لم أكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله. وحصروه اربعين ليلة، وطلحة يصلي بالناس[1].

ولما رأى علي بن أبي طالب أن عثمان لو أراد التسوية وانهاء الأزمة ووفى بعهوده ونزع وتاب وأجاب الثوار.. وأنصفهم، فإن المتسلطين عليه من الأمويين لا يدعونه يفعل ذلك.

---

(١) تاريخ الطبري: ج - ٤ - ص - ٣٧١.

ورأى علي أيضاً: أن زمام الأمور، قد انفلت من أيدي المصلحين فهذا نيار بن عياض الأسلمي وهو شيخ كبير من أصحاب النبي، عندما جاء عثمان لينصحه وقد أحاط الثوار بالدار، فنادى: يا عثمـان... فأشرف عليه عثمان من أعلى الدار.. فناشده الله لما اعتزلهم..

فبينا يراجعه الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان بسهم، فقتله.

وثار الثوار وقالوا لعثمان: ادفع إلينا قاتل نيار فلنقتله به. فأجابهم عثمان: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني، وأنتم تريدون قتلي كما في رواية الطبري.

كان موقف علي بن أبي طالب أثناء الحصار على عثمان حرجاً للغاية، لأنه كان إذا اشتد الحصار يأتي علي بن أبي طالب إلى عثمان ويقول له: اقلع عما أنت عليه وأبعد عن الظلم وتب، وأعد الناس بالعدل فيهم، وهكذا.

وحينما أشرف عثمان على الناس بتوجيه من علي ليظهر لهم التوبة والاقلاع عما كان عليه من تسليط أقاربه على رقاب الناس ورجع إلى داره وجد أصحابه فغيروا رأيه. وقال له مروان بن الحكم: والله لإقـامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها.. ما زدت على أن جرأت الناس عليك. وتشاجر مروان مع نائلة زوجة عثمان ولم ترض بمقالته ولكن عثمان سكت ولم يكبح جماح مروان. وقالت له ارسل إلى علي فإن له هيبة ومحبة فليستصلح ما أفسده مروان فإن لعلي قدر عند الناس وإنه لا يعصى.

والـذي يدلنـا على حرص علي (عليـه السلام)، على وحـدة المسلمين، ورص صفوفهم، وعلى الحفاظ على هيبة الراعي الحاكم لئلا تتسرب يد الفتنة إليه هو ارساله ولديه وفلذة كبده سبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحسن والحسين للدفاع عن عثمان عندما

شدد الثوار عليه الحصار. وارسالهما ومعهما جماعة من الناس كان من باب الدفاع عن عثمان المحاصر في داره.

وعلي بن أبي طالب حريص على ولديه سبطي الرسول (صلوات الله عليه وآله) ولكنه لم يكن ليرضى بمقتل عثمان، ولا بشيء مما جرى له.. وارساله ولديه الذين هما أعز عليه من نفسه أدل دليل على ما ذكرنا... وإن شكك بعض الكتاب المعاصرين بصحة الرواية التي روت ارسال علي بن أبي طالب ولديه... الخ لكن أكثر الروايات روت أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ارسل ولديه للدفاع عن عثمان خوف الفتنة.

وليس هذا الموقف الذي وقفه علي بن أبي طالب من عثمان بأول موقف يقفه (عليه السلام) للمحافظة على وحدة المسلمين وجمع كلمتهم.. بل مواقفه سلام الله عليه عديدة لا تحصى خاصة مع مناوئيه وغاصبي حقه كأبي بكر وعمر.. فالتاريخ شاهد على مواقفه الشريفة التي لا يبتغي من ورائها سوى رضى الله تعالى وارساء قواعد الإسلام ونشر تعاليمه المقدسة.

تمّ الجزء الخامس بعون الله تعالى ويليه الجزء السادس إنشاء الله



المحتويـات

الفصـل التاسع والأربعون

الفصـل الخمسـون

الفصل الواحد والخمسون

الفصل الثاني والخمسون

الفصل الثالث والخمسون

الفصل الرابع والخمسون













